

Issn:2710-1967



مجلة دراسات العلوم الإسلامية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدر
عن جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم/ السودان
ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية/ رماح - الأردن

العدد الثالث والعشرون / أيلول / سبتمبر / 2026



العنوان الإداري: الأردن/ عمان/ شارع وصفي التل/ الجاردنز/ مركز البحث وتطوير الموارد البشرية/ رماح

ISSN:



2710-1967

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

مجلة دولية علمية محكمة متخصصة في العلوم الإسلامية وما يتعلق من دراسات أسلمة المعارف
تصدر عن جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم – السودان ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية "رماح" - الأردن

العدد (23) أيلول (سبتمبر) 2026

ISSN: 2710-1967

إدارة المجلة

الرئيس الشرفي للمجلة: أ.د. محمد عبد الله سليمان مدير جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم/
السودان

المشرف العام: أ.د. خالد الخطيب – الأردن

رئيس تحرير المجلة: أ.د. محمد إبراهيم خليل السامرائي - العراق

مدير تحرير المجلة: أ.م.د. مصدق امين عطية الدوري - العراق

سكرتير التحرير: م.م. خالدة جمال الشافعي – العراق

المنسق العام للمجلة: م. محمد عماد الصعيدي – الأردن

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم خليل السامرائي

جامعة تكريت - العراق

العنوان الإداري للمجلة

مركز البحث وتطوير الموارد البشري "رماح" عمان – الأردن شارع وصفي التل

الهاتف / الفاكس: 00962799424774

البريد الإلكتروني: khalidk_51@hotmail.com - remahislamicjournal2021@yahoo.com

الموقع الإلكتروني: <https://issjournal.org>

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير	أ.د. محمد إبراهيم خليل السامرائي	جامعة تكريت/ العراق
مدير التحرير	أ.م.د. مصدق امين عطيه الدوري	وزارة التربية/المديرية العامة لتربية صلاح الدين/ العراق
سكرتير التحرير	م.م. خالدة جمال الشافعي	معهد تقني الرصافة/ العراق

أعضاء هيئة تحرير المجلة

أ.د. عدنان مصطفى خطاطبة	جامعة اليرموك	الأردن
أ.د. خلوق ضيف الله محمد آغا	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	الأردن
أ.د. هناء الحنيطي	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	الأردن
أ.د. أبكر عبد البنات آدم إبراهيم	جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم	السودان
أ.د. مزاحم مهدي إبراهيم النجار	جامعة تكريت	العراق
أ.د. عباس علي حميد العبيدي	جامعة ديالى	العراق
أ.م.د. عبد الرحمن بن نويفع بن فالح السلي	جامعة أم القرى	السعودية
أ.م.د. حسن عبد الزهرة كيطان الإبراهيمي	وزارة التربية المديرية العامة لتربية النجف	العراق
أ.م.د. أوان عبد الله محمود الفيضي	جامعة الموصل	العراق
د. صهيب احمد السامرائي	ديوان الوقف السني /القسم الديني	العراق
د. محجوبة العويونة	أكاديمية طنجة تطوان	المغرب
د. عبد الرشيد أولاتنجي عبد السلام	جامعة برليس الإسلامية	ماليزيا
د. صابر نواس محمد	مدير أكاديمية التميز	الهند
د. اعتماد اسماعيل	جامعة سامراء	العراق

اللجنة الاستشارية والعلمية

أ.د. داتو ذو الكفل محمد يعقوب بن محمد يوسف-رئيساً	مدير مركز قرانیکا في جامعة ملايو	ماليزيا
أ.د. حسن حميد عبيد الغراوي	جامعة قطر	قطر
أ.د. الفضيل ارتيبي	جامعة بليدة	الجزائر
أ.د. عزة عدنان أحمد عزت	جامعة زاخو	العراق
أ.د. مهند محمد صبيح	كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة	العراق
أ.د. رافد صباح التميمي	جامعة بغداد	العراق
أ.د. احمد داود شحروري	جامعة الزيتونة	تونس
أ.د. غازي حميد موسى	وزارة التربية/ مديرية تربية صلاح الدين	العراق
أ.د. فادي عبد الله الحولي	جامعة الشيخ عبد الله البدري	السودان
أ.م.د. فرح غانم صالح	جامعة بغداد	العراق
أ.م.د. ادم هارون أحمد إبراهيم	جامعة النيلين	السودان
أ.م.د. آلاء عبد الرحمن نعمان	جامعة تكريت	العراق
أ.م.د. مريم هاشم حمد البدري	كلية الإمام الكاظم (ع) الجامعة/ فرع واسط	العراق
أ.م.د. وميض فارس صعب	جامعة تكريت	العراق
أ.م.د. علي علي جبيلي ساجد	جامعة ملايا	ماليزيا
أ.م.د. حيد رصاحب شاكر	جامعة سامراء	العراق
أ.م. هدى عبد علي خطاب	جامعة بغداد	العراق
م.د. مهدي صالح محمد جدوع	جامعة تكريت	العراق
م.د. مزمل محمد عابدين	جامعة الإمام المهدي	السودان
د. فائق العمرو	جامعة اليرموك	الأردن

الأردن	جامعة اليرموك	د. محمد أحمد ربابعة
الأردن	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	د. عبد الرؤوف أحمد بني عيسى
السودان	جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم	د. بريسعد الدين
السودان	جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم	د. حسن الفاتح حسين
السودان	جامعة السلام	د. عادل حسن طه
مصر	جامعة ستة أكتوبر	د. أحمد عبد القوي محمد عبد الله
نيجيريا	جامعة أبوجا	د. طاهر فايز عبد الحميد عبد العال
العراق	الوقف السني/ دائرة التعليم الديني	د. مهند شهاب أحمد
العراق	مديرية تربية بغداد/ الكرخ 1	د. زينب إبراهيم السعدي
تشاد	جامعة أنجمينا	د. عبد الهادي أحمد عبد الكريم
العراق	كلية الإمام الكاظم (ع) الجامعة	د. عبد الحسن ناجي عطية
لبنان	الجامعة اللبنانية	د. محمد رضا رمال
العراق	مديرية التربية بغداد الكرخ الثانية	د. خلود هاشم جوي الوائلي
العراق	كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة. فرع واسط. البلد	د. انتظار نجم كوت
العراق	كلية الامام الكاظم ع اقسام النجف الاشرف البلد	د. صباح خضير عباس
العراق	وزارة التربية/ مديرية تربية واسط	م.د. أسماء حسن عبد علي
العراق	وزارة التربية مديرية تربية الرصافة الثانية الإشراف الاختصاص التربوي	د. بتول مالك عباس الفتلاوي

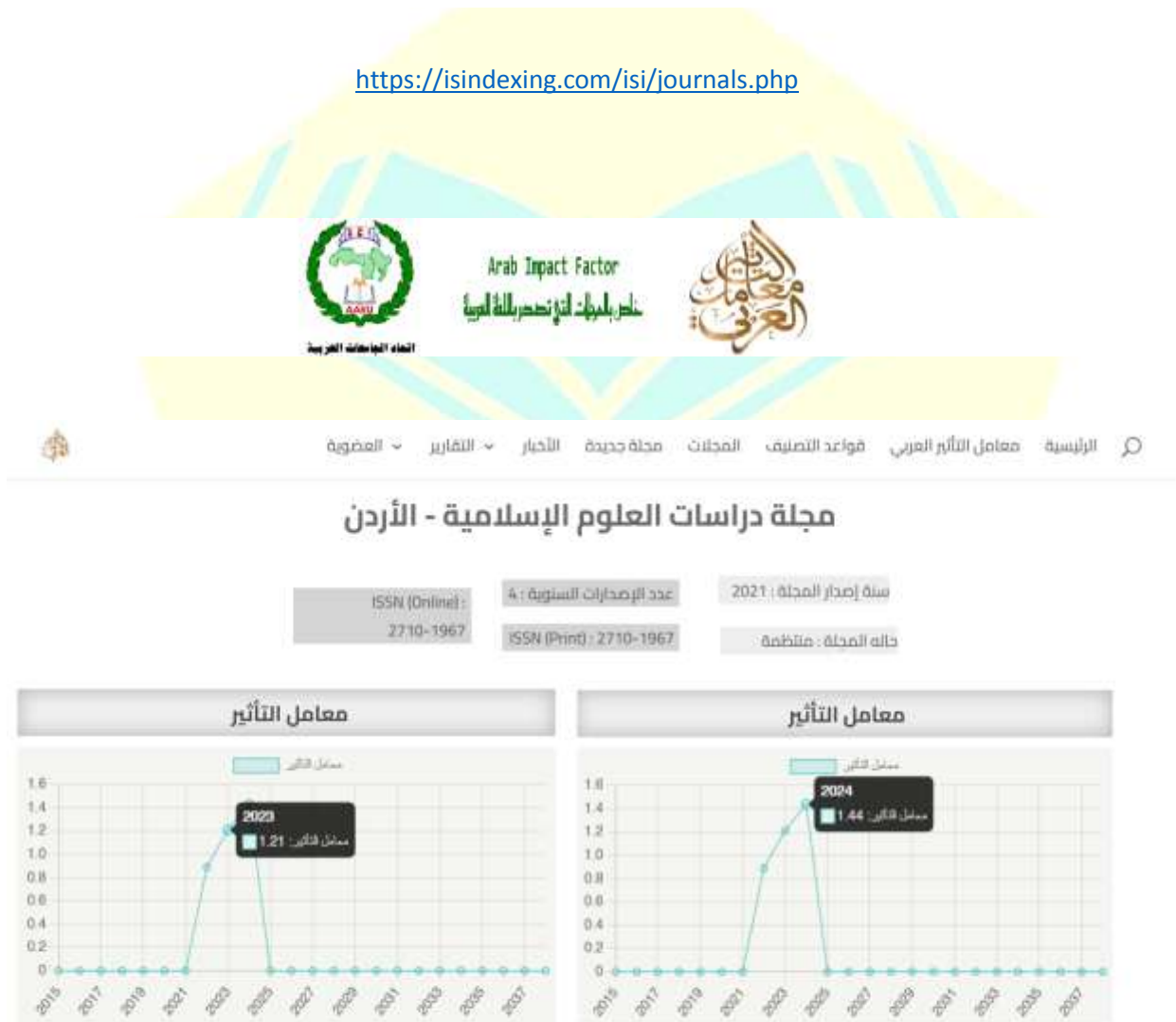
شروط النشر

- تقديم تعهد بعدم إرسال البحث لمجلة أخرى وعدم المشاركة به في مؤتمرات علمية.
- ألا تتجاوز صفحات البحث 20 صفحة ويكون ملخص البحث بلغتين لغة البحث بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية ان لم تكن هي لغة البحث، ويكتب عنوان البحث باللغة الانجليزية رفقة اسم الباحث والكلمات المفتاحية.
- تقدم الأبحاث مطبوعة على ورق من حجم A4 وتكون المسافة مفردة بين الأسطر مع ترك هامش من كلا الجوانب مسافة 4.5 سم، وأن يكون الخط (Traditional Arabic) قياس 14 باللغة العربية ويكون الخط (Times New Roman) قياس 12 باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وفق برنامج (Microsoft Word).
- يرقم التمهيش والإحالات ويعرض في أسفل الصفحة: المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، الطبعة، البلد، السنة، الصفحة أو ضمن البحث مع ذكر المؤلف وسنة النشر والصفحة.
- تتمتع المجلة بكامل حقوق الملكية الفكرية للبحوث المنشورة.
- على الباحث أن يكتب ملخصين للبحث: أحدهما بلغة البحث والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا يزيد عدد كلمات الملخص عن 150 كلمة. منهج العلمي المستخدم في حقل البحث المعرفي واستعمال أحد الأساليب التالية في الاستشهاد في المتن والتوثيق في قائمة المراجع، أسلوب إم إل أي (MLA) أو أسلوب شيكاغو (Chicago) في العلوم الإنسانية أو أسلوب أي بي أي (APA) في العلوم الاجتماعية، وهي متوافرة على الأنترنت.
- المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.
- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بمحتوى الموضوع.





<https://isindexing.com/isi/journals.php>



<https://arabimpactfactor.com/aif-report-2024>

افتتاحية العدد الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على فضله وإحسانه

والصلاة والسلام على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا

صدر العدد الثالث والعشرون كجزء من إصدارات المجلة المنتظمة وحرصنا على أن يكون عدد البحوث قليلا نسبيا ليرتفع نسبة ال Cite score مستقبلا لتكون المجلة أكثر رصانة مع الحفاظ على جودة البحوث المنشورة ونسعى لدخول مستوعبات عالمية رصينة جديدة حيث حصلت المجلة معامل التأثير العربي Arab Impact Factor بمعامل 1,49

شكرا للباحثين الذين منحوا المجلة ثقتهم وقدموا أبحاثهم المتميزة للنشر فيها .

والله ولي التوفيق

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية
رئيس التحرير
أ. د. محمد إبراهيم خليل السامرائي

المحتويات

الصفحة	المحتويات
20-1	أسس التماسك الأسري في القرآن الكريم ودورها في مواجهة تفكك الأسرة المعاصرة: دراسة موضوعية في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور أ.م.د. بتول مالك عباس / العراق / المديرية العامة لتربية الرصافة الثانية/ قسم الإشراف الاختصاص
38-22	القراءات القرآنية وتوجيهها في معجم لسان العرب لابن منظور : الجزء الأول من القرآن الكريم م. م. فاطمة باسم جبار / وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الثالثة
58-40	أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني دراسة تطبيقية م.م نور علي حسين / كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة
73-60	آيات الصرف في القرآن الكريم (دراسة تفسيرية مقاصدية) م.د. الاء عبد شنان / المديرية العامة لتربية بغداد / الرصافة الثالثة
93-75	الفروق اللغوية وأثرها في فهم النص القرآني حيدر فاضل جاسم علي السراجي / تربية الرصافة الثالثة
112-95	الصلح في الشريعة الإسلامية: دراسة تأصيلية في مشروعيته وأحكامه م. م احمد عبد الشهيد ياسين علي العيسى/ مديرية تربية النجف الأشرف
140-114	أحاديث فضائل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في مسند الإمام أحمد بن حنبل (دراسة وتحليل) م. د حيدر شعلان حسن ، العراق
157-142	القضاء والقدر عند الشيعة الامامية م.م زهراء أحمد حسن الياس / مديرية تربية بغداد الرصافة الثالثة
172-159	الوحي والايحاء في القرآن الكريم دراسة في المفهوم والاستعمال م . م عماد عزيز ناصر / متوسطة سيد البلغاء للبنين / مديرية تربية النجف الأشرف
197-174	دور التربية في تهذيب الانفعالات وتعزيز التفكير السليم دراسة تأصيلية تحليلية في ضوء الكتاب والسنة إعداد / إيمان فايز سنكري
232-199	الاعجاز العلمي في سورة النحل ضمن معطيات الذكاء الاصطناعي م . م أفرح علي حسين حافظ / مديرية تربية الرصافة الثالثة

أسس التماسك الأسري في القرآن الكريم ودورها في مواجهة تفكك الأسرة المعاصرة:

دراسة موضوعية في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور

أ.م.د. بتول مالك عباس

العراق / المديرية العامة لتربية الرصافة الثانية / قسم الإشراف الاختصاص

The Foundations of Family Cohesion in the Holy Quran
and Their Role in Curbing Contemporary

Family Disintegration: A Thematic

Study in Ibn Ashur's *Al-Tahrir wa-al-Tanwir* Exegesis

Asst. Prof. Dr. Batool Malik Abbas

Iraq / General Directorate of Education – Rusafa II

/ Specialized Supervision Department

Batoolmalik@gmail.com

1448هـ

2026م

أسس التماسك الأسري في القرآن الكريم ودورها في مواجهة تفكك الأسرة المعاصرة:

دراسة موضوعية في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور

أ.م.د. بتول مالك عباس

العراق / المديرية العامة لتربية الرصافة الثانية / قسم الإشراف الاختصاص

The Foundations of Family Cohesion in the Holy Quran and Their Role in Curbing Contemporary Family Disintegration: A Thematic Study in Ibn Ashur's *Al-Tahrir wa-al-Tanwir* Exegesis

Asst. Prof. Dr. Batool Malik Abbas

Iraq / General Directorate of Education – Rusafa II / Specialized Supervision

Department

Batoolmalik@gmail.com

المستخلص:

تتمثل مشكلة البحث في تنامي مظاهر التفكك الأسري في المجتمعات المعاصرة، وما يترتب عليها من اضطراب العلاقات الزوجية، وضعف الروابط بين أفراد الأسرة، وتراجع منظومة القيم الأسرية، مع الحاجة إلى استجلاء المعالجة القرآنية لهذه الظاهرة والإفادة منها في مواجهة تحديات الأسرة المعاصرة. ويهدف البحث إلى الكشف عن أسس التماسك الأسري في القرآن الكريم، وبيان دورها في معالجة التفكك الأسري، من خلال دراسة موضوعية للآيات ذات الصلة في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وتحليل ما تضمنته من توجيهات وقيم تشريعية وتربوية واجتماعية. ويتوقع البحث أن تكشف الدراسة عن تكامل المنهج القرآني في بناء الأسرة المتماسكة من خلال ترسيخ المودة والرحمة، وحسن المعاشرة، والعدل، والحوار، والتكافل، وتنظيم الحقوق والواجبات، فضلاً عن تقديم آليات متدرجة لمعالجة الخلافات الأسرية والحد من آثارها. ويوصي البحث بضرورة الاستفادة من التوجيهات القرآنية التي أبرزها ابن عاشور في برامج الإصلاح والإرشاد الأسري، وتعزيز القيم الأسرية في المؤسسات التعليمية والاجتماعية، وتوظيفها في بناء استراتيجيات معاصرة للوقاية من التفكك الأسري ومعالجته.

الكلمات المفتاحية: أسس، التماسك الأسري، تفكك الأسرة، التحرير والتنوير.

Abstract:

The research problem lies in the growing manifestations of family disintegration in contemporary societies and the resulting disruption of marital relationships, weakening of bonds among family members, and decline of the family value system. It also addresses the need to explore the Qur'anic approach to this phenomenon and benefit from it in confronting the challenges facing the contemporary family. The study aims to identify the foundations of family cohesion in the Holy Qur'an and demonstrate their role in addressing family disintegration through an objective study of the relevant verses in Ibn Ashur's Al-Tahrir wa Al-Tanwir. It analyzes the guidance, legal principles, and educational and social values contained therein. The research is expected to reveal the

comprehensive nature of the Qur'anic approach to building a cohesive family through fostering affection and mercy, good marital relations, justice, dialogue, mutual support, and the regulation of rights and responsibilities, in addition to providing gradual mechanisms for addressing family conflicts and limiting their consequences. The study recommends benefiting from the Qur'anic guidance highlighted by Ibn Ashur in family counseling and reform programs, strengthening family values within educational and social institutions, and employing them in developing contemporary strategies for preventing and addressing family disintegration.

Keywords:

Foundations, Family cohesion, Family breakdown, Al-Tahrir wa Al-Tanwir.

المقدمة:

تُعَدُّ الأسرة اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، إذ تضطلع بدور محوري في تكوين شخصية الفرد، وتنشئة الأجيال، وترسيخ القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية. وقد أولى القرآن الكريم الأسرة عناية بالغة، فوضع لها من التشريعات والتوجيهات ما يكفل استقرارها ويحفظ روابطها، وجعل العلاقة الزوجية قائمة على السكن والمودة والرحمة، ونظّم الحقوق والواجبات بين أفرادها، وحثّ على حسن المعاشرة والعدل والتسامح والإصلاح عند وقوع الخلاف. ويظهر هذا الاهتمام في جملة من الآيات التي تناولت مختلف جوانب الحياة الأسرية، بما يؤكد أن صلاح الأسرة واستقرارها يمثلان أساساً لصلاح المجتمع وتماسكه.

وفي المقابل، تشهد المجتمعات المعاصرة تنامياً ملحوظاً في مظاهر التفكك الأسري، نتيجة عوامل متعددة أدت إلى اضطراب العلاقات الزوجية، وضعف التواصل بين أفراد الأسرة، وتراجع القيم الأسرية، وما يترتب على ذلك من آثار نفسية وتربوية واجتماعية تمتد إلى الأبناء والمجتمع. ومن هنا تبرز الحاجة إلى العودة إلى المنهج القرآني واستجلاء أسسه في بناء الأسرة المتماسكة وبيان قدرته على معالجة مظاهر التفكك الأسري.

وتأتي هذه الدراسة للبحث في التماسك الأسري في القرآن الكريم ودوره في معالجة تفكك الأسرة المعاصرة، في ضوء دراسة موضوعية للآيات ذات الصلة، مع التركيز على ما أورده ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير من توجيهات وتفسيرات تكشف عن الأبعاد التشريعية والتربوية والاجتماعية للخطاب القرآني المتعلق بالأسرة. وتسعى الدراسة إلى بيان الأسس التي يقوم عليها التماسك الأسري، والقيم القرآنية التي تعززه، والمنهج المتدرج الذي وضعه القرآن لمعالجة الخلافات والنزاعات الأسرية والحد من آثارها.

أهمية البحث:

- تنبع أهمية البحث من أهمية الأسرة بوصفها الوحدة الأولى في بناء المجتمع، ومن خطورة التفكك الأسري وما يترتب عليه من آثار سلبية على الزوجين والأبناء والمجتمع. ويمكن إبراز أهمية البحث في النقاط الآتية:
1. بيان عناية القرآن الكريم ببناء الأسرة والمحافظة على تماسكها واستقرارها.
 2. الكشف عن الأسس القرآنية التي تقوم عليها الأسرة المتماسكة، وفي مقدمتها المودة والرحمة وحسن المعاشرة والعدل والحوار والتكافل.

3. إبراز منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بالأسرة، والكشف عن أبعادها التشريعية والتربوية والاجتماعية.
4. بيان المعالجة القرآنية المتدرجة للخلافات الأسرية، وما تتضمنه من وسائل للإصلاح والحد من الوصول إلى الطلاق.
5. الإسهام في الاستفادة من القيم والتوجيهات القرآنية في مواجهة مظاهر التفكك الأسري في الواقع المعاصر.
6. تقديم رؤية يمكن الاستفادة منها في برامج الإرشاد والإصلاح الأسري والمؤسسات التربوية والاجتماعية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أبرزها:

1. التعريف بمفهوم التماسك الأسري وتفكك الأسرة وبيان العلاقة بينهما.
2. الكشف عن مكانة الأسرة في التصور القرآني وأهميتها في بناء المجتمع.
3. تحديد أبرز الأسس التي أقام عليها القرآن الكريم بناء الأسرة المتماسكة.
4. بيان أثر المودة والرحمة والزواج والحقوق والواجبات والمسؤولية الأسرية في تحقيق التماسك الأسري.
5. التعرف على أهم القيم القرآنية التي تسهم في تعزيز الروابط الأسرية، كالبر وصلة الرحم والحوار والتفاهم والعفو والتسامح والعدل.
6. تحليل المنهج القرآني في معالجة الخلاف والنشوز والشقاق والطلاق والإصلاح والتحكيم.
7. الكشف عن أبرز توجيهات ابن عاشور المتعلقة بالتماسك الأسري وتفكك الأسرة في تفسير التحرير والتنوير.
8. بيان إمكانية الاستفادة من التوجيهات القرآنية في معالجة مشكلات الأسرة المعاصرة والوقاية من التفكك.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الموضوعي، وذلك بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بالتماسك الأسري وتفكك الأسرة، وتصنيفها وفق موضوعاتها، ثم دراستها وتحليل مضامينها في ضوء تفسير ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير. كما استعان البحث بالمنهج الاستقرائي في تتبع المواضع القرآنية والتفسيرية ذات الصلة بموضوع الأسرة، واستخراج الأسس والقيم والتوجيهات التي تسهم في تحقيق التماسك الأسري ومعالجة مظاهر التفكك.

كما استفاد البحث من المنهج المقاصدي في الكشف عن الحكم والغايات التي ترتبط بالتشريعات الأسرية، ولا سيما ما يتصل بحفظ الأسرة واستقرارها واستدامة العلاقة الزوجية، مع الاستعانة بالمصادر التفسيرية والفقهية والاجتماعية ذات الصلة؛ بهدف الربط بين التوجيه القرآني والواقع الأسري المعاصر، وبيان مدى إمكانية توظيف هذه التوجيهات في الوقاية من التفكك الأسري ومعالجته.

التمهيد: مفهوم التماسك الأسري والتفكك الأسري

المطلب الأول: مفهوم التماسك الأسري

الأسرة هي اللبنة الأولى التي يقوم عليها صرح المجتمع، وهي الوعاء الذي تُصاغ فيه شخصية الفرد، وتربى فيه الأجيال على القيم والمبادئ، ولذلك لم يترك القرآن الكريم شأن الأسرة دون تنظيم وتوجيه، بل جاءت آياته حافلة بما يحقق لها الاستقرار والتماسك. ومن أبرز ما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ⁽¹⁾، فقد جعل الله السكن والمودة والرحمة أساساً فطرياً تقوم عليه الرابطة الزوجية، وهذا الأساس هو الذي يحفظ للعلاقة دوامها وألفتها⁽²⁾.

والتماسك الأسري بهذا المعنى ليس شعاعاً نظرياً، وإنما غاية شرعية تتحقق من خلال التزام الزوجين بما رسمه الله لهما من قواعد سلوكية تحفظ العلاقة من التصدع.

أما تفكك الأسرة فهو النقيض الموضوعي للتماسك، ويتمثل في انحلال الروابط بين أفراد الأسرة، وضعف الشعور بالمسؤولية المتبادلة بينهم، حتى تنتهي العلاقة إلى القطيعة أو الطلاق. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض أسباب هذا التفكك، ومنها الشح النفسي والاستئثار، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا⁽³⁾﴾. ففي هذه الآية تحذير من الانسياق وراء دواعي الاستعلاء والإعراض التي تُفضي إلى تمزيق الرابطة الزوجية، ودعوة صريحة إلى الصلح باعتباره السبيل الأمثل لحفظ التماسك الأسري⁽⁴⁾.

المطلب الأول: مفهوم التماسك الأسري

التماسك في أصل اللغة مأخوذ من مادة (مسك)، وهو الإمساك والاستمسك بالشيء وعدم إفلاته⁽⁵⁾. وإذا أُضيف هذا المعنى إلى الأسرة، فالمراد به ثبات الروابط بين أفرادها، وقيامها على أسس تحول دون تصدعها أو انحلالها.

ومن أبرز ما يقوم عليه هذا التماسك بيان الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ⁽⁶⁾﴾. وقد علّق ابن عاشور على هذه الآية بقوله: إن هذه الآية من أعظم ما أصلحه الإسلام من أحوال البشر، إذ ضبطت حقوق الزوجين على وجه لا يبقى معه مجال للهضم أو الظلم، وكانت من أول ما أنزل في الإسلام من هذا الباب⁽⁷⁾. فمتى عرف كل من الزوجين حق الآخر وقام به، تحقق الأساس الذي يقوم عليه بنیان الأسرة المتماسكة.

كما تدخل القوامة في صميم هذا المفهوم، وأصلها قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ⁽⁸⁾﴾. فالقوامة ليست سلطة تسلط، وإنما مسؤولية رعاية وإصلاح، ومن ثم فإن حسن القيام بما من الرجل، وحسن التسليم بمقتضاها من المرأة في حدود المعروف، من أهم ما يحفظ للأسرة تماسكها ويصون كيانها من التصدع⁽⁹⁾.

(1) سورة الروم، الآية 21.

(2) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 71/21.

(3) سورة النساء، الآية 128.

(4) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 216/5-218.

(5) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة مسك، 488/10.

(6) سورة البقرة، الآية 228.

(7) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 398/2.

(8) سورة النساء، الآية 34.

(9) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 38/5.

ويضاف إلى ذلك الأمر بحسن العشرة، في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكَرَّهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽¹⁾، حيث أرشد الله الزوج إلى التريث وعدم الاستعجال بالفراق عند حصول الكراهية، وهو معنى يرسخ الصبر والتحمل كأساس لدوام العلاقة⁽²⁾.

المطلب الثاني: مفهوم تفكك الأسرة

التفكك في أصل اللغة نقيض التماسك، وهو انحلال الأجزاء المرتبطة ببعضها ببعض، وإذا أُضيف إلى الأسرة فالمراد به انحلال الروابط بين أفرادها حتى تفقد وظيفتها. ولذلك عُنيَتْ أكثر القوانين والشرائع بحماية الأسرة، وجعل الزواج قائماً على الثبات والاستمرار، إذ لا يعطي الزواج ثماره المرجوة منه إلا إذا نُظر إليه على أنه رباط دائم لا انفصال له، لا وسيلة يتخلى عنها أحد الطرفين لأتفه الأسباب في أية لحظة. ولا يقتصر التماسك على الجانب المادي من رعاية اقتصادية أو صحية فحسب، بل يذهب علماء النفس إلى أن الأسرة المتكاملة هي التي توفر لأبنائها فوق ذلك الجو النفسي الملائم، فقد يقيم الطفل مع والديه مادياً بينما هو محروم نفسياً من دفء الأسرة وتماسكها⁽³⁾.

ويُراد بكلمة (الأسرة) بوجه عام تلك الجماعة الصغيرة ذات الأدوار والمراكز الاجتماعية، كالزوج والأب والابن والابنة، يربط بينها رباط الدم أو الزواج أو التبني، وتشترك في سكن واحد وتتعاون اقتصادياً، فليس ثمة بديل يقوم مقام عطف الأم وحنانها، ولا يقل عنه دور الأب باعتباره النموذج والقُدوة، فضلاً عن دور الإخوة والأخوات في حياة كل فرد من أفراد الأسرة، وغياب أحد هذه الأدوار أو اختلاله من أبرز أسباب التفكك. ومن صور هذا التفكك ما ينتج عنه من أنماط أسرية غير مكتملة، كالمرأة المطلقة وأطفالها، أو الزوج المطلق وأطفاله، أو الأرمل والأرملة وأطفالهما⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: أسباب تفكك الأسرة ومظاهره

عُدَّ تفكك الأسرة من أخطر القضايا الأسرية؛ لما له من آثار سلبية على الأفراد والأسر والمجتمع والأمة بأسرها، وقد أكدت دراسات اجتماعية أن التفكك الأسري من الأسباب الرئيسة للانحرافات السلوكية، وأن معظم الشباب الذين قُدموا للمحاكم نتيجة قضايا أخلاقية أو جنائية عاشوا في ظل أسر مفككة. ومن أبرز أسبابه غياب أحد الوالدين أو كليهما، سواء غياباً حقيقياً بوفاة أو طلاق، أو غياباً رقابياً بانشغالهما عن التربية بالعمل أو وسائل التواصل، فيعيش الأبناء كالأيتام، وقد أحسن أحمد شوقي⁽⁵⁾ حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة، وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أمّاً تحلّت، أو أباً مشغولاً⁽⁶⁾

(1) سورة النساء، الآية 19.

(2) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 286/4.

(3) ينظر: التفكك الأسري (الأسباب والحلول المقترحة)، لنخبة من الباحثين، كتاب الأمة، جمادى الأولى 1422هـ، 109/1.

(4) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 109-110.

(5) أحمد شوقي شاعر ومسرحي مصري، ولد بالقاهرة في 1868م وتوفي فيها عام 1932م، من أسرة متصلة بقصر الخديوي، درس الحقوق في مصر ثم في فرنسا، وعمل في ديوان الخديوي قبل أن ينفي إلى إسبانيا (1914-1920م) ثم عاد إلى مصر حيث بايعه الشعراء أميراً لهم سنة 1927م، وله دواوين أشهرها (الشوقيات) الذي جمع قصائده المتنوعة الأغراض، فصدر في أجزاء متعددة، وأعيد طبعه وتحقيقه مرات عديدة. ينظر: حياة شوقي،

لاحمد محفوظ (د.ت)، دار المعارف _ القاهرة، ص 25.

(6) ينظر: الشوقيات، لأحمد شوقي، 183/1.

ومن أسبابه أيضًا تردّي الوضع الاقتصادي كعدم وجود عمل للأب أو عدم كفاية المال لاحتياجات الأسرة، مما قد يدفع بعض أفرادها لمسالك السوء طلبًا له، وكذلك ضعف الإيمان، إذ إن البيوت تُبنى على الإيمان والطاعة، فإذا ضعف لدى الزوجين أو أحدهما سهّل الوقوع في الخطايا، فتضعف مناعة الأسرة أمام الأمراض الاجتماعية الوافدة⁽¹⁾. وتتمثل مظاهر هذا التفكك في ضعف الرقابة الأسرية، وانحراف بعض الأبناء سلوكيًا، وضعف الوازع الديني الذي يحصّن الأسرة، وقد حذر القرآن الكريم من مثل هذه المسالك⁽²⁾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾⁽³⁾، وقوله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾⁽⁴⁾، وهذه الآثار مجتمعة تؤول في النهاية إلى انهيار البناء الأسري وتفككه⁽⁵⁾.

المطلب الرابع: مكانة الأسرة في التصور القرآني

لم يرد لفظ (الأسرة) بعينه في القرآن الكريم، وإنما وردت ألفاظ تقترب من مدلوله كـ(الأهل) و(الآل) الدالة على جماعة الرجل وعشيرته⁽⁶⁾. ومع ذلك فلا يُستدل على عناية القرآن بالأسرة بتكرار اللفظ، بل بمدى التفصيل التشريعي والقيمي الذي أولاه لمكوناتها وعلاقاتها وحقوق أفرادها وواجباتهم.

ولم يفرض القرآن نغما واحدا للأسرة، نوية كانت أو ممتدة، وإنما رسم الحدود والقيم التي تؤطر العلاقات الناشئة عن الزواج المشروع، فتشابكت فيها رابطة الزوجية مع روابط المصاهرة والنسب، كما يظهر جليا في تفصيل أحكام الميراث المضبوطة المتشعبة. وتتجلى مكانة الأسرة في كونها اللبنة الأولى لتشكيل المجتمع، إذ تبقى دائرة الزوجين هي الدائرة المركز التي تتفرع عنها بقية الدوائر: تربية وتنمية في دائرة الأبناء، وتعاملا وإحسانا في دائرة النسب والصهر، وعمرانا واستخلافا في دائرة الأمة، فلا يستقيم الحديث عن أمة راشدة دون جماعة أسرية سوية. وقد أكد ابن عاشور هذا الترابط بين صلاح الأسرة وصلاح الأمة، إذ قرر أن المقصد العام من التشريع هو «حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمين عليه وهو الإنسان»⁽⁷⁾، كما بيّن في حديثه عن حفظ النسب أنه «عند التحقيق من قبيل الحاجي، ولكنه شبيه بالضروري، وإلى ذلك الأصل ترجع الأحكام الشرعية الحائلة حول حياته من الانخراط»⁽⁸⁾.

ويضيف في تعريفه للفترة أنما «النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق»⁽⁹⁾، وأن «الأصول الفطرية هي التي خلق الله عليها الإنسان المخلوق لعمران العالم»⁽¹⁰⁾؛ فالأسرة بهذا تجسيد لهذا النظام الفطري الذي يقوم عليه انتظام الاجتماع الإنساني.

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

(1) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، 3/125.

(2) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، 1/119؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 5/500.

(3) سورة البقرة، الآية 208.

(4) سورة المؤمنون، الآية 115.

(5) ينظر: قيمة الزمن عند العلماء، لأبي غدة، ص 27.

(6) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (أسر)، 1/107؛ ولسان العرب، لابن منظور، مادة (أسر)، 4/19.

(7) مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر ابن عاشور، ص 194.

(8) جبهة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، جمع: محمد الطاهر الميساوي، 2/849.

(9) مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر ابن عاشور، ص 172.

(10) المصدر السابق نفسه، ص 183.

المبحث الأول: أسس التماسك الأسري في القرآن الكريم عند ابن عاشور

المطلب الأول: المودة والرحمة وأثرهما في استقرار الأسرة

ينطلق البناء الأسري في التصور القرآني من كون العلاقة الزوجية آية من آيات الله تعالى الدالة على عظيم قدرته وبديع صنعته، لا مجرد رابطة عابرة تملئها الحاجة أو الغريزة. فقد جعل الله سبحانه بين الزوجين سكناً ومودة ورحمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

إن ما يقوم بين الرجل وامرأته من تواد وتراحم وسكون أمر باطن مشهود بعين الفكرة والبصيرة، فمتى نظر الناظر بهذه العين إلى الحكمة والقدرة التي صدر عنها ذلك، دلّه ذلك على أن الله هو الإله الحق الذي أقرت الفطرة بروبيته وإلهيته وحكمته⁽²⁾.

ومن الأمور التي ينبغي الوقوف عندها في هذه الآية الكريمة هو أنها ختمت بصيغة الجمع (آيات) لا بصيغة المفرد؛ وذلك لأن الله سبحانه أودع في هذا الشأن من شؤون خلقه آيات متعددة: منها أن جعل للإنسان أزواجاً للتناسل، وأن جعل تناسله بالتزاوج، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه، وأن جعل في ذلك التزاوج أنسا بين الزوجين، وأن جعل بينهما مودة ورحمة مع أنه لم يكن بينهما قبل التزاوج أنس ولا معرفة⁽³⁾.

وينبغي أن يكون هذا المعنى حاضراً في تصور الزوجين وتطبيقهما، بأن يستحضرا أن ما امتنّ الله تعالى به عليهما من التواد والتراحم إنما هو من قيام هذه العلاقة أصلاً، وأن سببه الفطرة التي أقامها الله تعالى عليها بين المرتبطين بهذه الرابطة، وهو ما يقتضي أن يحرص كل منهما على تنمية أسباب هذه المودة، وشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة. ومن لطائف التعبير القرآني في هذا السياق أن الآية عدّت فعل (تسكنوا) بحرف (إلى)، خلافاً للأصل في تعديته؛ وذلك ليحمل معنى الميل، أي: (لتميلوا إليها)، وفي ذلك دلالة على أن السكن المقصود سكن نفسي قائم على الميل والانجذاب، لا مجرد سكن حسي عابر⁽⁴⁾.

ومن المعلوم أن اختلاف طبائع البشر قد يكون سبباً لوقوع خلاف بين الزوجين، إلا أن هذا الخلاف لا ينبغي أن يصل إلى البغضاء وانتفاء الرحمة، فإذا استشعر أحد الزوجين من نفسه تجاه صاحبه شيئاً من هذا فينبغي أن يبادر بعلاجه، بالأخذ بأسباب المودة والرحمة: من لين القول، وحسن المعاملة، والصبر على يسير التقصير، والتماس المحاسن، والإغضاء عن الهفوات، كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: ((لا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))⁽⁵⁾.

وإذا عظمت أسباب الشقاق وانتفت المودة بين الزوجين، فإن الرحمة تبقى قائمة؛ لأنها تنشأ عن سابق المودة، وعن استشعار كل من الزوجين حاجة صاحبه إليه، وواجهه هو تجاهه، فتُحفظ بذلك العشرة، ويستمر بينهما الإحسان⁽⁶⁾. والحاصل أنه ينبغي للزوجين أن يحرصا على أن يكون ارتباطهما قائماً على السكينة والمودة والرحمة؛ استجابة لداعي الفطرة، وامثالاً لأمر الله تعالى.

(1) سورة الروم، الآية: 21.

(2) ينظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم، 186/1.

(3) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 71/21.

(4) ينظر: المصدر السابق نفسه، 72/21.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث (1469)، 1091/2.

(6) التفسير الكبير للرازي، 112-111/25.

المطلب الثاني: الزواج وأثره في بناء الأسرة المتماسكة

شرح الله تعالى الزواج تكريماً لبني آدم، وجعله وسيلة التناسل التي تُميّز الإنسان عن سائر الحيوانات، وقد شرع لهذا الجانب من حياة الإنسان أحكاماً تنظمه؛ حفظاً للأنساب، ورعاية لسبل الاستقرار، ليقوم الإنسان في هذه الدنيا بالغاية التي خلُق لأجلها وهي العبادة⁽¹⁾.

ولما كانت شريعة الإسلام هي آخر الشرائع، والقرآن الكريم هو آخر الكتب؛ جاءت الغاية في الحُسن في أحكام النكاح متكاملة، ببيان ما يترتب عليه من حقوق وواجبات، وإيضاح الأسس التي تنبني عليها العلاقة الزوجية في صورتها المثلى، ليتحقق منها مقصودها وتوثق أكلها⁽²⁾.

ومما يُبرز مكانة الزواج في الإسلام وعظيم أثره في ضبط العلاقات الاجتماعية، ما روته عائشة رضي الله عنها عن أنكحة الجاهلية الأربعة، التي كان منها نكاح الاستبضاع، ونكاح تعدد الرجال على المرأة الواحدة، ونكاح البغايا اللاتي ينصبن الرايات على أبوابهن، حتى جاء الإسلام فهدم ذلك كله، ولم يُقرّ إلا نكاح الناس اليوم القائم على الخطبة والولي والصدق⁽³⁾. ومن الأوصاف القرآنية الدالة على عظيم قدر هذه الرابطة وما ينبغي أن تحاط به من صيانة، وصف عقد النكاح بأنه ميثاق غليظ، في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾⁽⁴⁾. وقد فُسِّر هذا الميثاق الغليظ بأنه عقدة النكاح على نية إخلاص النية ودوام الألفة⁽⁵⁾. وهذا المعنى يقتضي أن يستحضر الزوجان في كل أطوار حياتهما أن هذه الرابطة ليست عقداً عابراً، وإنما هي ميثاق يستوجب الوفاء والرعاية، وهو ما يجعل قيامها على أساس قرآني سليم ضامناً لاستقرار الأسرة وازدهار المجتمع من حولها.

المطلب الثالث: الحقوق والواجبات الأسرية

من القواعد الجوهرية التي أرساها القرآن الكريم لضبط العلاقة الزوجية قاعدة توازن الحقوق والواجبات، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾⁽⁶⁾. وقد عُدَّت هذه الآية الكريمة من جملة ما أصلحه الإسلام من أحوال البشر؛ إذ ضبطت حقوق الزوجين وكافأت بينهما بوجه لم يبق معه مدخل للهزيمة والظلم، وكانت هذه الآية الكريمة من أول ما أنزل في الإسلام في هذا الشأن⁽⁷⁾.

ولا يقصد من هذه المماثلة تساوي الحقوق في أعيانها وأفرادها، وإنما المراد أن ثمة تماثلاً في استحقاق كل من الزوجين على الآخر حقوقاً هي واجبات عليه، وإن اختلفت هذه الحقوق تبعاً لاختلاف طبيعة كل منهما⁽⁸⁾. ولفظ (المعروف) الوارد في الآية يحتمل معنيين: أحدهما ما تعارف عليه الناس من الحقوق مما لم يرد له تفصيل من الشرع، وإنما مرده إلى العرف، كمقدار النفقة الواجبة على الزوج، ونوع السكنى. والآخر ما تعرفه العقول السليمة المجردة من الانحياز إلى الأهواء، وهو ما جاء به الشرع نصاً أو قياساً، أو اقتضته المقاصد الشرعية العامة⁽¹⁾.

(1) ينظر: القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية في القرآن الكريم، لعصام الصديق يعقوب، المجلة العلمية لعلوم الشرعية، كلية علوم الشريعة / جامعة المرقب، العدد السابع، 2024-1445، ص20.

(2) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص20.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي، رقم الحديث (5127)، 369/3.

(4) سورة النساء، من الآية: 21.

(5) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 290/4.

(6) سورة البقرة، من الآية: 226.

(7) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 398/2.

(8) ينظر: المصدر السابق نفسه، 398/2؛ وتفسير المنار، محمد رشيد علي رضا، 375/2.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ﴾ فقد تعددت أقوال المفسرين في بيانها، ويمكن إرجاعها إلى أن الحقوق التي حكم بها الشرع للرجل على زوجته هي من حيث حقيقتها أعظم من الحقوق التي حكم بها للمرأة على زوجها، كوجوب طاعته عليها دون العكس، وأن هذه الدرجة قد تكون فيما خصّ الله به الرجال من مزيد فضل يظهر في بعض الأحكام كالجهاد والميراث والولاية، وقد تكون في كون الرجال أكمل عقلاً وأقدر على ضبط النفس والصفح عما يقع من تقصير نسائهم دون أن يقابلوا ذلك بتقصير مماثل⁽²⁾.

المطلب الرابع: المسؤولية الأسرية وأثرها في تحقيق التماسك

جعل القرآن الكريم مسؤولية القيام على شؤون البيت وإدارة متطلباته منوطة بالرجل، في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾⁽³⁾. والقوامة مأخوذة من القيام، بمعنى المحافظة والإصلاح، فالمراد بها الذي يقوم على شأن شيء ويليه ويصلحه⁽⁴⁾.

وترجع عبارات المفسرين في بيان المراد بقوامة الرجال على النساء في مجملها إلى أن للرجل على زوجته حق الطاعة في المعروف، وهو مسؤول عن إرشادها لما فيه استقامة أمرها وقيامها بحق الله تعالى وحقه، كما أنه مأمور بحمايتها ورعايتها⁽⁵⁾. وقد ذكر الله تعالى سببين لاستحقاق الرجل هذه القوامة: أحدهما ما فضّل الله به الرجال من سمات وخصائص خلقية وخلقية، وهو الأمر الفطري الذي يحمل معنى التشريف، والآخر ما أوجبه الشرع على الرجال من واجبات مالية كالصداق والنفقة، وهو الأمر الذي يحمل معنى التكليف⁽⁶⁾.

وينبغي أن يلحظ الزوجان معاً هذا المعنى الشمولي للقوامة، فيلحظ الرجل أن قوامته تتعلق بمسؤوليات ينبغي له القيام بها، وليس مما يوافق أحكام الشرع ومقاصده أن يحرص على استيفاء حقوقه في الطاعة والاستئذان والإحسان ونحو ذلك، وهو مقصر في واجباته؛ وينبغي على المرأة بالمقابل أن تلحظ أن الله تعالى اختص الرجل بسمات تؤهله لقيادة الأسرة، وأوجب عليها طاعته في المعروف، وليس مما يوافق الشرع ومقاصده أن تطالبه بحقوقها وواجباته تجاهها وهي مقصرة عن حقوقه والتزاماتها تجاهها، أو أن تعتقد أن اختصاص الرجال بالقوامة ظلم لها وهضم لحقوقها⁽⁷⁾.

فقوامة الرجل في الأسرة المسلمة أساس راسخ يحقق للأسرة الاستقرار، ويجلب السعادة للرجل والمرأة، شرط أن تكون القوامة وفق شرع الله، بالعدل والحلم، تشريعاً وتكليفاً لا استبداداً وتسلطاً.

المبحث الثاني: القيم القرآنية ودورها في تعزيز التماسك الأسري

المطلب الأول: بر الوالدين وصلة الرحم

يُعدّ بر الوالدين وصلة الرحم من أعظم القيم القرآنية التي تُعنى بتسيخ التماسك الأسري، وقد أولاها ابن عاشور عناية خاصة في تفسيره، منطلقاً من بيان معنى التربية ذاتها، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾⁽⁸⁾،

(1) ينظر: المصدر السابق نفسه، 400/2؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية، 85/34.

(2) ينظر: جامع البيان للطبري، 124-121/4؛ والمحرر الوجيز لابن عطية، 306/1.

(3) سورة النساء، الآية: 34.

(4) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 38/5.

(5) ينظر: جامع البيان للطبري، 687/6؛ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، 292/2؛ وفتح القدير للشوكاني، 737/1.

(6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 280-278/6؛ وتفسير المنار، 70-68/5.

(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 283-282/6.

(8) سورة الإسراء، آية: 24.

يوضح أن «التربية تكملة للوجود، وهي وحدها تقتضي الشكر عليها، والرحمة حفظ للوجود من اجتناب انتهاكه، وهو مقتضى الشكر، فجمع الشكر على ذلك كله بالدعاء لهما بالرحمة»⁽¹⁾. ومن هنا يتبين أن الأمر ببر الوالدين ليس مجرد حكم تعبدية مجرد، بل هو استجابة طبيعية لمعنى التربية التي أفاضها الوالدان على الولد.

ولم يقف ابن عاشور عند هذا الحد، بل حاول استجلاء المقاصد التربوية الكامنة وراء الأمر ببر الوالدين وصلة الرحم، فردّها إلى مقصدين اثنين: أحدهما نفساني، وهو _ كما يقول _ «تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر، تخلّقاً بأخلاق الباري تعالى في اسمه الشكور، فكما أمر بشكره على نعمة الخلق والرزق أمر بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصوري، ونعمة التربية والرحمة، وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها، وتنبيه على المنافسة في إسدائها»⁽²⁾. أما المقصد الثاني فهو عمري، يتجلى في شد أواصر القرابة بين أفراد الأمة، إذ «المقصد الثاني عمراني وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرى، مشدودة الوثوق، فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة؛ ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم... وفي هذا التكوين لأواصر القرابة صلاح عظيم للأمة، تظهر آثاره في مواساة بعضهم بعضاً، وفي اتحاد بعضهم مع بعض»⁽³⁾.

ويتضح من هذا العرض أن بر الوالدين وصلة الرحم عند ابن عاشور ليسا سلوكاً فردياً محضاً، بل هما ركيزتان تُبنى عليهما متانة النسيج الأسري والاجتماعي معاً، فالفرد الذي يترى على الشكر والاعتراف بالجميل تجاه والديه هو ذاته الذي يمتد أثر تربيته إلى محيطه الأوسع، فتتوطد به الروابط الأسرية، وتتحقق للأمة عناصر القوة والتماسك التي تحصنها من عوامل التفكك.

المطلب الثاني: الحوار والتفاهم بين أفراد الأسرة

أرسى القرآن الكريم مبدأ الحوار والتفاهم كوسيلة أساسية لمعالجة ما قد يعرض للعلاقة الزوجية من خلاف، وذلك عبر التدرج في المعالجة قبل اللجوء إلى الفراق، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾⁽⁴⁾، توضح الآية المباركة طريقة التعامل مع المرأة الناشز؛ حيث جعل الله تعالى التعامل معها على مراحل: ف«المرحلة الأولى: الموعظة، بتذكيرها بحق الله وحق زوجها، وما افترض الله عليها من طاعته بالمعروف، فإن رجعت إلى طاعته فهو المقصود...»⁽⁵⁾، وهو ما يكشف عن أن الأصل في معالجة الخلاف الأسري هو التواصل اللفظي القائم على التذكير والتفاهم قبل أي إجراء آخر.

كذلك يبرز مبدأ الصلح بوصفه أرقى صور التفاهم بين الزوجين، إذ يقول تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾⁽⁶⁾، وقد بين ابن عاشور أن «الصلح خير مطلقاً، فكل صلح هو خير، وسبيل للخير»⁽⁷⁾، مما يدل على أن القرآن الكريم يربّع الزوجين في الوصول عبر الحوار المتبادل إلى تسوية ترضي الطرفين، ولو تنازل كل منهما عن بعض حقه، حفاظاً على كيان الأسرة من الانقسام. وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: «هو الرجل يرى من امرأته ما لا

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 5/81.

(2) المصدر السابق نفسه، 5/81.

(3) التحرير والتنوير: 5/84.

(4) سورة النساء، من الآية: 34.

(5) القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية في القرآن الكريم، لعصام الصديق يعقوب، ص 26.

(6) سورة النساء، من الآية: 128.

(7) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 5/216؛ والقواعد السلوكية للعلاقة الزوجية، لعصام الصديق يعقوب، ص 32.

يعجبه... فيريد فراقها، فتقول: لا تفارقي، وأمسكي، وأنت في حل من شأني»⁽¹⁾، وهو أثر يجسد صورة عملية للحوار الذي يفضي إلى استمرار العلاقة الزوجية بدل قطعها.

ويؤكد هذا التوجه القرآني ما ورد في سورة التحريم من الأمر بوقاية الأهل، والذي فسره العلماء بالتواصل والتوجيه المستمر داخل الأسرة، فالحوار الأسري لا يقتصر على معالجة الخلاف، بل يمتد ليكون أداة تربوية دائمة بين أفراد الأسرة⁽²⁾. وقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾⁽³⁾ أنه قال: (علموا أنفسكم وأهليكم الخير)⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: العفو والتسامح وحسن المعاشرة

من أبرز القيم التي أكد عليها القرآن الكريم في بناء العلاقة الزوجية قيمة حسن المعاشرة والصبر على ما يكره الإنسان من صاحبه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽⁵⁾. وقد التفت ابن عاشور إلى دققة بلاغية بالغة الأثر في هذه الآية الكريمة، إذ يقول: «أعقب النهي بالأمر بحسن المعاشرة معهن، فهذا اعتراض فيه معنى التذييل لما تقدم من النهي؛ لأن حسن المعاشرة جامع لمعاني الإحسان والصحبة»⁽⁶⁾، وهذا يدل على أن حسن المعاشرة ليس مجرد كف عن الأذى، بل هو مبدأ إيجابي جامع يشمل صنوفاً من الإحسان والود.

ويتصل بهذا المعنى الدعوة القرآنية إلى الصبر على ما يكرهه أحد الزوجين من الآخر تحقيقاً للمصلحة الأشمل، فالله تعالى «أرشد الزوج هنا إلى التريث، وعدم الانسياق مع ما تمليه النفس من الفراق، وأعلم عباده أن الزوجة المكروهة لزوجها قد تحمل له خيراً كثيراً، كأن يرزق منها ولداً صالحاً»⁽⁷⁾، ويشهد لهذا المعنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يَفْرُكُ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خُلُقاً رَضِيَ منها آخر))⁽⁸⁾، أي أنه صلى الله عليه وسلم نهى الزوج أن يُغض زوجته يُغضاً يؤدي إلى ظلمها وتركها والإعراض عنها وإن كره منها خُلُقاً سيئاً؛ لأن الإنسان مجبول على النقص، ولعله يجد فيها خلُقاً آخر حسناً؛ فيرضى بالحسن الذي يوافقه، ويصبر على ما لا يرضى من السيئ، مما يجعله يصبر ولا يكرهها كرهاً يحمله على فراقها. وهو حديث يرسخ مبدأ التسامح والإغضاء عن المفوات باعتباره سلوكاً إيمانياً لا مجرد خلق اجتماعي عابر⁽⁹⁾.

كما يتجلى هذا المعنى في مبدأ الصلح ذاته، حين رغب القرآن الزوجين في التنازل المتبادل بدل التمسك الحرفي بالحقوق، وقد وصف ابن عاشور هذا الترغيب بقوله: إن الآية دلت على الترغيب في الصلح «بمؤكدات ثلاثة: المصدر المؤكد

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب باب قول الله تعالى ﴿أَنْ يَصَالِحَا بَيْنَهُمَا صِلِحًا وَالصِّلِحَ خَيْرٌ﴾، رقم الحديث (2548)، 2/ 958.

(2) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، 324/3، وتابعه مفسرون آخرون دون تخريج، وبعد البحث عنه تبين أن الحاكم النيسابوري أخرجه في مستدركه على الصحيحين بالرقم (3826)، 2/ 535، وقال عنه: ((هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرَجَاهُ))

(3) سورة التحريم، الآية: 6.

(4) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ)، رقم الحديث 4674، 539/2.

(5) سورة النساء، آية: 19.

(6) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 4/286.

(7) القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية، لعصام الصديق يعقوب، 31.

(8) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب أبواب الإرضاع، باب لا يبغض مؤمن مؤمنة، برقم (3639)، (4/ 178)؛ وبهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، لسليم الهلالي (1/ 359).

(9) ينظر: موقع الدرر السنية، مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة، المشرف العام علوي بن عبد القادر السقاف،

/https://dorar.net

لعامله في قوله: ﴿صُلِحًا﴾، والإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، والإخبار عنه بالمصدر أو بالصفة المشبهة⁽¹⁾، مما يعكس عناية القرآن الكريم البالغة بغرس ثقافة التسامح في صميم بنية الأسرة.

المطلب الرابع: العدل والإنصاف في العلاقات الأسرية

يقوم البناء الأسري في التصور القرآني على قاعدة جوهرية هي التوازن بين الحقوق والواجبات، وقد عبّر عن هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾⁽²⁾، وهي الآية الكريمة التي وصفها ابن عاشور بأنها (قاعدة الحقوق والواجبات) في العلاقة الزوجية، فقال: «كان من جملة ما أصلحه الإسلام من أحوال البشر ضبط حقوق الزوجين... فلم يبق معه مدخل للهزيمة... وكانت هذه الآية العظيمة، فكانت هذه الآية من أول ما أنزل في الإسلام في هذا الباب»⁽³⁾. ومن المؤكد أن هذا التماثل في الآية الكريمة ليس تماثلاً في حقائق الحقوق، بل هو تماثل في أصل الاستحقاق المتبادل، «فكل حق للرجل على زوجه يقابله حق لها عليه، وإن اختلفت الحقوق للاختلاف بين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة»⁽⁴⁾.

أما مسألة القوامة الواردة في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾⁽⁵⁾، فهي ليست تسلطاً مجرداً، بل هي مسؤولية ذات وجهين: تشريف وتكليف معاً، ف«القوامة... تتعلق بمسؤوليات ينبغي له القيام بها، وليس مما يوافق أحكام الشرع ومقاصده أن يحرص على استيفاء حقوقه في الطاعة والاستئذان والإحسان ونحو ذلك؛ وهو مقصر في واجباته»⁽⁶⁾، وبذلك يتضح أن العدل يقتضي أن يمارس الرجل قوامته في حدود ما شرعه الله تعالى من رعاية ومسؤولية، لا في صورة استعلاء أو تسلط ينافي روح الإنصاف.

ويرتبط بهذا المعنى ما نَبّه إليه ابن عاشور من كون هذا العدل في الحقوق أساساً يقوم عليه استقرار الأسرة برمتها، إذ يقول: «معرفة كلا الزوجين حقوق الآخر، وقيام كل بما عليه على الوجه الذي شرعه الله... أساسٌ يقوم عليه ببناء الأسرة، ويتحقق من خلاله استقرارها؛ حتى تؤدي دورها في راس المجتمع»⁽⁷⁾، وهو ما يجعل العدل والإنصاف بين الزوجين ليس مجرد فضيلة أخلاقية فردية، بل ركيزة بنيوية لا يستقيم التماسك الأسري في غيابها، ولا يتحقق للمجتمع ككل استقراره إلا بتحقيقها في وحدته الأولى وهي الأسرة.

المبحث الثالث: العلاج القرآني لمظاهر تفكك الأسرة

المطلب الأول: علاج الخلاف والنزاع بين الزوجين

بنى القرآن الكريم الحياة الزوجية على أساس من الحقوق والواجبات المتبادلة، بحيث يكون أداء كل طرف لما عليه سبباً في درء الخلاف قبل وقوعه؛ ذلك أن كثيراً من النزاعات الزوجية إنما تنشأ من تقصير أحد الطرفين في حق الآخر. ومن هذا الباب جاءت أحكام المهر والنفقة لتكون صمام أمان يحفظ للزوجة كرامتها، ويشعر الزوج بمسؤوليته، فينتفي كثير من أسباب الشقاق

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 5/217.

(2) سورة البقرة، الآية 228.

(3) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 2/398.

(4) القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية، لعصام الصديق يعقوب، 23.

(5) سورة النساء، من الآية 34.

(6) القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية، لعصام الصديق يعقوب، 25.

(7) المصدر السابق نفسه، 24.

من أصله. وفي هذا يقول ابن عاشور: «وحكم وجوب إنفاق الرجل على زوجته ولو كانت غنية تحقيق لقوة تلك الأسرة، كما أن جعل الزوجية سبب إرث تحقيق لقوة تلك الأسرة»⁽¹⁾.

كما أن جعل النفقة حقا واجبا للزوجة على زوجها يحقق استقرارا نفسيا وماديا يمنع كثيرا من دواعي التنازع، فقد اقتضت حكمة الله أن يسمو بتشريعہ ويرتقي به في هذا الباب، حتى تسير الأسرة نحو شاطئ الأمان وتكتب لها السلامة في عناصرها الأساسية⁽²⁾. ولا يقل عن ذلك أثرا ما شرعه الإسلام من طاعة الزوجة لزوجها فيما لا معصية فيه، فهذه الطاعة إذا كانت عطاء مبنيا على الحب والعدل من الطرفين كانت سببا في جلب الهناء والرضا، وطاعتها لزوجها تجلب الهناء والرضى والمخالفة تولد الشحنة والبغضاء والنفور⁽³⁾. فالنظر المقاصدي إلى هذه الأحكام يكشف أن القرآن عالج جذور الخلاف قبل أن يستفحل، بربط كل حكم بمقصده من حفظ المودة واستدامة العشرة.

المطلب الثاني: معالجة النشوز والشقاق

إذا تجاوز الخلاف حدّ المعتاد وتحول إلى نشوز من الزوجة، أي أنها تخرج عن طاعة الزوج فيما يلزمها من حقوقه، فقد وضع القرآن الكريم لذلك علاجا متدرجا لا يقفز من درجة إلى أخرى إلا بعد استفاد ما قبلها، وهذا ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾⁽⁴⁾. وقد عرّف ابن عاشور النشوز بأنه «الكراهية للزوج، فقد يكون ذلك لسوء خلق المرأة، وقد يكون لأن لها رغبة في التزوج بآخر، وقد يكون لقسوة في خلق الزوج»⁽⁵⁾. والملاحظ أن هذا التدرج القرآني من الوعظ إلى الهجر إلى الضرب ما هو إلا «تنبيه يجري مجرى التصريح في أنه مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ولم يجز الإقدام على الطريق الأشق»⁽⁶⁾، وهو ما يبرز حرص الشريعة على تضيق دائرة العقوبة لا توسيعها. وقد جدد ابن عاشور النظر في مسألة الضرب تحديدا لافتا، إذ ربطه بالعرف الاجتماعي لا بضابط ثابت، فقال: «إن تلك الآثار والأخبار محمل الإباحة فيها أنها قد روعي فيها عرف بعض الطبقات من الناس، أو بعض القبائل، فإن الناس متفاوتون في ذلك»⁽⁷⁾. بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين قرر أن سوء استعمال هذا الإذن يوجب تدخل ولي الأمر لمنعه، فقال: «يجوز لولاة الأمور إذا علموا أن الأزواج لا يحسنون وضع العقوبات الشرعية مواضعها... أن يضربوا على أيديهم استعمال هذه العقوبة، ويعلنوا لهم أن من ضرب امرأته عوقب، كي لا يتفاهم أمر الإضرار بين الأزواج»⁽⁸⁾، وبذلك يتضح أن غاية العلاج القرآني للنشوز ليست العقوبة لذاتها، بل ردع الخلل حتى لا يفضي إلى تفكك الرابطة الزوجية.

المطلب الثالث: معالجة الطلاق وآثاره

جعل القرآن الكريم من أحكامه المالية المرتبطة بعقد الزواج رادعا يحدّ من التسرع في الطلاق، فربط بين متانة العلاقة الزوجية وبين المهر بوصفه دليلا على جدية الزوج واستقرار نيته، إذ أن «بذل المال دليل على أن الرجل جاد في طلبه للمرأة، جاد

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، ص 441.

(2) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، 1/ 585.

(3) ينظر: آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة، لخالد عبد الرحمن العك، ص 187.

(4) سورة النساء، الآية 34.

(5) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، 5/ 44؛ وجهة نظر جديدة في مسألة ضرب الناشز، لبشر دري وعبد الله دري، إلهيات أراشترمالري درغيسي، العدد 22، 2024م، ص 16.

(6) مفاتيح الغيب، للفخر الدين الرازي، 10/ 41.

(7) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 5/ 44.

(8) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 5/ 44.

في الارتباط بها»⁽¹⁾ ولهذا «يفرض الإسلام نصف المهر على من تزوج ثم طلق قبل أن يدخل بالزوجة أو يمسه، تقديراً لهذا الميثاق الغليظ والرابط المقدس»⁽²⁾. فالطلاق في المنظور القرآني ليس باباً مفتوحاً، وإنما هو المآل الأخير الذي لا يُصار إليه إلا بعد استنفاد جميع درجات العلاج المتقدمة من الوعظ والهجر والضرب، وهو ما يفسر تسلسل الآيات الذي ينتهي عند تعذر الإصلاح إلى بعث الحكمين قبل الفصل بين الزوجين، كما سيأتي بيانه. ولذلك اتفق الفقهاء والمفسرون على أن الأصل في المعالجة الزوجية هو درء الفرقة، وأن الأحكام المالية والتشريعية إنما وُضعت لتحسين الرابطة الزوجية من التصدع لا لتيسير الانفصال.

المطلب الرابع: الإصلاح والتحكيم ودورهما في حفظ الأسرة

إذا استعصى الخلاف على الحلول الفردية المتقدمة، فإن الشريعة لم تترك الأمر لتفاهم الشقة بين الزوجين، بل أوجبت اللجوء إلى وسيط من أهلهم، تحقيقاً لمقصد الإصلاح قبل الوصول إلى الفراق، وهذا ما يتفق مع الترتيب الذي أشار إليه الفقهاء في تدرج العلاج، كما فسرها الرازي في تفسيره برواية نسبها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: (يعطها بلسانه، فإن انتهت فلا سبيل له عليها، فإن أبت هجر مضجعها، فإن أبت ضربها، فإن لم تنعظ بالضرب بعث الحكمين)⁽³⁾. فبعث الحكمين هو الدرجة الأخيرة من درجات الإصلاح الأسري، وفيه معنى إشراك ذوي الرأي من الأسرتين في تقريب وجهتي النظر، بما يحفظ للزوجين كرامتهما ويمنحهما فرصة أخيرة قبل أن يبلغ الأمر حد القطيعة. وقد نبّه ابن عاشور إلى قاعدتين جامعتين تحكمان هذا المسار كل: إحداهما أنه لا تجوز العقوبة بالوعظ، أو بالهجر، أو بالضرب مجرد توقع النشوز، والأخرى أن الأزواج مؤمنون على توخي مواقع هذه العقوبات بحسب درجة النشوز⁽⁴⁾. وبهذا يتبين أن المنظومة القرآنية في معالجة التفكك الأسري تقوم على مبدأ التدرج والائتمان معاً، فلا يُصار إلى درجة أعلى إلا بعد فشل ما دونهما، ولا يُترك تقدير ذلك لهوى فرد واحد، بل يُستدعى عند الحاجة طرف ثالث من ذوي الحكمة والرأي، وهو ما يجعل من هذا المنهج نموذجاً صالحاً لمعالجة كثير من صور التفكك الأسري المعاصر التي كثيراً ما تنشأ من غياب هذا التدرج وتجاوز مراتبه.

المبحث الرابع: دور التماسك الأسري القرآني في معالجة تفكك الأسرة المعاصرة

المطلب الأول: التوجيهات القرآنية في الوقاية من تفكك الأسرة

من أبرز صور الوقاية القرآنية من تفكك الأسرة ما بيّنه ابن عاشور من أن الأمر ببر الوالدين وصللة الرحم يحمل مقصدين متكاملين، أحدهما نفساني والآخر عمري يتعلق ببناء الأسرة ذاتها، إذ يقول: «والمقصد الثاني عمري وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرى، مشدودة الوثوق... وفي هذا التكوين لأواصر القرابة صلاح عظيم للأمة، تظهر آثاره في مواساة بعضهم بعضاً»⁽⁵⁾. فحين تُشدّ هذه الأواصر من الداخل تصبح الأسرة أعصى على التفكك.

(1) أحكام الأسرة الخاصة بالزواج في الفقه الإسلامي والقانون والقضاء، لجابر عبد الهادي سالم الشافعي، ص 278؛ وينظر: المقاصد الشرعية للأحكام

الفقهية المتعلقة بالمرأة في الحياة الزوجية، بن السايح وبوهدة وشعرانة، مجلة (2018-1439هـ)، مج 3، ع 2، يونيو، ص 78.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) مفاتيح الغيب، للرازي، 41/10.

(4) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، 5/ 44.

(5) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 74/6.

ومن أهم أسس الوقاية أيضاً وضوح الحقوق والواجبات بين الزوجين منذ البداية، فقد وصف ابن عاشور آية (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) بأنها: «كان من جملة ما أصلحه الإسلام من أحوال البشر ضبط حقوق الزوجين كافة... وكانت هذه الآية من أول ما أنزل في الإسلام»⁽¹⁾. فوضوح الحقوق يمنع كثيراً من أسباب النزاع الناشئة عن الغموض والتقصير المتبادل. وتأتي القوامة أيضاً كأداة وقائية حين تُفهم على حقيقتها لا كأداة تسلط، فالقوام في تفسير ابن عاشور هو «الذي يقوم على شأن شيء ويليه ويصلحه»⁽²⁾، وهي قوامة موزعة بين تشريف وتكليف لا تحتل الاستعلاء. ولا تكتمل الوقاية إلا بترسيخ السكينة والمودة أصلاً فطرياً، وقد نبّه ابن عاشور إلى دقة قوله تعالى (لتسكنوا إليها) بأنه: «عُدّي فعل (تسكنوا) بـ(إلى)، خلافاً للأصل... مضمناً معنى (لتميلوا)»⁽³⁾.

المطلب الثاني: أثر القيم القرآنية في معالجة المشكلات الأسرية المعاصرة

يضع القرآن الكريم مبدأ (الصلح خير) أساساً لعلاج ما يطرأ من خلاف، وقد رصد ابن عاشور في هذه الآية «مؤكدات ثلاثة: وهي المصدر المؤكّد لعامله... والإظهار في مقام الإضمار... والإخبار عنه بالمصدر أو بالصفة المشبهة؛ فإنها تدل على شدة سجيّة»⁽⁴⁾، وهذا التوكيد اللغوي المتكرر يفيد أن الصلح ليس خياراً عابراً بل أصل ثابت مهما بلغ الخلاف. وقد أشار الباحث عصام الصديق يعقوب في كتابه (القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية في القرآن الكريم) إلى خطورة إغفال هذا الأصل في الواقع المعاصر، مبيناً أن المجتمعات الغربية تعاني من تفكك كبير في الأسر وسائر الروابط الاجتماعية⁽⁵⁾. وعلى الصعيد التربوي، فإن إهمال الجانب الأخلاقي في التعليم يتسبب في تصدع كيان الأمة، حيث أن «عرو التعليم عن مادة الآداب وتهذيب الأخلاق... هو السبب الذي قضى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد»⁽⁶⁾. وهذا يفسر لماذا لا يكفي علاج التفكك الأسري بإجراءات قانونية مجردة دون معالجة تربوية موازية تُعنى بغرس القيم.

المطلب الثالث: التطبيقات المعاصرة لتوجيهات ابن عاشور في بناء الأسرة

من أوضح التطبيقات المعاصرة الممكنة لفكر ابن عاشور عنايته بدور المرأة بوصفها (المرية الأولى)، إذ يقول في تفسيره: «ودين الإسلام حريّ بالعناية بإصلاح شأن المرأة، وكيف لا، وهي نصف النوع الإنساني، والمرية الأولى، التي تفيض التربية السالكة إلى النفوس قبل غيرها»⁽⁷⁾. ويتصل بهذا تأكيد أن أثر المربي ينعكس في المتربي انعكاساً مباشراً، كما في تفسيره لقوله تعالى: (وأنبئها نبأاً حسناً): «أنشأها إنشأاً صالحاً، وذلك في الخلق ونزاهة الباطن... لأن أبا التربية يكسب خلقه وصلاحه مرباه»⁽⁸⁾. وهذا ما حمل كثيراً من العلماء والباحثين على التوصية بأن تُقام دورات تأهيلية مصغرة للمقدمين على الزواج، يكون فيها جانب شرعي فقهي وتربوي ثقافي وجانب نفسي؛ لتأهيل الأزواج لحياة زوجية ناجحة⁽⁹⁾، بل اقترح أيضاً أن «تُجعل وزارة

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 398/2؛ وينظر: القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية في القرآن الكريم، لعصام الصديق يعقوب، ص22.

(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 38/5.

(3) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 72/21.

(4) المصدر السابق نفسه، 217/5.

(5) القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية في القرآن الكريم، مقدمة البحث، ص16؛ وينظر: الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب دراسة في التدافع الاجتماعي، لفريد الأنصاري، ص90-92.

(6) أليس الصبح بقریب، لمحمد الطاهر ابن عاشور، ص112.

(7) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 401/6.

(8) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 235/3.

(9) ينظر: القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية في القرآن الكريم، خاتمة البحث والتوصيات، ص37.

العدل حضور الزوجين الدورات التأهيلية شرطاً قانونياً لتوثيق عقد الزواج؛ لمعالجة التفكك الأسري وارتفاع معدلات الطلاق»⁽¹⁾، وهو تطبيق مباشر لمبدأ ابن عاشور في ربط الإصلاح المجتمعي بإصلاح التأليف والمناهج والتأهيل المسبق.

المطلب الرابع: التكامل بين التوجيه القرآني والمعالجة الأسرية المعاصرة

يتجلى هذا التكامل في أن ابن عاشور جعل مقصد القرآن الأعلى «صالح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية للناس كافة»⁽²⁾، وهو تدرج من الفرد إلى الأسرة إلى الأمة يمثل بعينه المسار الذي ينبغي أن تسلكه أي معالجة معاصرة جادة. ويؤكد ابن عاشور أن الأمة «لا يستقيم أمرها... ما لم تكن مكارم الأخلاق هي الغالبة على جمهورها»⁽³⁾، فربط استقرار الأمة بأخلاق أفرادها، وهذا يعني أن معالجة التفكك الأسري تصعد بالضرورة إلى معالجة أوسع على مستوى المجتمع.

ويكتمل هذا التكامل بربط الاستقرار الأسري بمفهوم الإصلاح الشامل غير المقيّد، وقد لفت ابن عاشور إلى دقة التعبير القرآني في قوله تعالى (قل إصلاح لهم خير) بأنه أطلق لفظ الإصلاح ليشمل «جميع الإصلاح، لا خصوص إصلاح ذواتهم، فيشمل إصلاح ذواتهم... ويتضمن إصلاح عقائدهم وأخلاقهم... ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدها وحفظها»⁽⁴⁾، وبهذا الإطلاق يتضح أن معالجة التفكك الأسري المعاصر ينبغي ألا تُحتزل في حل قانوني أو مادي جزئي، بل تتكامل فيها الأبعاد العقدية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية معاً، تماماً كما رسم ابن عاشور منذ تفسيره لهذه الآية.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هداية للناس وإصلاحاً لشؤون حياتهم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد أن تناول البحث موضوع التماسك الأسري في القرآن الكريم ودوره في معالجة التفكك الأسري المعاصر، من خلال دراسة موضوعية في تفسير التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر ابن عاشور، وذلك للكشف عن الأسس والقيم القرآنية التي تسهم في بناء الأسرة والمحافظة على استقرارها، وبيان مدى قدرتها على معالجة مظاهر التفكك الأسري التي أصبحت من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة. أظهرت الدراسة أن القرآن الكريم قدّم تصوراً متكاملاً للأسرة يقوم على المودة والرحمة، وحسن المعاشرة، والعدل، والتعاون، وتحمل المسؤولية، وحفظ الحقوق والواجبات بين أفرادها. كما بيّن أن معالجة الخلافات الأسرية لا تكون باللجوء المباشر إلى الانفصال، وإنما تبدأ بالحوار والتفاهم والإصلاح، ثم تتدرج إلى وسائل أخرى كالتدخل الأسري والتحكيم عند استمرار النزاع. وقد أسهم تفسير ابن عاشور في إبراز المقاصد الاجتماعية والتربوية للأحكام القرآنية المتعلقة بالأسرة، وربطها بحفظ الأسرة واستقرار المجتمع.

وتؤكد نتائج البحث أن التوجيه القرآني لا يقتصر على معالجة التفكك بعد وقوعه، بل يتضمن وسائل وقائية تهدف إلى الحد من أسبابه قبل تفاقمها. ومن ثم فإن الاستفادة من هذه التوجيهات في المؤسسات التعليمية والاجتماعية ومراكز الإصلاح الأسري يمكن أن تسهم في تعزيز الاستقرار الأسري، والحد من النزاعات والانفصال، وبناء أسرة أكثر قدرة على مواجهة المتغيرات والتحديات المعاصرة.

(1) المصدر نفسه، ص 37.

(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 38/1.

(3) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، ص 116.

(4) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 356/1.

أهم النتائج:

1. يؤكد القرآن الكريم أن الأسرة تمثل أساساً مهماً في بناء المجتمع واستقراره، وأن تماسكها ينعكس بصورة مباشرة على استقرار المجتمع.
2. تقوم منظومة التماسك الأسري في القرآن الكريم على مجموعة متكاملة من القيم، في مقدمتها المودة والرحمة والعدل وحسن المعاشرة والتعاون وتحمل المسؤولية.
3. أظهر تفسير ابن عاشور أن الأحكام القرآنية المتعلقة بالأسرة لا تنفصل عن مقاصد الإصلاح وحفظ الأسرة وتحقيق الاستقرار بين أفرادها.
4. اتضح أن القرآن الكريم اعتمد منهجاً متدرجاً في معالجة الخلافات الزوجية، يبدأ بالنصح والإصلاح والحوار، ثم ينتقل إلى التحكيم عند تعذر الإصلاح المباشر.
5. يسهم الالتزام بالحقوق والواجبات الأسرية، إلى جانب العفو والتسامح وحسن التعامل، في الوقاية من كثير من مظاهر التفكك والنزاع داخل الأسرة.
6. يمكن توظيف التوجيهات القرآنية التي أبرزها ابن عاشور في مواجهة المشكلات الأسرية المعاصرة، ولا سيما من خلال برامج الإصلاح والإرشاد الأسري والوقاية من الطلاق والنزاعات.

التوصيات:

1. تعزيز دراسة القيم الأسرية الواردة في القرآن الكريم وتطبيقها في برامج التوعية والإرشاد الأسري.
2. الاستفادة من منهج ابن عاشور في تفسير الآيات الأسرية في إعداد برامج علمية وتربوية تعالج أسباب التفكك الأسري.
3. إدخال مفاهيم الحوار، وحسن المعاشرة، والعدل، وتحمل المسؤولية الأسرية ضمن البرامج التعليمية والتثقيفية الموجهة للشباب والمقبلين على الزواج.
4. دعم مراكز الإصلاح والاستشارات الأسرية وتفعيل دورها في التدخل المبكر لمعالجة الخلافات الزوجية قبل وصولها إلى مرحلة الطلاق.
5. تشجيع المؤسسات الدينية والاجتماعية والإعلامية على نشر الوعي بأهمية التماسك الأسري وبيان آثاره في استقرار الفرد والمجتمع.
6. إجراء مزيد من الدراسات التطبيقية التي تربط بين التوجيهات القرآنية والمعالجات الحديثة للمشكلات الأسرية؛ بما يسهم في بناء نماذج معاصرة للإصلاح والوقاية من التفكك الأسري.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

1. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (المتوفى: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996 م.
2. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (المتوفى: 751هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار سحنون للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، 2006 م.
4. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 م.
5. ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، دار سحنون للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمع: محمد الطاهر الميساوي.
7. ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، الأردن: دار النفائس، الطبعة الثانية، 1421 هـ.
8. ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
9. ابن فارس، أحمد بن فارس (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399 هـ - 1979 م.
10. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، لمحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت.
11. ابن منظور، محمد بن مكرم (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
12. أبو غدة، عبد الفتاح، قيمة الزمن عند العلماء، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 2024 م.
13. الأنصاري، فريد، الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب: دراسة في التدافع الاجتماعي، القاهرة: دار السلام، الطبعة الثانية، 2011 م.
14. البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.
15. البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام (المتوفى: 975 هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه وفسر غريبه: الشيخ بكري حياني، صححه ووضع فهارسه ومفتاحه: الشيخ صفوة السقا مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة، 1405 هـ - 1985 م.
16. الرازي، فخر الدين الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
17. سيد قطب، إبراهيم حسين: في ظلال القرآن، بيروت والقاهرة: دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، 1412 هـ.

18. الشافعي، جابر عبد الهادي سالم، أحكام الأسرة الخاصة بالزواج في الفقه الإسلامي والقانون والقضاء، الإسكندرية: دار الجامعة، 2007م.
19. شوقي، أحمد، الشوقيات، الناشر: دار الأرقم، 2015م.
20. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الناشر: دار الفكر - بيروت.
21. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م
22. الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.
23. العك، خالد عبد الرحمن، آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة، بيروت: دار المعرفة، الطبعة السادسة.
24. القرطبي، محمد بن أحمد (المتوفى: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
25. مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: 261 هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ.
26. نخبة من الباحثين: التفكك الأسري (الأسباب والحلول المقترحة)، كتاب الأمة، جمادى الأولى 1422هـ.
27. النيسابوري أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد (المتوفى: 405هـ)، المستدرک علی الصحيحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990.
- ثالثاً: المقالات والبحوث العلمية والدراسات**
28. بن السايح، وبوهدة، وشعرانة، المقاصد الشرعية للأحكام الفقهية المتعلقة بالمرأة في الحياة الزوجية، مجلة، المجلد الثالث، العدد الثاني، يونيو 2018م/1439هـ.
29. دري، بشر، ودري، عبد الله، وجهة نظر جديدة في مسألة ضرب الناشز، إلهيات أراشتيرمالري درغيسي، العدد الثاني والعشرون، 2024م.
30. يعقوب، عصام الصديق، القواعد السلوكية للعلاقة الزوجية في القرآن الكريم، المجلة العلمية لعلوم الشريعة، كلية علوم الشريعة، جامعة المرقب، العدد السابع، 2024م/1445هـ
- رابعاً: المواقع الالكترونية**
31. موقع الدرر السنية، مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة، المشرف العام علوي بن عبد القادر السقاف، [/https://dorar.net](https://dorar.net)

القراءات القرآنية وتوجيهها في معجم لسان العرب لابن منظور
الجزء الأول من القرآن الكريم

Qur'anic readings and their interpretation in Ibn Manzur's Lisan al-Arab
dictionary

Part One of the Holy Qur'an

بحث من إعداد:

م. م. فاطمة باسم جبار

Assistant teacher

Fatimah B. Jabbar

Omzaid229@gmail.com

وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الثالثة

Ministry of Education / Rusafa Third Education Directorate

1448هـ 2026م

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

القراءات القرآنية وتوجيهها في معجم لسان العرب لابن منظور
الجزء الأول من القرآن الكريم

Qur'anic readings and their interpretation in Ibn Manzur's Lisan al-Arab
dictionary

Part One of the Holy Qur'an

م. م. فاطمة باسم جبار

Assistant teacher

Fatimah B. Jabbar

Omzaid229@gmail.com

وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الثالثة

Ministry of Education / Rusafa Third Education Directorate

الملخص

لم يكن العرب يتكلمون بلهجة واحدة بل كانت هناك لهجات متعددة، لذلك اختلف ناقلو القرآن الكريم في بعض المفردات القرآنية ما عد فيما بعد قراءات قرآنية عوملت بأجمعها معاملة القرآن الكريم، وذهب البعض إلى أن ذلك يعد إثراءً وتعدداً للمعاني التي يفيدها القرآن الكريم، فجملة قرآنية واحدة أو كلمة واحدة تعطي معاني متعددة في وقت واحد.
من ناحية اللغة كان للقراءات أثر في المعاني النحوية وتعدد وجوه الإعراب، ما أدى إلى ضرورة توجيهها نوحياً؛ لذلك جاء هذا البحث للكشف عن توجيه هذه القراءات في واحد من المعاجم اللغوية، وهو (لسان العرب) لابن منظور.

Abstract

The Arabs did not speak a single dialect; rather, multiple dialects existed among them. Consequently, differences arose among the transmitters of the Holy Quran regarding certain lexical items—variations that later came to be classified as Quranic *qira'at* (readings), all of which were accorded the same status as the Quran itself. Some scholars have argued that this phenomenon enriches the text and multiplies the meanings conveyed by the Quran, allowing a single phrase or word to yield multiple simultaneous interpretations.

From a linguistic perspective, these readings influenced grammatical meanings and gave rise to multiple possibilities for syntactic analysis (*i'rab*), necessitating a grammatical explanation or justification for each variant. This research aims to examine how such readings are explained and justified grammatically within a specific linguistic lexicon: *Lisan al-Arab* by Ibn Manzur.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الكرام، ومن سار على نَحْجه واتبع هديه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد، فإنَّ علم القراءات يُعدُّ من أجلِّ العلوم الشرعية وأشرفها منزلةً، إذ يتصل اتصالاً مباشراً بالقرآن الكريم، كتاب الله تعالى ومصدر الهداية والتشريع. ومن ثمَّ فقد حظي هذا العلم بمكانةٍ رفيعةٍ بين علوم القرآن الكريم، لما له من أثرٍ بالغٍ في فهم النص القرآني، وضبط أدائه، وبيان وجوه قراءاته المتواترة التي نقلها الأئمة الثقات جيلاً بعد جيل.

وقد كان له تأثيرٌ في كثيرٍ من العلوم الأخرى، فهو مثلاً له علاقة بعلم الفقه؛ وذلك أن تغير بعض القراءات يؤدي إلى تغير الأحكام الشرعية، وكذلك له تعلق بعلم اللغة، فتغير القراءة يعطي معنىً لغوياً مغايراً لما كان عليه؛ لذلك نجد علماء اللغة قد عنوا بالقراءات القرآنية، وأفردوا لها مباحث خاصة في مؤلفاتهم، ومن هذه المؤلفات التي عنت بعلم القراءات المعاجم اللغوية، ومنها معجم (لسان العرب) لابن منظور، فتراه عندما يعطي المعنى المعجمي للمفردة، يذكر شواهدا القرآنية - إضافة إلى الشواهد الشعرية والنثرية - وعندما يعطي شاهداً قرآنياً يذكر القراءات المتعلقة به، ويذكر أثر تغير القراءة في المعنى المعجمي لتلك المفردة.

ومن باب التشرف بالبحث في قراءات كتاب الله العزيز، وإبراز تأثيرها في كتب اللغة وخصوصاً المعاجم اللغوية، ومنها (لسان العرب) جاء هذا البحث الموسوم: (القراءات القرآنية وتوجيهها في معجم لسان العرب لابن منظور .. الجزء الأول من القرآن الكريم)، لتسليط الضوء على توجيه القراءات الواردة في هذا المعجم، وتحديداً القراءات الموجودة في الجزء الأول من القرآن الكريم، وقد كان بثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القراءات وتاريخها وأنواعها، وكان بثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القراءات القرآنية ونشأتها.

المطلب الثاني: الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات.

المطلب الثالث: أنواع القراءات وأركان القراءة الصحيحة.

المبحث الثاني: القراءات القرآنية في علوم اللغة، وهو بثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف النحاة من علم القراءات.

المطلب الثاني: أثر القراءات القرآنية في القواعد النحوية.

المطلب الثالث: أثر القراءات القرآنية في تعدد وجوه الإعراب.

المبحث الثالث: تعامل ابن منظور مع القراءات القرآنية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة ابن منظور.

المطلب الثاني: منهج ابن منظور في لسان العرب.

المطلب الثالث: ابن منظور والقراءات القرآنية .. دراسة تطبيقية.

وبما أنَّ ابن منظور لا يُصرِّح غالباً برأيه في القراءات القرآنية، ولا يتوسَّع في بيان وجوها وأسانيدها، فقد اقتضت طبيعة البحث الرجوع إلى مصادر القراءات المتخصصة؛ للوقوف على نسب كل قراءة إلى أصحابها، وبيان الآراء التي أوردها العلماء في توجيهها، والكشف عن أسباب الاختلاف فيها، ثم الموازنة بين تلك الآراء وترجيح ما يظهر راجحاً منها على وفق الأصول المعتمدة في علم القراءات والتوجيه اللغوي.

المبحث الأول : تعريف القراءات وتاريخها وأنواعها

المطلب الأول : تعريف القراءات القرآنية ونشأتها

أولاً - تعريف القراءات القرآنية

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر الفعل «قرأ». وتدل القراءة في أصلها اللغوي على معنى الجمع والضم؛ إذ يُقال: قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض. ومن هذا المعنى سُمِّيَ القرآن قرآناً؛ لأنه يجمع السور والآيات ويضم بعضها إلى بعض في نظامٍ محكمٍ وترتيبٍ معجز⁽¹⁾، ويذهب بعض الباحثين إلى أنَّ لفظة «قرآن» ذات دلالة توقيفية، لا تقوم على الاشتقاق اللغوي المحض، الأمر الذي يفسر تخرج الصحابة من جمعها على صيغ الجموع القياسية الشائعة. ولذلك استعملت لفظة «مصحف» للدلالة على الكتاب الجامع للنص القرآني المكتوب بين دفتين، وُجمعت على «مصحف»، باعتبارها اللفظة الأصلية بالمدون المادي للقرآن الكريم⁽²⁾.

أما القراءات في الاصطلاح، فقد تعددت تعريفاتها عند علماء:

1. "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقل وغيرها"⁽³⁾.
 2. "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"⁽⁴⁾.
 3. "وهو علم يُعرف به ما اتفق عليه نَقْلُهُ كتاب الله عز وجل وما اختلفوا فيه، من حيث الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وهيئات النطق، والإبدال، وغير ذلك من وجوه الأداء القرآني، وذلك كله مبني على السماع والرواية لا على الاجتهاد والقياس"⁽⁵⁾.
 4. "وتُعرف القراءات بأنها النطق بألفاظ القرآن الكريم على الوجه الذي نطق به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو على الوجه الذي قرئ بحضرته فأقرّه، اعتماداً على النقل والرواية.
- أما علم توجيه القراءات، فهو العلم الذي يُعنى ببيان وجوه القراءات وعللها اللغوية والصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، والكشف عن الأسس التي تقوم عليها. ويهدف هذا العلم إلى دفع الاعتراضات والانتقادات التي قد يوردها بعض النحاة أو اللغويين أو المفسرين على بعض وجوه القراءات، وذلك من خلال إظهار وجهها الصحيح في العربية وبيان انسجامها مع أصول اللغة والرواية"⁽⁶⁾.

ثانياً - نشأة القراءات وتطورها

لم تكن القراءات القرآنية في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحمل الدلالة الاصطلاحية التي استقرت عليها في العصور اللاحقة، إذ لم تكن قد تبلورت آنذاك بوصفها مذاهب قرآنية ذات أصول وفرش متميزة كما عُرفت عند الأئمة القراء فيما

(1) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ: (1 / 128).

(2) ينظر: القراءات القرآنية وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، دار الفكر، دمشق، ط1، 1419هـ / 1999م: (32).

(3) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م: (1 / 395).

(4) منحد المقرئين ومرشد الطالبين: ابن الجزري (ت 833هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م: (3).

(5) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: أحمد بن محمد الدمياطي (ت 1117هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط..: (5).

(6) مقدمات في علم القراءات: أحمد خالد شكري وآخرون، دار عمار، عمان، ط1، 2001م: (201).

بعد. وإنما كانت لبعض الصحابة وجوه واختيارات في قراءة بعض الآيات على نحو معين، من غير أن يُنسب إلى أحدهم منهج قرائي مستقل يختص به في عموم ألفاظ القرآن الكريم.

كما لم يُعرف في ذلك العصر تدوين جامع يبين اختيارات الصحابة في قراءة ألفاظ القرآن على وجه التفصيل. غير أنَّ الثابت والمسلم به عند علماء القراءات أنَّ القراءات المتواترة كلها ترجع في أصلها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قرأ بها وأقرأ أصحابه عليها، ومن ذلك ما ورد في وجوه الأداء من فتح وإمالة صغرى وإمالة كبرى، وغير ذلك من الأوجه القرائية التي ثبتت بأسانيد متواترة عن القراء العشرة، متصلة السند برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم⁽¹⁾.

مرّت القراءات القرآنية بأطوار تاريخية متعددة، تداخل بعضها في بعض، حتى استقرت علماً قائماً بذاته من علوم القرآن الكريم، ومجالاً مهماً من مجالات الدرس اللغوي والنحوي والصوتي على وجه العموم.

وقد تمثلت هذه الأطوار في بدايتها بتعليم تلاوة آيات القرآن الكريم وسوره، إذ كان القرآن يُقرأ ابتداءً بقصد التعلم والتلقي. ثم تطورت القراءة إلى التلاوة التعبدية طلباً للأجر والثواب، ثم إلى حفظ القرآن الكريم كله أو بعضه عن ظهر قلب. وبعد ذلك انتقلت القراءات إلى طور الرواية والإسناد، حيث أُسندت القراءة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وظهر لها شيوخ وطلاب، إلى أن صارت علماً له أصوله وقواعده ومصطلحاته ومؤلفاته الخاصة.

ويمكن تلخيص المراحل التاريخية التي مرّت بها القراءات القرآنية على النحو الآتي:

1. نزول جبريل عليه السلام بالقراءة القرآنية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
2. تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن الكريم للصحابة، ثم تعليم الصحابة بعضهم بعضاً.
3. حفظ الصحابة للقرآن الكريم وضبطهم لألفاظه ووجوه أدائه.
4. ظهور مرحلة التلقي والمشافهة، إذ أخذ التابعون ومن بعدهم يقرؤون على الصحابة ويتلقون عنهم وجوه القراءة.
5. بداية ظهور الاختلاف في وجوه الأداء والقراءة، تبعاً لما ثبت من أوجه مقروءة ومروية.
6. عناية الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بضبط القراءة في الأمصار، وذلك بإرسال المصاحف وتعيين من يقرئ الناس، ثم نشوء طبقة من العلماء عُنيت بإتقان القراءة وضبطها على أكمل وجه.
7. بدء التأليف في علم القراءات، وقد اختلف المؤرخون في أول من ألّف فيه؛ فذهب أكثرهم إلى أن أبا عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة 224هـ، كان من أوائل من صَنّف في هذا العلم، في حين نسب بعضهم سبق إلى أبي حاتم السجستاني، المتوفى سنة 255هـ، وذهب آخرون إلى أن أبان بن تغلب الكوفي، المتوفى سنة 141هـ، كان ممن تقدّم في التصنيف فيه.
8. مرحلة جمع القراءات السبع والاقتصار عليها في مؤلّف مستقل، وقد ارتبط ذلك بأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، الذي كان له أثر بارز في اشتهاار القراءات السبع.
9. ظهور اتجاه الاحتجاج للقراءات وبيان وجوهاها اللغوية، ولا سيما من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.
10. التوسع في التأليف في القراءات السبع وشرح أصولها وفرشها وطرق روايتها.
11. ظهور مؤلفات تناولت القراءات من حيث الأفراد والجمع، والتسديس، والشمين، والتعشير، تبعاً لما ضمّته من عدد القراء والروايات.

(1) ينظر: المدخل إلى القراءات وأصول العشر المتواترات، عبد الرحمن جبريل، دار الخليج، عمان، ط1، 2000: (13).

12. تطور المعايير العلمية الضابطة للتمييز بين القراءة الصحيحة وغيرها، من حيث موافقتها للرواية المتواترة، والرسم العثماني، ووجه معتبر من وجوه العربية. (1).

المطلب الثاني: الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات

أولاً - معنى الأحرف السبعة

اختلف العلماء والمفسرون في بيان المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه»، إذ تعددت آراؤهم في تفسير معنى الأحرف السبعة، وبيان المقصود بها، وعلاقتها باختلاف وجوه القراءة التي نُقلت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (2).

وقد تعددت أقوال العلماء وتباينت اتجاهاتهم في تفسير هذا الحديث النبوي الشريف، فذهب فريق منهم إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتقاربة التي تختلف ألفاظها وتتفق دلالاتها، نحو: «أقبل»، و«تعال»، و«هلم»، و«عجل»، و«أسرع». وقد نُسب هذا الرأي إلى جمهور من العلماء، كما مال إليه ودافع عنه عددٌ من الباحثين المعاصرين في علم القراءات (3).

ومن العلماء الذين تناولوا تفسير الأحرف السبعة الإمام أبو الفضل الرازي، إذ يرى أن وجوه الاختلاف فيها لا تخرج عن سبعة أنواع رئيسة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. اختلاف الأسماء من حيث الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث.
 2. الاختلاف في وجوه التصريف وبنية الكلمة.
 3. الاختلاف في وجوه الإعراب والحركات الإعرابية.
 4. الاختلاف من جهة النقص والزيادة في بعض الألفاظ.
 5. الاختلاف في التقديم والتأخير.
 6. الاختلاف بالإبدال، نحو ما ورد في بعض الألفاظ مثل: «طلح» و«طلع».
 7. الاختلاف في وجوه الأداء وما يتصل باللهجات وطرائق النطق (4).
- ويرى ابن الجزري أن اختلاف القراءات القرآنية يمكن إرجاعه إلى سبعة أوجه جامعة، لا يخرج عنها ما ورد من وجوه الاختلاف، وهي:

1. الاختلاف في الإعراب بما لا يغيّر صورة الكلمة في الرسم، ولا يترتب عليه تغيير في المعنى.
2. الاختلاف في إعراب الكلمة أو حركات بنائها بما يؤدي إلى تغيير معناها، مع بقاء صورتها الخطية على حالها.
3. الاختلاف في حروف الكلمة، لا في إعرابها، على وجه يغيّر المعنى من غير أن يزيل صورتها في الرسم.
4. الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها ومعناها معاً.
5. الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها الخطية، من غير أن يؤدي إلى تغيير في معناها.
6. الاختلاف في التقديم والتأخير بين بعض الألفاظ أو التراكيب.

(1) ينظر: القراءات القرآنية .. تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي: (11 - 54).

(2) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، عالم الكتب، بيروت، ط5، 1986م: (6 / 318)، كتاب فضائل الأعمال، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث: (4706).

(3) ينظر: التبيان في علوم القرآن، كامل موسى وعلي دحروج، دار بيروت المحروسة، ط1، 1992م: (124).

(4) التبيان في علوم القرآن، كامل موسى وعلي دحروج: (121 - 122).

7. الاختلاف بالزيادة والنقصان في بعض الألفاظ، وفق ما ثبت في وجوه القراءة المروية.⁽¹⁾

ثانياً - الاختلاف بين الأحرف السبعة والقراءات السبع

وقد توهم بعضهم أنَّ القراءات السبع هي المقصودة بحديث الأحرف السبعة، غير أنَّ هذا الفهم لا يوافق ما قرره المحققون من أهل العلم؛ إذ إنَّ الأحرف السبعة شيء، والقراءات السبع شيء آخر. فالقراءات السبع إنما تُنسب إلى الأئمة السبعة المشهورين، وهم: نافع، وعاصم، وحمة، وابن عامر، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وقد اشتهرت قراءاتهم وُجمعت لاحقاً في مصنفات خاصة، ولا يصح حمل حديث الأحرف السبعة عليها⁽²⁾.

والأحرف السبعة هي الأوجه التي نطق بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو أُقِرَّت بحضرته ممَّا تلاه الصحابة من آيات القرآن الكريم. ومن ثمَّ يتضح الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع؛ فالأحرف السبعة تمثل وجهاً من وجوه التيسير على الأمة في قراءة القرآن الكريم وحفظه وتدبر معانيه، مراعاةً لاختلاف الألسنة واللغات. أمَّا القراءات السبع، فهي القراءات التي اشتهرت لاحقاً ونُسبت إلى الأئمة السبعة، بعد أن جمعها ابن مجاهد واقتصر عليها في مصنفه، فصارت اصطلاحاً علمياً خاصاً لا يُرادف مصطلح الأحرف السبعة.

ثالثاً - الحكمة من تنوع القراءات السبع

للأحرف السبعة حكمٌ عظيمة ومقاصد جلييلة، يمكن الإشارة إلى بعضها على النحو الآتي:

1. بيان حكم شرعيٍّ مجمعٍ عليه، من خلال تعدد وجه القراءة بما يزيد المعنى وضوحاً وتقريراً.
2. ترجيح حكمٍ وقع فيه الخلاف، إذ قد تأتي بعض وجوه القراءة مؤيدةً لأحد المعنيين ومقويةً له.
3. إيضاح حكمٍ قد يوهم ظاهره معنى غير مراد، ومن ذلك قراءة قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا﴾، حيث قد يُتوهم من ظاهر اللفظ معنى الإسراع في المشي، فجاءت القراءة الأخرى «فامضوا» مبيِّنةً أن المراد هو التوجه والقصد إلى الصلاة، لا العدو أو المشي السريع. وهذه بعض الحكم التي تظهر من تعدد الأحرف والقراءات، ولا يقتصر الأمر عليها؛ إذ إنَّ في اختلاف وجوه القراءة دلالات ظاهرةً وأخرى دقيقةً قد تخفى إلا على أهل الاختصاص في علوم القرآن واللغة..

المطلب الثالث : أنواع القراءات وأركان القراءة الصحيحة

أولاً - أنواع القراءات

قسَّم العلماء القراءات القرآنية إلى قسمين رئيسين، هما:

1. القراءات المتواترة: وهي كل قراءة ثبت نقلها بطريق التواتر، ووافقت وجهاً من وجوه العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً أو تقديراً. وتعدُّ هذه القراءة مقبولة ومعتمدة في التلاوة؛ لاجتماع شروط الصحة فيها من جهة السند، وموافقة العربية، وموافقة الرسم العثماني.⁽³⁾
2. القراءات غير المتواترة أو الشاذة: وهي كل قراءة اختلَّ فيها ركنٌ من أركان القراءة الصحيحة الثلاثة، وهي: صحة السند، وموافقة وجهٍ من وجوه العربية، وموافقة رسم المصحف العثماني ولو احتمالاً. فإذا فُقد شرطٌ من هذه الشروط لم تُعدَّ القراءة مقبولةً في التلاوة، وإن كان لبعضها قيمة علمية في التفسير، أو الاستشهاد اللغوي، أو بيان بعض المعاني⁽⁴⁾.

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط.: (1 / 27 - 28).

(2) ينظر: المدخل إلى القراءات وأصول العشر المتواترات، عبد الرحمن جبريل: (46).

(3) منجد المقرئين، ابن الجزري: (15).

وأئمة القراءات العشر هم: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، وعبد الله بن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وعبد الله بن عامر الشامي، وعاصم بن أبي النجود الكوفي، وحمزة بن حبيب الزيات الكوفي، وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري، وخلف بن هشام البزار البغدادي. وقد اشتهرت قراءاتهم وتلقّتها الأمة بالقبول، وصارت معتمدة في علم القراءات لما توافرت فيها شروط القراءة الصحيحة من صحة السند، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجهٍ معتبر من وجوه العربية⁽²⁾.

ثانياً - رواية القراءات الشاذة

وينقسم رواية القراءات الشاذة إلى قسمين رئيسين:

الأول: أصحاب القراءات الأربع الزائدة على القراءات العشر، وهم:

1. ابن محيصن: محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي المكي.
2. اليزيدي: أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي البصري.
3. الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن يسار البصري.
4. الأعمش: أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش⁽³⁾.

الثاني: رواية القراءات الشاذة عموماً

وهم عددٌ كبير من القراء والرواة الذين نُقلت عنهم وجوهٌ قرائية لم تدخل في القراءات المتواترة المشهورة. ومن هؤلاء من يُنسب إلى طبقة الصحابة، مثل: عبد الله بن مسعود، المتوفى سنة 32هـ، وعبد الله بن الزبير، المتوفى سنة 73هـ. ومنهم من يُنسب إلى طبقة التابعين، مثل: مسروق بن الأجدع بن مالك، المتوفى سنة 62هـ، ونصر بن عاصم الليثي، المتوفى سنة 99هـ، ومجاهد بن جبر، المتوفى سنة 103هـ، وأبان بن عثمان بن عفان، المتوفى سنة 105هـ، والضحاك بن مزاحم، المتوفى سنة 105هـ، وغيرهم كثير ممن وردت عنهم قراءات أو اختيارات قرائية في كتب التفسير والقراءات.

ثالثاً - أنواع القراءات الشاذة

وتنقسم القراءات الشاذة إلى أربعة أقسام رئيسة، يمكن بيانها على النحو الآتي:

1. ما ورد بطريق الآحاد وصحَّ سنده، إلا أنه خالف رسم المصحف العثماني، أو خالف وجهاً معتبراً من وجوه العربية.
2. ما لم يصح سنده، وهو ما لم يثبت نقله عن القراء بطريق معتبر.
3. القراءات الموضوعية أو المختلقة، وهي ما تُنسب إلى القراءة من غير أصل صحيح، ولا سند يعتمد عليه.
4. القراءات التفسيرية، وهي الألفاظ التي ترد على سبيل البيان والتفسير لمعنى الآية، لا على أنها قراءة قرآنية متعبد بتلاوتها⁽⁴⁾.

رابعاً - أركان القراءة الصحيحة المقروء بها

قرّر علماء القراءات أن للقراءة الصحيحة المقبولة ثلاثة أركانٍ أساسية، لا تُعدّ القراءة صحيحةً مقروءاً بها إلا باجتماعها، وهي:

(1) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة (ت 665هـ)، تحقيق: طيار آلي قولاج، دار صادر، بيروت، 1975م: (172).

(2) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح بن الغني القاضي، دار السلام، ط1، 2004م: (37 - 40).

(3) ينظر: القراءات وتوجيهها في لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، دار إحياء الكتب العربية، د. ط.: (9 - 15).

(4) ينظر: مقدمات في علم القراءات، شكري وآخرون: (73).

1. صحة السند: بأن تثبت القراءة بنقلٍ صحيحٍ متصلٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن تكون متواترةً في نقلها من أول السند إلى آخره.
2. موافقة رسم المصحف العثماني: ولو كانت هذه الموافقة على وجه الاحتمال أو التقدير، بحسب ما يحتمله الرسم العثماني.
3. موافقة وجه من وجوه اللغة العربية: ولو بوجهٍ معتبرٍ من وجوه العربية، سواء أكان أفصح أم فصيحاً مقبولاً عند أهل اللغة⁽¹⁾.

خامساً - أهم المصنفات في القراءات القرآنية

يجد الباحث في علم القراءات رصيذاً واسعاً من المؤلفات التي أسهمت في خدمة هذا العلم وتطوير مباحثه، إذ تنوعت موضوعاتها بين بيان معنى الأحرف السبعة، وشرح أصول القراءات وفرشها، والكشف عن صلتها بالنحو واللغة، وتأريخ نشأتها وتطورها، وتوجيه وجوهها والاحتجاج لها. وقد شكّلت هذه المصنفات أساساً علمياً مهماً للدارسين في هذا الحقل، ويمكن الإشارة إلى عددٍ منها على سبيل المثال لا الحصر، ومنها:

1. السبعة في القراءات، لابن مجاهد، المتوفى سنة 324هـ.
2. الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، المتوفى سنة 370هـ.
3. حجة القراءات، لأبي زرعة بن زنجلة، المتوفى سنة 410هـ.
4. التبصرة في القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة 437هـ.
5. التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، المتوفى سنة 444هـ.
6. الأحرف السبعة، لأبي عمرو الداني، المتوفى سنة 444هـ.
7. العنوان في القراءات السبع، لإسماعيل بن خلف الأنصاري، المتوفى سنة 455هـ.
8. المهذب في القراءات العشر، لأبي منصور الخياط، المتوفى سنة 499هـ.
9. الموضح في القراءات الثمان وعللها، لابن أبي مريم الشيرازي، المتوفى سنة 565هـ.
10. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة الدمشقي، المتوفى سنة 665هـ.
11. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، المتوفى سنة 833هـ.

وإلى جانب هذه المصنفات، ظهرت مؤلفات أخرى عُنيت بالقراءات الشاذة على وجه الخصوص، سواء من حيث جمعها، أو توجيهها، أو بيان عللها، أو الكشف عن صلتها بلغة العرب واختلاف المصاحف. ومن أبرز هذه المصنفات:

1. الشواذ في القراءات، لابن مجاهد، المتوفى سنة 324هـ.
 2. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح ابن جني، المتوفى سنة 392هـ.
 3. التعريف بالقراءات الشواذ، لأبي عمرو الداني، المتوفى سنة 444هـ.
 4. شواذ القراءات واختلاف المصاحف، لحمود بن عبد الله الكرمان، المتوفى سنة 505هـ.
 5. القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، لعبد الفتاح القاضي، المتوفى سنة 1403هـ.
- وتدل كثرة هذه المؤلفات وتنوع اتجاهاتها على عناية العلماء بعلم القراءات، وحرصهم على ضبط رواياته، وبيان أصوله، وتوجيه ما ورد فيه من اختلافٍ على وفق قواعد النقل واللغة والرسم.

(1) ينظر: صفحات في علوم القراءات، عبد القيوم عبد الغفور السندي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 2001م: (23).

المبحث الثاني : القراءات القرآنية في علوم اللغة

المطلب الأول : موقف النحاة من علم القراءات

تعرض علم القراءات، في بعض مراحلها، لجملة من الشبهات التي أثّرت حوله بقصد التشكيك في القرآن الكريم وصرف الناس عن تلقيه والاطمئنان إلى وجوه أدائه. وقد تصدّى علماء الإسلام لهذه الشبهات بالدرس والبيان، فألّفوا في الرد عليها مصنفاتٍ علمية أصبحت مصدراً مهماً لطلاب علم القراءات، وللباحثين في علوم القرآن واللغة على السواء.

وقد مرّ علم القراءات بمراحل متعددة، بدأت من عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم انتقلت عبر التلقي والمشافهة والرواية والإسناد، حتى استقرّ علماً مضبوطاً له أصوله وقواعده. وكان من أبرز شروط قبول القراءة الصحيحة أن توافق وجهاً معتبراً من وجوه العربية، ولو بوجه واحد، الأمر الذي يكشف عن الصلة الوثيقة بين علم القراءات وعلوم العربية، ولا سيما علم النحو.

وقد كان لموقف النحاة من القراءات أثرٌ واضح في كتب النحو والتفسير والاحتجاج اللغوي؛ إذ نجد بعض النحاة يعرضون القراءات على قواعدهم النحوية، فيقبلون ما وافقها، ويتوقفون أو يضعفون ما خالفها، حتى وإن كان ثابتاً في الرواية عند علماء القراءات. وقد ترتب على ذلك ورود عبارات في بعض المصنفات تُشعر بالاعتراض على بعض أوجه القراءة أو توجيهها، ولا سيما إذا تعارضت في ظاهرها مع القياس النحوي الذي اعتمده النحوي.

ومع ذلك، فإن مواقف النحاة لم تكن على نسقٍ واحد؛ فالبصريون، في الجملة، كانوا أكثر ميلاً إلى القياس والاطراد في القاعدة، ولذلك ظهر عند بعضهم تحفظٌ تجاه ما خالف أصولهم النحوية. غير أن هذا لا يعني أن جميع البصريين ردّوا القراءات المخالفة للقياس، فقد وُجد منهم من قبلها واحتج لها ووجهها توجيهاً لغوياً. أما الكوفيون، فقد عُرف عنهم توسيع دائرة السماع والاحتجاج بالمروي، فكانوا في الغالب أكثر قبولاً للقراءات وتوجيهها لها، وإن لم يخلُ موقف بعضهم من اعتراضٍ أو مناقشةٍ لبعض الأوجه القرآنية.

ومن الشواهد الدالة على تباين مواقف النحاة أن سيبويه، وهو إمام المدرسة البصرية، كان يرى أن القراءة سنةٌ متبعة، فلا تُردّ بمجرد مخالفتها للقياس. وفي المقابل، نجد أن الفراء، مع كونه من أعلام المدرسة الكوفية، ناقش بعض القراءات ولم يؤيد بعضها في ضوء نظره اللغوي. كما يُذكر أن المبرد البصري أنكر على حمزة قراءته لقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾ بالجر، وعدّها مخالفةً لما يراه من أصول العربية. وهذا كله يدل على أن العلاقة بين النحو والقراءات علاقة تداخل وتأثير، وأن الموقف من القراءة لم يكن محكوماً دائماً بالانتماء المدرسي وحده، بل كان يتأثر بمنهج العالم في النظر إلى الرواية والقياس والسماع.⁽¹⁾ في قوله تعالى: ﴿هُيَ هَبْ يَحْ يَحْ يَخْ يَمْ﴾⁽²⁾، وفي مقابل موقف المبرد، نجد أن ابن جني يؤيد هذه القراءة ويدافع عنها، محاولاً توجيهها لغوياً يرفع عنها الاعتراض. فقد ردّ على المبرد، المعروف بأبي العباس، مبيّناً أن هذه القراءة ليست على درجة الضعف أو البعد التي ذهب إليها، فقال: «ويرى ابن جني أن هذه القراءة لا تبلغ في الضعف ما ذهب إليه المبرد، ولا تستحق ما وُصفت به من البعد أو القبح أو الشناعة؛ إذ إن وجهها اللغوي، عنده، أقرب إلى القبول وأحفّ مما صوّره أبو العباس. ومن ثمّ فإنّ اعتراض المبرد عليها لا يمنع من توجيهها توجيهاً عربياً سائغاً»⁽³⁾.

ولم يكن الخلاف بين النحاة منصباً على أصل الاحتجاج بالسماع، فقد اتفقوا على اعتباره مصدراً من مصادر التقعيد اللغوي، وإنما وقع الخلاف في موقفهم من القراءات القرآنية وكيفية التعامل معها. فذهب فريقٌ منهم إلى قبول القراءات والاحتجاج

(1) ينظر: مواقف النحاة من القراءات القرآنية، ياسين حاسم المحمّد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001م: (21).

(2) سورة النساء: (1).

(3) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2001م: (1 / 293).

بها، وعدّها شاهداً معتمداً في تقرير القواعد النحوية، في حين تحفظ فريق آخر على بعض الوجوه القرائية التي رأى أنها تخالف ما قرره من أصول وقواعد. وإذا جاءت القراءة، ولو كانت من القراءات السبع، مخالفة للقاعدة التي اعتمدها النحوي، فقد يصفها بعضهم بالقبح، أو الخطأ، أو الضعف، أو اللحن، أو الشذوذ، تبعاً لمنهجهم في الموازنة بين الرواية والقياس⁽¹⁾.

وخلاصة القول إنّ المدرسة البصرية اتجهت، في غالب منهجها، إلى تضيق دائرة قبول بعض وجوه القراءات القرآنية إذا خالفت ما استقر لديها من قواعد نحوية قائمة على القياس والاطراد. وكان الأجدر أن تراجع تلك القواعد وتوسع أصول التقعيد النحوي بما يستوعب القراءات القرآنية الثابتة، لا أن تُردّ القراءة أو تُضعّف لمجرد مخالفتها للقياس النحوي. وفي المقابل، بدا منهج الكوفيين أكثر اتساعاً ومرونة في قبول القراءات والاحتجاج بها، نظراً لاعتمادهم الأوسع على السماع والمروي اللغوي. ولمزيد من البيان، سيتناول البحث موقف النحاة من القراءات القرآنية المتواترة أولاً، ثم موقفهم من القراءات الشاذة ثانياً، للكشف عن طبيعة العلاقة بين الرواية القرآنية والقاعدة النحوية عند المدرستين البصرية والكوفية.

أولاً - موقف النحاة من القراءات المتواترة

تعدّ القراءات القرآنية المتواترة سنة متبعة، ثبت نقلها بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك قرر أئمة القراءات أنه لا يجوز لأحدٍ، مهما بلغ قدره في العلم، أن يردّ قراءة متواترة، أو يخطئ قارئها، ما دامت قد استوفت شروط القراءة الصحيحة من صحة السند، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه معتبر من وجوه العربية.

ومع ذلك، فقد وردت في بعض كتب التفسير والنحو مواقف لبعض العلماء يظهر فيها الاعتراض على بعض القراءات المتواترة أو تضعيفها من جهة القياس النحوي. ومن ذلك ما نسب إلى ابن عطية، على جلاله قدره وسعة علمه، من رده قراءة ابن عامر عند تفسيره الآية السابعة والأربعين من سورة آل عمران. كما يذكر أن ابن جرير الطبري، مع مكانته العلمية في الفقه والتفسير والقراءات، كان من أوائل من ناقش بعض القراءات وردّ بعضها في ضوء منهجه اللغوي والتفسيري.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد عن ابن خالويه، وهو من نحاة القرن الرابع الهجري، في موقفه من قراءة ابن عامر في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَغْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (33)، إذ ذكر أن ابن عامر قرأ بطرح الهمزة، وثابت الياء، وكسر الهاء، ثم علّق على ذلك بقوله: إن كان جعله من «أنبا ينبئ» غير مهموز فهو لحن. وهذا يدل على أن بعض النحاة كانوا يعرضون القراءة على ما استقر لديهم من قواعد لغوية، فيحكمون عليها بحسب موافقتها أو مخالفتها لتلك القواعد.

وكذلك شدّد الزمخشري النكير على من قرأ بالفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، ملتزماً في ذلك بما تقرره قواعد العربية عنده، ومقدماً الاعتبار النحوي على جانب الرواية القرائية المتواترة.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن النحاة الأوائل الذين نشأ النحو على أيديهم كان فيهم عدد من القراء وأهل الرواية، مثل أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد. ولعل عنايتهم بالقراءات القرآنية كانت من العوامل التي دفعتهم إلى دراسة العربية وتقعيد مسائلها؛ سعياً إلى التوفيق بين ما روي من القراءات، وما ثبت بالسماع من كلام العرب.

غير أنه لما استقرت القواعد النحوية في كتاب سيبويه، ثم تبلورت ملامح المدرستين البصرية والكوفية، أخذ بعض النحاة يتعاملون مع القراءات القرآنية في ضوء أصولهم النحوية؛ فقبلوا ما وافق قواعدهم، وناقشوا أو ضعّفوا ما رأوا أنه لا ينسجم مع القياس

(1) ينظر: القراءات القرآنية وموقف النحاة والاستشراق منها، راضي نواصرة، مؤسسة حمادة، إربد، 2003م: (167).

النحوي المعتمد لديهم. ومن هنا نشأ جانبٌ من التوتر العلمي بين الرواية القرائية والقاعدة النحوية، وهو ما يكشف عن أهمية دراسة موقف النحاة من القراءات المتواترة دراسةً قائمةً على الموازنة بين حجية النقل وضوابط العربية.⁽¹⁾

ثانياً - موقف النحاة من القراءات الشاذة

ذهب جمهور العلماء إلى جواز الاحتجاج بالقراءات الشاذة في الدراسات النحوية واللغوية والفقهية، من جهة ما تتضمنه من دلالات لغوية أو تفسيرية أو فقهية يمكن الاستفادة منها في الاستنباط والاحتجاج. غير أن هذه القراءات لا تُعدّ قرآناً متعبداً بتلاوته؛ لأنها لم تثبت بطريق التواتر، ولم تُدرج في المصاحف العثمانية، وكان رفعها من المصاحف دليلاً على عدم ثبوت قرآنيها على وجه القطع، وإن بقيت لها قيمة علمية في مجالات التفسير واللغة والفقه.⁽²⁾

ومن الأمثلة على موقف النحاة من القراءات القرآنية الشاذة قوله تعالى: **لِي لِي مَا مَمَّ (3)**، قال ابن عطية في توجيهه لهذه الآية: إن أبي بن كعب، وابن القعقاع، وابن عامر، والحسن، على ما نقله هارون، قرؤوا: «فلتفرحوا» و«تجمعون» بالتاء فيهما، على وجه الخطاب، وقد رويت هذه القراءة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي قراءة جماعة من السلف.

وتُعدّ هذه القراءة موافقةً لرسم المصحف، كما توافق وجهاً معتبراً من وجوه العربية، غير أن ضعف سندها حال دون إلحاقها بالقراءات المتواترة، فصُنِّفت ضمن القراءات الشاذة. ومن ثمّ فإن وصفها بالشذوذ لا يعني الطعن في معناها أو في وجهها اللغوي، وإنما المراد أنها لم تثبت بسندٍ يبلغ رتبة التواتر؛ إذ لو صحّ إسنادها وثبت نقلها على الوجه المعتمد، لعدّها علماء القراءات من القراءات المقبولة المتواترة.⁽⁴⁾

المطلب الثاني: أثر القراءات القرآنية في القواعد النحوية

إنّ القواعد النحوية ينبغي أن تُعرض على القراءة القرآنية الثابتة، لا أن تُجعل القراءة خاضعةً للقواعد النحوية؛ ذلك أن القرآن الكريم، بجميع قراءاته ورواياته المقبولة، نزل بأفصح لغات العرب وأبلغها وأكثرها شيوعاً واستعمالاً. أما القواعد النحوية فهي قواعد مستنبطة من كلام العرب، نثره وشعره، كما استنبطت من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. ومن ثمّ فإن الكلام العربي الفصيح، وفي مقدمته القرآن الكريم والحديث النبوي، هو الأصل الذي تُستمد منه القواعد، لا العكس.⁽⁵⁾

إنّ أثر القراءات القرآنية في القواعد النحوية أثرٌ بَيِّنٌ لا يخفى على الدارسين؛ فقد بُني كثيرٌ من القواعد النحوية على شواهد من القراءات، كما كانت بعض القراءات سبباً في تقرير قاعدة نحوية أو توجيهها. وقد تأتي القراءة مؤيدةً لقاعدة نحوية معينة، فتكون شاهداً على صحتها وقوة استعمالها في العربية، وقد تأتي في موضعٍ آخر مخالفةً لما قرره بعض النحاة، فتدعو إلى مراجعة القاعدة أو توسيعها بما يستوعب الوجه القرائي الثابت.

أما القراءات التي ترتب عليها تعدد الوجوه الإعرابية، فهي كثيرةٌ جداً، إذ أسهم اختلاف وجوه القراءة في إثراء الدرس النحوي، وفتح المجال أمام تنوع التحليل الإعرابي والدلالي للنص القرآني، مما يدل على عمق الصلة بين علم القراءات وعلم النحو.⁽⁶⁾

المطلب الثالث: أثر القراءات القرآنية في تعدد وجوه الإعراب

(1) ينظر: مواقف النحاة من القراءات، ياسين جاسم المحميد: (54 - 55).

(2) ينظر: المصدر نفسه: (88).

(3) سورة يونس: (58).

(4) ينظر: مواقف النحاة من القراءات القرآنية، المحميد: (79).

(5) ينظر: التيسير في القراءات السبع المشهورة وتوجيهها، صابر حسن أبو سليمان، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1994م: (23).

(6) ينظر: مواقف النحاة من القراءات القرآنية، المحميد: (88).

إنَّ القراءات القرآنية المتواترة تمثّل معطيات نصية ثابتة لا تتغير بتعدد وجوه الإعراب أو اختلاف التوجيهات النحوية؛ لأنها منقولة بالرواية الصحيحة المتواترة. أمّا القاعدة النحوية فليست أصلاً مستقلاً يُحاكم النص القرآني إليه إذا تعارضت معه، بل هي ثمرة استقراء كلام العرب الفصيح، وفي مقدمته القرآن الكريم بقراءاته المتواترة. وقد نشأت علوم العربية، بما فيها النحو والصرف والبلاغة، في بداياتها لخدمة النص القرآني وصونه من اللحن، فكانت وسيلة لفهم لغة القرآن وضبطها، لا أداة لردّ قراءاته الثابتة. ومن ثمّ فإن القواعد التي قررها النحاة ينبغي أن تكون تابعة للقرآن الكريم وقراءاته المتواترة، وأن تُفسّر في ضوءها، لا أن تُجعل معياراً لإضعاف القراءة أو الاعتراض عليها إذا ثبت نقلها وصحت روايتها⁽¹⁾. وقد نشأت العناية بعلوم العربية بدافع الحاجة الملحة إلى تعليم العربية وضبطها، ولا سيما بعد دخول أقوام أعجمية كثيرة في الإسلام، وما ترتب على ذلك من إقبالهم على تعلّم لغة القرآن الكريم وقراءته وفهم معانيه. فالقرآن الكريم يمثل السجل الجامع لأصول الدين الإسلامي، بما يشتمل عليه من عقائد وعبادات وتشريعات وتنظيم لعلاقات المسلمين في مختلف شؤونهم. ومن هنا برزت ضرورة علمية وتعليمية ملحة تمثلت في تمكين الداخلين حديثاً في الإسلام، والناشئين في بيئات لا تتكلم العربية، من فهم لغة القرآن الكريم واستيعاب دلالاته. ولم يكن المطلوب مجرد معرفة عامة بالعربية، بل تهيئة الطريق أمامهم لاكتساب دقائقها وأساليبها وقواعدها، بما يعينهم على صحة القراءة، وسلامة الفهم، والبعد عن اللحن في كتاب الله تعالى⁽²⁾.

المبحث الثالث: تعامل ابن منظور مع القراءات القرآنية

المطلب الأول: ترجمة ابن منظور (630هـ - 711هـ)

هو جمال الدين أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حَبْثَة بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، أحد أعلام اللغة والأدب في القرن السابع الهجري. وُلِدَ في شهر محرم سنة 630هـ، ونشأ في بيئة علمية أسهمت في تكوين شخصيته المعرفية واللغوية، حتى عُدَّ من أبرز علماء العربية، واشتهر شهرة واسعة بتأليفه معجمه الكبير لسان العرب⁽³⁾. عاش ابن منظور في القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري، وهي حقبة اتسمت بتحوّلات سياسية وحضارية كبرى؛ فقد شهدت تراجع الوجود الصليبي وخروجه من بلاد الشام ومصر، كما شهدت آثار الغزو المغولي الذي بلغ ذروته بسقوط بغداد، دار الخلافة العباسية، سنة 656هـ. ولا شك أن هذه الأحداث مثّلت منعطفاً تاريخياً مهماً في حياة الأمة العربية والإسلامية، إذ دخلت مرحلة جديدة حاولت فيها ملزمة شتاتها واستعادة مقوماتها العلمية والحضارية. وفي ظل هذه الظروف العصيبة، حظيت اللغة العربية بعناية بالغة من علماء الأمة، بوصفها وعاء القرآن الكريم وأداة حفظ التراث والهوية. وفي هذا السياق جاء معجم لسان العرب لابن منظور، بوصفه عملاً معجمياً ضخماً أراد مؤلفه أن يجمع فيه خلاصة الجهد اللغوي السابق، وأن يقدم سفيراً جامعاً يخدم العربية وعلومها. وقد أودع ابن منظور في معجمه مادة لغوية ونحوية واسعة، تتفاوت كثافتها من موضع إلى آخر، وتظهر من خلال أبواب النحو ومسائله وقضاياها، مما يجعل لسان العرب مصدراً مهماً لا للمعاني اللغوية فحسب، بل كذلك للشواهد النحوية والقراءات والتوجيهات اللغوية⁽⁴⁾.

(1) ينظر: مواقف النحاة من القراءات القرآنية، المحيّد: (101 - 102).

(2) ينظر: المصدر نفسه: (108).

(3) ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1979م: (1 / 248).

(4) ينظر: منهج ابن منظور في لسان العرب (المسائل النحوية واللغوية والصرفية)، رائف السمارة، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، 1996م: (203).

اعتمد ابن منظور في تأليف معجمه لسان العرب على خمسة مصادر رئيسية، هي: تهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، وحواشي ابن بري على صحاح الجوهري، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير. وقد أولى ابن منظور عناية واضحة بالشواهد اللغوية، من حيث إيرادها وضبطها ونسبتها إلى أصحابها، وكان لأثر ابن بري وتعليقاته اللغوية الدقيقة دورٌ بارز في توجيه هذه العناية وترسيخها في مادة المعجم⁽¹⁾.

المطلب الثاني: منهج ابن منظور في لسان العرب

لا غرابة في أن يُعدَّ معجم لسان العرب من أهم المعاجم العربية، ومن أبرز المراجع التي لا يستغني عنها الباحثون في ميادين العلوم الإنسانية المكتوبة بالعربية؛ لما امتاز به من سعة المادة، وتنوع الشواهد، وغنى التوجيهات اللغوية والنحوية والصرفية.

وقد جاءت مواد المعجم في كثير من مواضعها شاملةً وافيةً، إذ لم يقتصر ابن منظور على بيان المعنى اللغوي العام للمادة، بل حرص على تتبع اشتقاقاتها، ووجوه استعمالها، ودلالاتها المختلفة، وما يتصل بها من شواهد قرآنية وشعرية وحديثية وأمثلة عربية. كما اعتاد أن يستحضر الآراء النحوية والصرفية الواردة في المادة، وأن يدعمها بما ورد في كلام العرب من شعرٍ ونثرٍ وأمثلة، فضلاً عن الاستشهاد بالقرآن الكريم وبيان ما يرتبط ببعض ألفاظه من أوجه القراءات.

ويلاحظ القارئ أن ابن منظور كثيراً ما يجمع في المادة الواحدة بين أقوال اللغويين والنحاة، فيورد رأي اللحياني، وينقل عن تهذيب اللغة، ويستشهد بالحديث، ثم يذكر رأي سيبويه أو غيره من أعلام النحو، ويعقبه بأقوال العرب وأبيات الشعر. وقد ينقل عن ابن بري ما يتضمن آراء الخليل وسيبويه والأخفش، ثم يورد آيةً قرآنية، ويعرض أقوال عدد من النحاة، موضحاً الأوجه الصرفية والنحوية، ومناقشاً بعض الآراء أو مرجحاً بينها، ثم يسوق شواهد شعرية أخرى لتأييد وجه لغوي أو نحوي معين.

ولهذا فإن مادة لسان العرب لا تقدّم شرحاً لغوياً مختصراً فحسب، بل تقدّم معالجة واسعة تتابع الدلالة في اشتقاقاتها الصرفية، وتوجيهاتها النحوية، واستعمالاتها في اللغة والأدب. ومن ثمَّ يجد الباحث في هذا المعجم مادةً غنيةً لدراسة التطور الدلالي للألفاظ، فضلاً عن الاستفادة منه في دراسة الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية، وما يورده من أخبار ووقائع من تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده. وبذلك أصبح لسان العرب مصدراً أساسياً في الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية، ومرجعاً لا يكاد يستغني عنه الدارسون في هذه المجالات⁽²⁾.

المطلب الثالث: ابن منظور والقراءات .. دراسة تطبيقية

تُعَدُّ القراءات القرآنية من الموضوعات المهمة للباحث في مجال الدرس اللغوي؛ لما لها من صلة وثيقة بالمدارس اللغوية والنحوية، ولما تكشفه من ظواهر لغوية متعددة تتصل ببنية العربية وأصواتها وصيغها وتراكيبها ودلالاتها. وقد حظي علم القراءات في معجم لسان العرب بعناية ملحوظة من ابن منظور، إذ أورد كثيراً من الآراء والتوجيهات المتصلة بالقراءات، مستنداً في ذلك إلى ما نقله عن مصادره اللغوية والمعجمية. غير أن موقفه في الغالب كان موقف الناقل الجامع لا موقف المجتهد المرحّح؛ إذ لم يُكثر من إبداء رأيه الخاص في القراءات أو ترجيح بعضها على بعض. وقد يورد القراءة الشاذة أو النادرة أحياناً لتقوية مذهبٍ نحوي أو توجيهٍ لغوي، كما قد يُعرض عنها أو يورد ما يضعفها في موضع آخر بحسب السياق اللغوي أو النحوي الذي يعالجه.

(1) ينظر: المصدر نفسه: (291).

(2) ينظر: منهج ابن منظور، رائف السمارة: (283).

ومن القراءات القرآنية التي وردت في لسان العرب ضمن الجزء الأول من القرآن الكريم ما يأتي:

الموضع الأول - قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾⁽¹⁾.

وقف ابن منظور عند مادة «حمد» مبيّناً أن الحمد نقيض الذم، ثم أورد ما نُقل في قراءة قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ من أوجه إعرابية وصوتية، فذكر قراءة الرفع: «الحمد لله»، وقراءة النصب: «الحمد لله»، وقراءة الجر: «الحمد لله»، فضلاً عن وجه آخر يقوم على إتباع حركة اللام لحركة الدال، نحو: «الحمد لله».

وقد وجه ابن منظور قراءة الرفع «الحمد لله» على الابتداء، أو على الحكاية، أي: ابتدأت بقول: الحمد لله. أما قراءة النصب «الحمد لله» فوجهها عنده أن تكون على المصدر، كأن التقدير: أحمد الله حمداً. وأما قراءة الجر «الحمد لله» فقد وُجّهت على الإتيان، أي إتباع حركة الدال لحركة اللام، وكذلك قراءة «الحمد لله» تُحمل على الإتيان أيضاً، غير أن الإتيان في هذه الأوجه لا يرقى إلى منزلة القراءة المشهورة في الاستعمال والقبول.

والقراءة المعتمدة المشهورة عند جمهور القراء هي الرفع في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، على أن «الحمد» مبتدأ، و«الله» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر. أما الأوجه الأخرى، نحو: «الحمد لله»، و«الحمد لله»، و«الحمد لله»، فقد نُقلت عن بعض العرب، ولا سيما أهل البدو، من جهة الاستعمال اللغوي، لا من جهة القراءة القرآنية المتواترة.

فمن نصب «الحمد» حملة على المصدر، إذ يجوز في العربية أن يقع المصدر منصوباً إذا صح أن يحل محله فعل من لفظه أو معناه، كما في نحو قولهم: «أحمد الله حمداً». ومن هذا الباب ما يذكره النحاة في توجيه بعض المصادر المنصوبة التي يُقدّر لها فعل عامل فيها. غير أن هذا الوجه، وإن كان له توجيه لغوي، لا يكون هو المختار في قراءة الآية.

أما من قرأ «الحمد لله» بكسر الدال، أو «الحمد لله» بضم اللام، فقد حمل ذلك على الإتيان الصوتي؛ إذ قد تتأثر حركة حرف بحركة حرف مجاور له طلباً للخفة والانسجام في النطق. ومع ذلك فقد عُدَّ هذان الوجهان ضعيفين من جهة القياس والاستعمال في القراءة؛ لأن حركة الدال في «الحمد» حركة إعراب، أما حركة اللام في «الله» فهي حركة بناء، وحركة الإعراب أقوى من حركة البناء.

ويرى ابن جني أن قراءة «الحمد لله» بضم الدال واللام أيسر من قراءة «الحمد لله» بكسرها؛ وذلك لأن الإتيان، إذا وقع، فالأقيس فيه أن يتبع الثاني الأول، لا أن يتبع الأول الثاني. كما أن ضمة الدال في «الحمد» حركة إعرابية، وهي أقوى من كسرة اللام في «الله»؛ لأن اللام حرف جر مبني، وحركة البناء أضعف من حركة الإعراب.

وعلى هذا الأساس، فإن الوجه الأجود والأفصح هو قراءة الرفع: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ لأنها القراءة المشهورة الثابتة، ولأنها قائمة على توجيه نحوي واضح، هو الابتداء والخبر. أما قراءة «الحمد لله» أو «الحمد لله» فهي من اللغات أو الأوجه التي لا يُعَوَّل عليها في القراءة المتواترة، وإن أمكن توجيه بعضها من جهة العربية. وكذلك فإن قراءة «الحمد لله» ضعيفة من جهة القياس؛ لأن لام الجر متصلة بما بعدها، وليس متصلة بالدال قبلها، غير أن من قرأ بها حملها على الخفة الصوتية وفراراً من الانتقال من الضم إلى الكسر، لكثرة ملازمة لفظ «الحمد» للجار والمجرور بعده في الاستعمال.⁽²⁾

الموضع الثاني: قوله تعالى: أَمْ لِي مِجْمَعٌ مَخْ⁽³⁾.

(1) سورة الفاتحة: (2).

(2) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م: (1 / 15).

(3) سورة البقرة: (106).

يُعطف الفعل «نُسِها» على الفعل «نسخ»، وهو فعل مضارع مجزوم؛ لوقوعه في سياق الشرط بـ«ما» الشرطية في قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾.

وقد اختلف القراء في هذه اللفظة؛ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «نُسَّأها» بفتح النون وإثبات الهمزة، في حين قرأ بقية القراء: «نُسِها» من غير همز. فمن قرأ «نُسَّأها» جعلها من الفعل «نَسَأَ»، بمعنى أّخر، وهي فعل مضارع معطوف على «نسخ»، مجزوم، وعلامة جزمه السكون الظاهر على الهمزة، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به.

وعلى هذا الوجه يكون معنى القراءة متصلاً بالتأخير، وقد وُجّه التأخير في الآية على ثلاثة معانٍ: الأول أن يؤخر الله تعالى إنزال الآية، فلا تنزل ولا تُتلى. والثاني أن تنزل الآية ويُعمل بها وتُتلى، ثم تُرفع تلاوتها بعد ذلك بالنسخ، فلا تبقى متلوة ولا معمولاً بحكمها. والثالث أن يتأخر العمل بحكمها أو تأويلها إلى وقتٍ آخر.

أما قراءة «نُسِها» من غير همز، فهي من الفعل «أنسى يُنسي»، وقد حُذفت الياء للجزم؛ لأنها فعل مضارع معطوف على «نسخ» المجزوم. ويكون المعنى على هذا الوجه: نُدب ذكرها من القلوب، أو نأمركم بتركها. وقد وُجّهت هذه القراءة أيضاً على تقدير مفعول محذوف، أي: «نُسِكها»، فيكون الخطاب موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمعنى: نجعلك تنساها أو نرفعها من حفظك بأمر الله تعالى⁽¹⁾.

وعليه، فإن هذين الموضعين يمثلان ما استشهد به ابن منظور من قراءات الجزء الأول من القرآن الكريم في معجمه لسان العرب، وقد أوردها في سياق توجيه المادة اللغوية وبيان ما يتصل بها من وجوه قرآنية ونحوية ودلالية.

الخاتمة

وبعد تناول موضوع «القراءات القرآنية وتوجيهها في معجم لسان العرب لابن منظور: الجزء الأول من القرآن الكريم»، يمكن الوصول إلى جملة من النتائج، أبرزها ما يأتي:

1. إنَّ علم القراءات من العلوم ذات الأثر الواسع في ميادين معرفية متعددة، ولا سيما علوم اللغة العربية، وفي مقدمتها النحو والمعجم اللغوية.
2. تباينت مواقف النحويين من القراءات القرآنية بين القبول والاعتراض، وظهر ذلك بوضوح عند تعارض وجوه القراءة مع القواعد النحوية المقررة؛ فمنهم من ردّ القراءة أو ضعفها، ومنهم من وجّها وسعى إلى تطويع القاعدة النحوية بما ينسجم معها.
3. غلب على المدرسة البصرية الميل إلى القياس والاطراد، مما جعل بعض أعلامها أكثر تحفظاً تجاه القراءات التي تخالف قواعدهم النحوية، في حين اتسم موقف المدرسة الكوفية، في الغالب، بسعة أكبر في قبول القراءات والاحتجاج بها.
4. إنَّ نزول القرآن الكريم في أعلى مراتب الفصاحة والبيان جعل من قراءاته مصدراً مهماً من مصادر الاستشهاد اللغوي واستنباط القواعد النحوية.
5. إنَّ القراءات القرآنية الثابتة ينبغي أن تكون أصلاً يُحتكم إليه في تقويم القواعد النحوية، لا أن تُجعل القواعد النحوية معياراً لردّ القراءة أو تضعيفها إذا ثبتت روايتها وصحت شروطها.
6. أسهم تعدد القراءات القرآنية في إثراء الدرس النحوي، إذ أدى إلى تعدد وجوه الإعراب وتنوع التوجيهات اللغوية للآيات القرآنية.

(1) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1979م: (1 / 57).

7. يكشف تتبع القراءات في معجم لسان العرب عن عناية ابن منظور بإيراد الشواهد القرآنية والقراءات بوصفها مادة لغوية مهمة، وإن كان لا يتوسع غالباً في مناقشة الآراء القرائية أو الترجيح بينها.
8. يبرز من خلال البحث أن توجيه القراءات لا يقتصر على الجانب النحوي وحده، بل يمتد إلى الجوانب الصوتية والصرفية والدلالية، مما يدل على ثراء القراءات القرآنية وأثرها العميق في بناء الدرس اللغوي العربي.

المصادر والمراجع

References

- القرآن الكريم.
1. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: أحمد بن محمد الدمياطي (ت 1117هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، د. ط.
 2. إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العربية، بيروت، ط2، 2004م.
 3. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1979م.
 4. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح بن الغني القاضي، دار السلام، ط1، 2004م.
 5. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
 6. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1979م.
 7. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
 8. التبيان في علوم القرآن، كامل موسى وعلي دحروج، دار بيروت المحروسة، ط1، 1992م.
 9. التيسير في القراءات السبع المشهورة وتوجيهها، صابر حسن أبو سليمان، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1994م.
 10. الحجة في علل القراءات، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1983م.
 11. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
 12. السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد (ت 325هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، د. ت.
 13. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، عالم الكتب، بيروت، ط5، 1986م.

14. صفحات في علوم القراءات ، عبد القيوم عبد الغفور السندي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط2، 2001م.
15. الفعل المضارع في ضوء القراءات الموجهة : فواد أحمد السيد الخطاب ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط1، 1983م.
16. القراءات القرآنية تاريخ وتعريف : عبد الهادي الفضلي ، دار الجمع العلمي ، جدة ، د. ط.، 1979م.
17. القراءات القرآنية وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ، محمد حبش ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 1419هـ / 1999م.
18. القراءات القرآنية وموقف النحاة والاستشراق منها ، راضي نواصرة ، مؤسسة حمادة ، إربد ، 2003م.
19. القراءات وتوجيهها في لغة العرب : عبد الفتاح القاضي ، دار إحياء الكتب العربية ، د. ط.
20. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ)، دار صادر ، بيروت ، ط3، 1414هـ.
21. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : ابن جني ، تحقيق : محمد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1998م.
22. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية الأندلسي (ت 542هـ)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1422هـ.
23. المدخل إلى القراءات وأصول العشر المتواترات : عبد الرحمن جبريل ، دار الخليج ، عمان ، ط1، 2000م.
24. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز : شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة (ت 665هـ)، تحقيق : طيار آلي قولاج ، دار صادر ، بيروت ، 1975م.
25. معاني القرآن وإعراجه : أبو إسحاق إبراهيم الزجاج ، تحقيق : عبد الجليل عبده شلي ، دار الحديث ، القاهرة ، د. ط.، 2004م.
26. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى الفراء ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2002م.
27. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ، محمد سالم محيسن ، دار الجليل ، بيروت ، ط2، 1988م.
28. مقدمات في علم القراءات : أحمد خالد شكري وآخرون ، دار عمار ، عمان ، ط1، 2001م.
29. منجد المقرئين ومرشد الطالبين : ابن الجزري (ت 833هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1980م.
30. منهج ابن منظور في لسان العرب (المسائل النحوية واللغوية والصرفية)، رائف السمارة، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، 1996م.
31. مواقف النحاة من القراءات القرآنية ، ياسين جاسم المحيمد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1، 2001م.
32. النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ط.

أثر اسباب النزول في فهم النص القرآني دراسة تطبيقية

م.م نور علي حسين

كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة

noora.alhaasnawi@uokufa.edu

07733564460

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

أثر اسباب النزول في فهم النص القرآني دراسة تطبيقية

م.م نور علي حسين

كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة

noora.alhaasnawi@uokufa.edu

07733564460

الملخص

تناول هذا البحث موضوع "علوم القرآن وأثرها في ترسيخ القيم المجتمعية" من منظور الدراسات القرآنية في المدرسة الشيعية الإمامية، بهدف بيان الدور الذي تؤديه علوم القرآن في بناء المنظومة الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع. وانطلق البحث من إشكالية رئيسة تتمثل في الكشف عن مدى إسهام علوم القرآن في ترسيخ القيم المجتمعية وتعزيز الاستقرار والتماسك الاجتماعي، من خلال دراسة مفهوم علوم القرآن ونشأتها، وأنواعها ومجالاتها، ومفهوم القيم المجتمعية في القرآن الكريم، إضافة إلى بيان أثر علوم القرآن في تعزيز القيم الأخلاقية، ودور التفسير الشيعي في إبراز القيم الاجتماعية، وأثر القيم القرآنية في تحقيق الاستقرار المجتمعي.

واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل النصوص القرآنية وآراء المفسرين من علماء الإمامية، ولا سيما ما ورد في تفاسير التبيان للشيخ الطوسي، ومجمع البيان للطبرسي، والميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي، فضلاً عن عدد من الدراسات القرآنية المعاصرة. وقد توصل البحث إلى أن علوم القرآن تمثل أداة أساسية لفهم المقاصد القرآنية واستنباط القيم الأخلاقية والاجتماعية التي جاء بها القرآن الكريم، وأن التفسير الشيعي أسهم بصورة واضحة في إبراز الأبعاد الاجتماعية للنص القرآني وربطها بواقع الإنسان والمجتمع. كما أثبتت الدراسة أن القيم القرآنية، كالعدل والرحمة والتكافل والتسامح والكرامة الإنسانية، تؤدي دوراً جوهرياً في تحقيق التماسك والاستقرار المجتمعي، وتسهم في مواجهة العديد من المشكلات الأخلاقية والاجتماعية المعاصرة. وانتهى البحث إلى التأكيد على أهمية تعزيز الدراسات القرآنية التي تُعنى بالبعد الاجتماعي للقرآن الكريم، لما لها من دور فاعل في بناء مجتمع متوازن قائم على القيم الإنسانية والإسلامية الأصيلة.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن، القيم المجتمعية، التفسير الشيعي، الأخلاق الإسلامية، التماسك المجتمعي.

Abstract

This study examines “Qur’anic Sciences and Their Role in Consolidating Social Values” from the perspective of Twelver Shi’a Qur’anic scholarship. The research aims to explore the contribution of Qur’anic sciences to the development of moral and social values and their impact on social cohesion and stability. The study addresses the concept and development of Qur’anic sciences, their major branches and fields, the concept of social values in the Holy Qur’an, and the role of Qur’anic sciences in promoting ethical values. It also highlights the contribution of Shi’a exegesis in presenting social values and examines the impact of Qur’anic values on social solidarity and societal stability.

The research adopts a descriptive-analytical methodology through the analysis of Qur'anic texts and the interpretations of prominent Shi'a scholars, particularly Al-Tibyan by Shaykh Al-Tusi, Majma' Al-Bayan by Al-Tabarsi, and Al-Mizan by Allamah Muhammad Husayn Al-Tabataba'i, in addition to selected contemporary Qur'anic studies. The findings indicate that Qur'anic sciences constitute a fundamental means for understanding the objectives of the Qur'an and deriving the ethical and social principles embedded within its teachings. The study further reveals that Shi'a exegesis has played a significant role in highlighting the social dimensions of Qur'anic discourse and linking them to contemporary human and societal concerns. Moreover, the research demonstrates that Qur'anic values such as justice, mercy, solidarity, tolerance, and human dignity contribute significantly to social cohesion and stability while providing effective solutions to many contemporary moral and social challenges. The study concludes by emphasizing the importance of expanding research on the social dimensions of the Qur'an and strengthening the role of Qur'anic studies in promoting balanced and value-based societies.

Keywords:

Qur'anic Sciences, Social Values, Shi'a Exegesis, Islamic Ethics, Social Cohesion.

مقدمة البحث

يُعد القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي والهداية الإنسانية، وقد نزل منجماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال فترة امتدت أكثر من عشرين عاماً، مواكباً للأحداث والوقائع التي عاشها المجتمع الإسلامي في مختلف مراحل الدعوة. وقد أدى هذا التدرج في النزول إلى ارتباط كثير من الآيات القرآنية بأسباب وملازمات معينة عُرفت في علوم القرآن بـ"أسباب النزول"، وهي الوقائع أو الأسئلة أو الحوادث التي نزلت الآيات بشأنها أو عقب حدوثها. وقد أولى علماء التفسير وعلوم القرآن عناية كبيرة بهذا العلم؛ لما له من أثر بالغ في الكشف عن المعاني الحقيقية للنصوص القرآنية، ورفع ما قد يعتريها من إشكالات أو احتمالات في الفهم، وتحديد المقاصد التي استهدفها الآيات عند نزولها.

وتبرز أهمية أسباب النزول في كونها تمثل أحد المفاتيح الأساسية لفهم النص القرآني فهماً صحيحاً، إذ تسهم في بيان المحمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، ومعرفة الحكمة من التشريع، كما تساعد في إزالة التعارض الظاهري بين النصوص، وتوضح الظروف التاريخية والاجتماعية التي أحاطت بنزول الآيات. وقد أكد عدد من المفسرين والعلماء، ومنهم الطبرسي في "مجمع البيان"، والشيخ الطوسي في "التيبان"، والعلامة الطباطبائي في "الميزان"، أن الإحاطة بأسباب النزول تعد من الوسائل المعينة على إدراك دلالات النص القرآني واستنباط أحكامه ومقاصده.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني من خلال دراسة تطبيقية تستند إلى نماذج من الآيات القرآنية التي ارتبطت بأسباب نزول محددة، وبيان مدى تأثير معرفة تلك الأسباب في توجيه التفسير وفهم المعنى المراد من النص، مع الاستفادة من جهود المفسرين وعلماء علوم القرآن، ولا سيما ما ورد في المصادر التفسيرية والروائية المعتمدة في التراث الإسلامي.

مشكلة البحث وتساؤلاته

تكمن مشكلة البحث في أن كثيراً من النصوص القرآنية قد تُفهم على غير مرادها عند عزلها عن سياقها التاريخي والواقعي الذي نزلت فيه، الأمر الذي يثير التساؤل حول مدى أهمية أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم وفهم دلالاته وأحكامه.

ويتفرع عن هذه المشكلة الرئيسة عدد من التساؤلات، أهمها:

1. ما المقصود بأسباب النزول، وما مكانتها في علوم القرآن؟
2. ما العلاقة بين أسباب النزول وفهم النص القرآني؟
3. ما أثر معرفة أسباب النزول في توجيه التفسير واستنباط الأحكام الشرعية؟
4. إلى أي مدى تسهم أسباب النزول في إزالة الإشكالات التفسيرية وتحديد المقاصد القرآنية؟
5. ما التطبيقات العملية التي تُظهر أثر أسباب النزول في فهم بعض الآيات القرآنية؟

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث فيما يأتي:

1. إبراز أهمية علم أسباب النزول بوصفه أحد العلوم الأساسية المرتبطة بتفسير القرآن الكريم .
2. بيان الدور الذي تؤديه أسباب النزول في فهم النصوص القرآنية فهماً صحيحاً .
3. المساهمة في توضيح العلاقة بين الوقائع التاريخية ودلالات النص القرآني .
4. الكشف عن الأثر التفسيري والفقهية والعقدي المترتب على معرفة أسباب النزول .
5. إثراء الدراسات القرآنية المعاصرة بدراسة تطبيقية تجمع بين الجانب النظري والجانب العملي .
6. المساهمة في مواجهة التفسيرات الخاطئة للنصوص القرآنية الناتجة عن تجاهل أسباب النزول .

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعريف بمفهوم أسباب النزول وبيان نشأته وأهميته .
2. توضيح مكانة أسباب النزول بين علوم القرآن .
3. بيان أثر أسباب النزول في تفسير الآيات القرآنية وفهم معانيها .
4. إبراز دور أسباب النزول في استنباط الأحكام الشرعية والمقاصد القرآنية .
5. تقديم نماذج تطبيقية توضح أثر أسباب النزول في توجيه المعنى القرآني .
6. بيان حدود الاستفادة من أسباب النزول في التفسير وفق مناهج المفسرين .

منهجية البحث

المنهج الوصفي: من خلال عرض مفهوم أسباب النزول وأهم خصائصه وأقسامه وأهميته. أسباب اختيار موضوع البحث

يرجع اختيار هذا الموضوع إلى عدة اعتبارات، أهمها:

1. الأهمية العلمية لموضوع أسباب النزول وارتباطه المباشر بتفسير القرآن الكريم .
2. الحاجة إلى إبراز دور أسباب النزول في تحقيق الفهم الصحيح للنصوص القرآنية .
3. كثرة الإشكالات التفسيرية الناتجة عن إغفال أسباب النزول أو عدم مراعاتها .
4. الرغبة في دراسة تطبيقية تجمع بين التأصيل النظري والتحليل العملي .
5. قلة الدراسات التي تجمع بين الجانب النظري والتطبيقي في هذا الموضوع بصورة متكاملة .
6. أهمية الموضوع في خدمة الدراسات القرآنية والتفسيرية المعاصرة .

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: الطباطبائي، محمد حسين (1997) "الميزان في تفسير القرآن"

ملخص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة تفسير الآيات القرآنية وفق منهج تفسير القرآن بالقرآن، وسعت إلى بيان الأبعاد العقيدية والاجتماعية والأخلاقية للنص القرآني. وقد ركز الباحث على إبراز العلاقة بين التعاليم القرآنية وبناء المجتمع الإنساني، مع تحليل عدد من الآيات المرتبطة بالعدالة والتكافل والكرامة الإنسانية، مستنداً إلى منهج تحليلي يربط بين النص القرآني والواقع الاجتماعي.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم يقدم منظومة متكاملة من القيم الاجتماعية القادرة على بناء مجتمع متوازن ومستقر، وأن تحقيق العدالة والتكافل والرحمة يمثل أساس الإصلاح الاجتماعي. كما أكدت أن فهم الآيات في ضوء السياق القرآني العام يساعد على استنباط المعاني الاجتماعية والحضارية بصورة أكثر شمولاً، وأن القيم القرآنية تمتلك القدرة على معالجة كثير من المشكلات الأخلاقية والاجتماعية المعاصرة.

الدراسة الثانية: الصدر، محمد باقر (1980) "المدرسة القرآنية"

ملخص الدراسة: تناولت هذه الدراسة المنهج القرآني في بناء الإنسان والمجتمع، وسعت إلى بيان طبيعة الرؤية القرآنية للكون والحياة والإنسان، مع التركيز على الوظيفة الحضارية للقرآن الكريم في توجيه السلوك الإنساني وصياغة العلاقات الاجتماعية. وقد ناقش الباحث العلاقة بين العقيدة والقيم، موضحاً أن القرآن الكريم لا يهدف إلى بناء الفرد بمعزل عن المجتمع، وإنما يسعى إلى تكوين أمة تمتلك منظومة متكاملة من المبادئ الأخلاقية والاجتماعية. كما اهتمت الدراسة بتحليل عدد من المفاهيم القرآنية المرتبطة بالعدالة والمسؤولية الاجتماعية والتكافل والتغيير الحضاري، مبينة أن القرآن يمثل أساساً لبناء مجتمع قائم على الإيمان والعمل الصالح.

نتائج الدراسة: توصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم يمتلك مشروعاً إصلاحياً متكاملًا يهدف إلى بناء الإنسان والمجتمع في آن واحد، وأن القيم الأخلاقية والاجتماعية تمثل عنصراً جوهرياً في هذا المشروع. كما أكدت أن الإيمان في المنظور القرآني لا ينفصل

عن السلوك الاجتماعي، وأن تحقيق العدالة والتكافل والتعاون بين أفراد المجتمع يُعد من أهم الأهداف التي يسعى إليها القرآن الكريم. وأظهرت الدراسة كذلك أن استيعاب الرؤية القرآنية الشاملة يساعد في معالجة المشكلات الاجتماعية والفكرية التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

الدراسة الثالثة الحسيني، علي جعفر (2019) "التفسير الاجتماعي عند الطباطبائي وأثره في معالجة قضايا المجتمع"

ملخص الدراسة: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة المنهج الاجتماعي في تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي، وبيان دوره في إبراز الأبعاد الاجتماعية للآيات القرآنية. وقد ركزت الدراسة على تحليل عدد من الموضوعات التي تناولها الطباطبائي، مثل العدالة الاجتماعية، والتكافل الإنساني، والحرية المسؤولة، والوحدة المجتمعية، وأثر الأخلاق في استقرار المجتمع. كما سعت إلى الكشف عن الكيفية التي ربط بها الطباطبائي بين النص القرآني ومتطلبات الواقع الاجتماعي، مع بيان منهجه في استنباط القيم والمبادئ التي تسهم في إصلاح المجتمع وتطويره.

نتائج الدراسة: أظهرت الدراسة أن السيد الطباطبائي قدّم تفسيراً اجتماعياً متوازناً للقرآن الكريم، يقوم على الربط بين المعاني القرآنية واحتياجات المجتمع المعاصر. كما توصلت إلى أن تفسير الميزان أبرز بصورة واضحة الدور الذي تؤديه القيم القرآنية في مواجهة مظاهر الظلم والتفكك والانحراف الأخلاقي، وأنه ركز على بناء الإنسان الواعي القادر على تحمل مسؤولياته الاجتماعية. كذلك بينت الدراسة أن المنهج التفسيري للطباطبائي أسهم في إظهار شمولية القرآن الكريم وقدرته على معالجة القضايا الاجتماعية والإنسانية في مختلف الأزمنة، مما يجعل التفسير الاجتماعي أحد أهم الاتجاهات المعاصرة في الدراسات القرآنية الشيعية.

خطة البحث

المبحث الأول: الإطار النظري لأسباب النزول وأثرها في فهم النص القرآني

المطلب الأول: مفهوم أسباب النزول ونشأته وأهميته في علوم القرآن.

المطلب الثاني: مصادر أسباب النزول وضوابط قبول رواياتها.

المطلب الثالث: أثر أسباب النزول في تفسير النص القرآني واستنباط الأحكام الشرعية.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لأثر أسباب النزول في فهم النص القرآني

المطلب الأول: أثر أسباب النزول في بيان المعنى وتحديد المقصود من الآيات.

المطلب الثاني: أثر أسباب النزول في رفع الإشكالات التفسيرية وتوجيه الدلالة القرآنية.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية من القرآن الكريم تبين أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني عند المفسرين.

المبحث الأول: الإطار النظري لأسباب النزول وأثرها في فهم النص القرآني

يحتل القرآن الكريم مكانة فريدة بين الكتب السماوية باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي والمرجع الأعلى للعقيدة والأخلاق والقيم الإنسانية، وقد اختصه الله تعالى بخصائص متعددة جعلته صالحاً لكل زمان ومكان، ومن أبرز هذه الخصائص أنه نزل منجماً خلال فترة امتدت أكثر من عشرين عاماً، مواكباً لمختلف الوقائع والأحداث التي شهدتها المجتمع الإسلامي في عهد الرسالة. ولم يكن هذا التنزيل المتدرج أمراً عارضاً أو خالياً من الحكمة، بل ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع الذي عاشه المسلمون في مراحل الدعوة المختلفة، الأمر الذي أدى إلى ظهور ما يعرف في علوم القرآن بأسباب النزول، وهي الحوادث أو الوقائع أو الأسئلة التي كانت سبباً في نزول بعض الآيات القرآنية.

وقد أدرك العلماء منذ العصور الأولى للإسلام أهمية معرفة أسباب النزول في فهم القرآن الكريم وتفسيره، إذ وجدوا أن كثيراً من الآيات لا يمكن الوقوف على مقاصدها الحقيقية أو إدراك دلالاتها الدقيقة دون معرفة الملابسات التي صاحبت نزولها. ولذلك اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بنقل أخبار النزول كما اهتموا بنقل ألفاظ القرآن نفسه، ثم تابعهم التابعون ومن جاء بعدهم من المفسرين والمحدثين وعلماء القرآن الذين جمعوا الروايات المتعلقة بأسباب النزول ودرسوها ونقدوها، وأصبحت جزءاً أصيلاً من التراث التفسيري الإسلامي¹.

ومن خلال التأمل في مسيرة التفسير القرآني يتبين أن أسباب النزول لم تكن مجرد معلومات تاريخية تتعلق بالماضي، وإنما كانت أداة تفسيرية أساسية تساعد على فهم النص القرآني في سياقه الصحيح. فمعرفة السبب الذي نزلت من أجله الآية قد تكشف عن المقصود من ألفاظها، وتوضح المراد من أحكامها، وتزيل ما قد يثور حولها من إشكالات أو تعارضات ظاهرية. كما أن أسباب النزول تسهم في إبراز العلاقة الوثيقة بين النص القرآني والواقع الإنساني، وتكشف عن المنهج القرآني في معالجة القضايا الفردية والاجتماعية والعقدية والتشريعية.

وقد أولى علماء المدرسة الإمامية عناية كبيرة بهذا العلم، فامتألت كتب التفسير والرواية لديهم ببيان أسباب نزول كثير من الآيات، كما نجد ذلك في تفسير القمي، وتفسير العياشي، والتبيان للطوسي، ومجمع البيان للطبرسي، والميزان للطباطبائي، وغيرها من المصادر التي أسهمت في حفظ جانب مهم من التراث المتعلق بأسباب النزول. وقد تعامل هؤلاء العلماء مع روايات النزول بوصفها وسيلة لفهم النص القرآني واستكشاف أبعاده الدلالية، مع التأكيد على ضرورة التحقق من صحة الروايات وعدم الاكتفاء بمجرد نقلها دون تمحيص².

ومن هنا تأتي أهمية دراسة مفهوم أسباب النزول وبيان نشأته وتطوره وأهميته العلمية، باعتباره المدخل الرئيس لفهم أثر هذا العلم في تفسير القرآن الكريم واستنباط أحكامه ومقاصده، وهو ما سيتم تناوله في هذا المطلب من خلال بيان المقصود بأسباب النزول، وتتبع نشأة هذا العلم في التراث الإسلامي، ثم توضيح مكانته وأهميته بين علوم القرآن المختلفة³.

المطلب الأول: مفهوم أسباب النزول ونشأته وأهميته في علوم القرآن

يقصد بأسباب النزول الوقائع أو الحوادث أو الأسئلة أو المناسبات التي ارتبط نزول آية من آيات القرآن الكريم بها ارتباطاً مباشراً، بحيث تكون الآية قد نزلت عقب وقوع تلك الحادثة أو استجابة لذلك السؤال أو معالجة لذلك الموقف. ويظهر من خلال هذا التعريف أن السبب لا يعني مجرد الظرف الزمني الذي نزلت فيه الآية، وإنما يعني الواقعة المحددة التي اقتضت نزول النص القرآني لمعالجتها أو بيان حكمها أو توجيه الناس بشأنها.

وقد تعددت تعريفات العلماء لأسباب النزول تبعاً لاختلاف مناهجهم العلمية، إلا أنها تتفق جميعاً في جوهرها على أن سبب النزول هو الأمر الذي وقع فنزل القرآن الكريم بشأنه أو جواباً عنه. وقد عرفه بعض العلماء بأنه ما نزلت الآية أو الآيات متحدة عنه أو مبينة لحكمه وقت وقوعه، بينما ذهب آخرون إلى تعريفه بأنه الحادثة التي اقتضت نزول النص القرآني ابتداءً. ورغم اختلاف الصياغات فإن المعنى العام يظل واحداً، وهو وجود علاقة مباشرة بين نزول الآية وواقعة معينة في حياة المسلمين أو غيرهم⁴.

¹ القمي، علي بن إبراهيم. (1412هـ). تفسير القمي. قم: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ج1، ص. 45.

² سبحاني، جعفر. (2003). مفاهيم القرآن. قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج1، ص ص. 55-98.

³ العياشي، محمد بن مسعود. (1421هـ). تفسير العياشي. قم: مؤسسة البعثة، ج1، ص. 28.

⁴ الخوئي، أبو القاسم. (1998). البيان في تفسير القرآن. قم: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ص. 177.

ويكتسب هذا المفهوم أهمية خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار طبيعة التنزيل القرآني ذاته، فالقرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة كما نزلت بعض الكتب السماوية السابقة، وإنما نزل مفرقًا بحسب الوقائع والحاجات والمستجدات. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾، وهو ما يدل على أن التنزيل التدريجي كان مقصودًا لذاته لما يحققه من مصالح تربوية وتشريعية ودعوية متعددة.

وقد بدأت معرفة أسباب النزول منذ عهد النبوة نفسه، إذ كان الصحابة يشهدون نزول الوحي ويرون الوقائع التي تنزل الآيات بشأنها، ولذلك كانوا أقدر الناس على معرفة أسباب النزول وفهم دلالاتها. وكان بعض الصحابة يتميز بعناية خاصة بهذا الجانب، ومن أشهرهم عبد الله بن عباس الذي عرف بين العلماء بترجمان القرآن، فقد نقل عنه عدد كبير من الروايات المتعلقة بأسباب النزول، كما اشتهر عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وغيرهم بمعرفتهم الواسعة بظروف نزول الآيات وسياقاتها¹.

ومع انتقال الصحابة إلى الأمصار الإسلامية المختلفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، انتقلت معهم معارف أسباب النزول إلى التابعين الذين تلقوا هذه العلوم عنهم، فظهرت مدارس التفسير الأولى في مكة والمدينة والكوفة والبصرة، وأصبحت روايات أسباب النزول جزءًا مهمًا من المادة التفسيرية المتداولة بين العلماء. ثم تطورت عملية التدوين في القرن الثاني والثالث الهجريين، فبدأت الروايات المتعلقة بأسباب النزول تُجمع في المصنفات الحديثية والتفسيرية، إلى أن ظهرت مؤلفات مستقلة خصصت لهذا العلم.

وقد ساعدت هذه الجهود العلمية المتراكمة على تكوين تراث ضخم يتعلق بأسباب النزول، فأصبح هذا العلم أحد الفروع الرئيسة لعلوم القرآن. ولم يقتصر الاهتمام به على علماء أهل السنة فحسب، بل كان للعلماء الإمامية دور بارز في حفظ روايات النزول ونقلها وتحليلها. ويظهر ذلك بوضوح في تفسير القمي الذي يُعد من أقدم التفاسير الشيعية، حيث ترد فيه روايات عديدة تشرح الملابسات التي نزلت فيها الآيات، وكذلك في تفسير العياشي الذي يضم عددًا كبيرًا من الروايات الماثورة عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في بيان أسباب النزول².

كما برز دور الشيخ الطوسي في كتابه "التيان في تفسير القرآن"، حيث تناول أسباب النزول بوصفها عنصرًا مهمًا في فهم النص القرآني، مع عدم الاكتفاء بمجرد نقل الروايات، بل إخضاعها للمناقشة والتحليل والنقد. ثم جاء الطبرسي في "مجمع البيان" فزاد من عناية المفسرين بهذا العلم، إذ جمع الروايات المختلفة المتعلقة بالآيات وقارن بينها وناقش مدى صحتها ومدى تأثيرها في تفسير النص. أما العلامة الطباطبائي في "الميزان في تفسير القرآن" فقد اتخذ موقفًا أكثر دقة، إذ أكد أهمية أسباب النزول في فهم بعض الآيات، لكنه حذر في الوقت نفسه من المبالغة في الاعتماد عليها بطريقة تؤدي إلى حصر دلالة القرآن في الوقائع التاريخية التي نزل فيها.

وتتحلى أهمية أسباب النزول في علوم القرآن من خلال الوظائف العلمية المتعددة التي تؤديها في مجال التفسير والفهم والاستنباط. فمن أهم فوائدها أنها تساعد على إزالة الإشكال عن كثير من الآيات التي قد تبدو غامضة أو محتملة لأكثر من معنى عند قراءتها مجردة عن سياق نزولها. فكثير من النصوص القرآنية تصبح أكثر وضوحًا عندما تُعرف الملابسات التي نزلت فيها، لأن السبب يكشف عن الخلفية الواقعية التي استهدفتها الآية بالمعالجة أو التوجيه³.

¹ الهاشمي، محمد باقر. (2008). القيم التربوية والاجتماعية في القرآن الكريم. بيروت: دار المرتضى للطباعة والنشر، ص ص. 41-86، 132-177.

² الطباطبائي، محمد حسين. (1997). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج3، ص. 74.

³ معري، محمد هادي. (2011). علوم قرآنية. قم: مجمع الفكر الإسلامي، ص ص. 72-118، 201-247.

ومن الفوائد المهمة لأسباب النزول أنها تساهم في معرفة الحكمة التشريعية الكامنة وراء بعض الأحكام القرآنية. فحين يعلم الباحث الظروف التي اقتضت نزول الحكم الشرعي يصبح أكثر قدرة على إدراك مقاصده وأهدافه وعلله، وهو ما يعين على حسن فهم النص واستنباط الأحكام منه بطريقة منضبطة. كما تساعد أسباب النزول في تمييز العام الذي أريد به العموم من العام الذي ورد على سبب خاص، وهي مسألة أصولية مهمة لها آثار كبيرة في مجال الفقه والتفسير.

وتظهر أهمية أسباب النزول كذلك في دفع توهم التعارض بين بعض الآيات القرآنية، إذ إن معرفة زمن النزول وملابساته قد تكشف عن العلاقة الحقيقية بين النصوص وتزيل ما يبدو بينها من تعارض ظاهري. كما أنها تساعد في فهم ظاهرة النسخ ومعرفة الآيات المتقدمة والمتأخرة نزولاً، الأمر الذي يعد ضرورياً في دراسة الأحكام الشرعية وتطور التشريع الإسلامي¹.

ولا تقتصر أهمية أسباب النزول على الجوانب الفقهية والتفسيرية فحسب، بل تمتد إلى الجوانب التاريخية والاجتماعية والتربوية أيضاً، لأنها تقدم صورة واضحة عن المجتمع الذي نزل فيه القرآن الكريم، وتكشف عن طبيعة التحديات التي واجهت الدعوة الإسلامية في مراحلها المختلفة. كما تبين أسلوب القرآن في معالجة المشكلات الواقعية والتدرج في التربية والإصلاح، وهو ما يجعل دراسة أسباب النزول ذات قيمة كبيرة في فهم المنهج القرآني في التغيير الاجتماعي وبناء الإنسان.

ومع هذه الأهمية الكبيرة لأسباب النزول، فقد أكد العلماء ضرورة التعامل معها وفق ضوابط علمية دقيقة، لأن بعض الروايات الواردة في هذا المجال لا تخلو من الضعف أو الاضطراب أو التأثير بالاتجاهات المذهبية والسياسية التي ظهرت في بعض مراحل التاريخ الإسلامي. ولذلك اشترط العلماء صحة السند وسلامة المتن وموافقة الرواية لمقتضيات النص القرآني قبل الاعتماد عليها في التفسير. وقد كان هذا المنهج النقدي حاضراً بقوة في عدد من التفاسير الإمامية التي لم تكتف بمجرد جمع الروايات، بل ناقشتها ووازنت بينها وميزت المقبول منها من غير المقبول.

ومن ثم يمكن القول إن علم أسباب النزول يمثل أحد المفاتيح الرئيسة لفهم القرآن الكريم، وأن قيمته لا تكمن في مجرد تسجيل الوقائع التاريخية المرتبطة بالنصوص، وإنما في دوره التفسيري العميق الذي يساعد على استيعاب دلالات الآيات وإدراك مقاصدها وأبعادها التشريعية والتربوية والعقدية. ولهذا ظل هذا العلم يحظى بمكانة مرموقة بين علوم القرآن عبر مختلف العصور، ولا يزال إلى اليوم من أهم الأدوات التي يعتمد عليها الباحثون والمفسرون في دراسة النص القرآني وفهمه فهماً صحيحاً ومنهجياً².

المطلب الثاني: مصادر أسباب النزول وضوابط قبول رواياتها

يُعد البحث في مصادر أسباب النزول من المسائل الأساسية في علوم القرآن؛ لأن القيمة العلمية لهذا العلم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصحة الروايات التي تنقل أسباب نزول الآيات الكريمة. وإذا كانت أهمية أسباب النزول تتمثل في دورها في الكشف عن المعنى القرآني وتوضيح السياق الذي نزلت فيه الآيات، فإن هذه الأهمية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت الروايات التي تنقل تلك الأسباب روايات موثوقة تستند إلى أسس علمية صحيحة. ولهذا السبب اهتم العلماء منذ القرون الأولى للإسلام بجمع روايات أسباب النزول وتمحيصها ونقدها، ووضعوا قواعد دقيقة للتمييز بين الروايات المقبولة والروايات المردودة، إدراكاً منهم لما قد يترتب على قبول الروايات الضعيفة من آثار سلبية في فهم القرآن الكريم وتفسيره³.

وقد اتفق علماء التفسير وعلوم القرآن على أن المصدر الأول لمعرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو عن الصحابة الذين عاصروا نزول الوحي وشهدوا الوقائع التي نزلت الآيات بشأنها. ويرجع ذلك إلى أن أسباب

¹ الطبرسي، الفضل بن الحسن. (1997). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج 1، ص. 39.

² الطوسي، محمد بن الحسن. (د.ت). التبيان في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج 1، ص. 12.

³ الطوسي، محمد بن الحسن. (د.ت). التبيان في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج 1، ص. 24.

النزول من الأمور التاريخية التي لا يمكن إدراكها بالعقل أو الاجتهاد المجرد، وإنما تعتمد على الرواية والنقل. ولذلك أكد العلماء أن الحديث عن سبب نزول آية معينة لا بد أن يستند إلى دليل نقلي معتبر يثبت وجود العلاقة بين الحادثة والآية المنزل بشأنها. وكان الصحابة يمثلون المصدر الأول والأهم في نقل أسباب النزول، لأنهم عاشوا مع القرآن الكريم لحظة بلحظة، وشهدوا الظروف التي نزلت فيها الآيات، وعرفوا الأشخاص والأحداث التي ارتبطت بها. وقد اشتهر عدد من الصحابة بعنايتهم الخاصة بهذا الجانب من علوم القرآن، ومن أبرزهم عبد الله بن عباس الذي كان يرجع إليه كثير من التابعين في معرفة أسباب النزول، حتى أصبح من أكثر الصحابة رواية في هذا المجال. كما عُرف عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وغيرهم بسعة علمهم بالقرآن وملايساته التاريخية. ولم يكن نقلهم لأسباب النزول مجرد رواية للأحداث، بل كان يمثل في كثير من الأحيان تفسيراً عملياً للآيات وتوضيحاً للمقاصد التي استهدفوها¹.

ومع انتقال العلم إلى التابعين، أصبحت روايات أسباب النزول تنتقل عبر السند المتصل من الصحابة إلى تلامذتهم، فظهرت مدارس تفسيرية متعددة في مكة والمدينة والكوفة والبصرة، وكل منها نقل جانباً من التراث المتعلق بأسباب النزول. وقد ساهم هذا الانتشار في حفظ قدر كبير من الروايات، لكنه أدى في الوقت نفسه إلى ظهور اختلافات في بعض الأخبار وتعدد الروايات الواردة بشأن الآية الواحدة، الأمر الذي استدعى من العلماء بذل جهود كبيرة في الجمع والمقارنة والنقد والترجيح.

أما في المدرسة الإمامية، فقد شكلت روايات أهل البيت عليهم السلام مصدراً رئيساً من مصادر أسباب النزول، إذ نقلت عن الأئمة روايات عديدة تتناول المناسبات التي نزلت فيها الآيات القرآنية، وتوضح الأبعاد التفسيرية والعقدية المرتبطة بها. وقد حفظت هذه الروايات في مصادر تفسيرية وروائية مهمة، مثل تفسير القمي وتفسير العياشي والبرهان في تفسير القرآن ونور الثقلين وغيرها من الكتب التي نقلت جانباً مهماً من التراث التفسيري الإمامي. وتمثل هذه الروايات أهمية خاصة لدى علماء الإمامية لكونها صادرة عن أئمة أهل البيت الذين يرون أنهم ورثة علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعلم الناس بكتاب الله تعالى².

ومن خلال تتبع المصادر التفسيرية المختلفة يتبين أن أسباب النزول لم ترد في كتاب مستقل واحد في المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي، بل كانت مبعثرة في كتب الحديث والتفسير والسير والمغازي. ثم تطورت حركة التأليف فظهرت مؤلفات مستقلة خصصت لجمع أسباب النزول، وهو ما يعكس المكانة العلمية التي اكتسبها هذا العلم مع مرور الزمن. وقد ساعدت هذه المؤلفات على حفظ المادة العلمية المتعلقة بأسباب النزول، كما يسرت للباحثين الوصول إلى الروايات ودراستها بصورة أكثر منهجية.

ومع كثرة الروايات الواردة في أسباب النزول، برزت الحاجة إلى وضع ضوابط علمية تحكم عملية قبول هذه الروايات أو ردها. وقد انطلق العلماء في ذلك من القاعدة العامة التي تحكم الرواية في العلوم الإسلامية، وهي ضرورة التثبت من صحة الخبر قبل الاعتماد عليه. فالرواية المتعلقة بسبب النزول لا تختلف في جوهرها عن غيرها من الأخبار التي تتطلب فحص السند والمتن والتأكد من سلامتها من العلل والأخطاء³.

ويُعد اتصال السند من أهم الضوابط التي اعتمدها العلماء في قبول روايات أسباب النزول، إذ يجب أن تكون الرواية منقولة بسند متصل إلى من شهد الواقعة أو تلقاها ممن شهدها مباشرة. أما الروايات المرسلة أو المنقطعة فإنها تكون أضعف من الروايات

¹ القمي، علي بن إبراهيم. (1412هـ). تفسير القمي. قم: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ج1، ص. 63.

² العياشي، محمد بن مسعود. (1421هـ). تفسير العياشي. قم: مؤسسة البعثة، ج1، ص. 47.

³ المدرسي، محمد تقي. (2007). من هدى القرآن. بيروت: دار محبي الحسين عليه السلام، ج3، ص. 93-141، 245-289.

المتصلة، ولا يعتمد عليها إلا إذا وجدت قرائن تؤيدها أو جاءت من طرق متعددة تقوي بعضها بعضاً. وقد أولى علماء الحديث عناية كبيرة بهذا الجانب، لأن الانقطاع في السند قد يؤدي إلى دخول روايات غير صحيحة في تفسير القرآن الكريم. كما اشترط العلماء عدالة الرواة وضبطهم، لأن الرواية المتعلقة بأسباب النزول تؤثر بصورة مباشرة في فهم النص القرآني. فإذا كان الراوي غير موثوق أو معروفاً بالوهم أو الكذب، فإن روايته لا تصلح للاستناد إليها في تفسير القرآن. وقد طبق علماء الجرح والتعديل هذه القواعد على روايات أسباب النزول كما طبقوها على غيرها من الروايات الحديثية، فميزوا بين الثقات والضعفاء، وبين الروايات المقبولة والروايات المردودة¹.

ومن الضوابط المهمة كذلك سلامة متن الرواية من التعارض مع القرآن الكريم أو السنة الثابتة أو الحقائق التاريخية المعلومة. فالرواية التي تتضمن معاني تخالف صريح القرآن أو تتناقض مع المبادئ العامة للشرعة لا يمكن قبولها، مهما بدا سندها قوياً. ولهذا السبب مارس العلماء نوعاً من النقد المتني إلى جانب النقد السندي، إدراكاً منهم أن صحة السند وحدها لا تكفي دائماً للحكم على الرواية بالقبول².

كما اهتم العلماء بدراسة صيغة الرواية نفسها، فميزوا بين الروايات الصريحة في بيان سبب النزول والروايات المحتملة. فالرواية التي تنص بوضوح على أن الآية نزلت بسبب حادثة معينة تكون أقوى من الرواية التي تذكر الحادثة دون التصريح بوجود علاقة مباشرة بينها وبين نزول الآية. وقد أدى هذا التمييز إلى قدر أكبر من الدقة في التعامل مع الروايات وتجنب التوسع غير المنضبط في نسبة الأسباب إلى الآيات.

ومن المسائل المهمة التي ناقشها العلماء في هذا السياق تعدد الروايات الواردة في سبب نزول الآية الواحدة. فكثيراً ما نجد أكثر من رواية تنسب نزول الآية إلى حوادث مختلفة، وهو ما يثير تساؤلاً حول كيفية التعامل مع هذا التعدد. وقد سلك العلماء في ذلك مسالك متعددة، فبعضهم حاول الجمع بين الروايات إذا أمكن ذلك، وبعضهم رجع إحدى الروايات على الأخرى بناءً على قوة السند أو وضوح الدلالة، بينما ذهب آخرون إلى احتمال تعدد الأسباب مع وحدة الآية، أي أن الآية قد تكون نزلت عقب أكثر من واقعة متشابهة³.

وقد ساهمت هذه الضوابط المنهجية في حماية التفسير القرآني من كثير من الأخطاء التي قد تنتج عن الاعتماد على روايات غير ثابتة أو أخبار موضوعة. كما أنها أكدت أن أسباب النزول ليست مجالاً للرواية الحرة أو التخمين التاريخي، وإنما هي علم قائم على أسس دقيقة من التحقيق والنقد والتمحيص. ولهذا ظل العلماء يؤكدون أن قيمة أسباب النزول لا تتحقق إلا عندما تبنى على روايات صحيحة يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها في فهم كتاب الله تعالى⁴.

المطلب الثالث: أثر أسباب النزول في تفسير النص القرآني واستنباط الأحكام الشرعية

تتحلى القيمة الحقيقية لعلم أسباب النزول في دوره المباشر في تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه واستنباط الأحكام الشرعية منه. فليست الغاية من معرفة أسباب النزول مجرد الإحاطة بجانب من التاريخ الإسلامي أو الوقوف على الأحداث التي صاحبت نزول الوحي، وإنما تتمثل الغاية الأساسية في توظيف هذه المعرفة لفهم النص القرآني فهماً صحيحاً ينسجم مع مقاصده وأهدافه. ولهذا السبب اعتبر العلماء أسباب النزول من أهم الأدوات التفسيرية التي لا غنى عنها للمفسر والباحث في علوم القرآن.

¹ مغنية، محمد جواد. (2004). التفسير الكاشف. بيروت: دار العلم للملايين، ج 1، ص 44-89.

² معرفة، محمد هادي. (2005). التمهيد في علوم القرآن. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ج 1، ص 269.

³ الخوئي، أبو القاسم الموسوي. (1998). البيان في تفسير القرآن. قم: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ص 29-67، 171-224.

⁴ الخوئي، أبو القاسم. (1998). البيان في تفسير القرآن. قم: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ص 192.

وقد أدرك المفسرون منذ وقت مبكر أن كثيراً من الآيات لا يمكن فهمها على وجهها الصحيح إذا جردت من السياق الذي نزلت فيه. فاللغة العربية بطبيعتها تسمح بتعدد الاحتمالات الدلالية، وقد تأتي بعض الألفاظ أو التراكيب القرآنية محتملة لأكثر من معنى. وفي مثل هذه الحالات تكون معرفة سبب النزول وسيلة فعالة لتحديد المعنى المقصود وترجيحه على غيره من المعاني المحتملة. ولذلك كان العلماء يقولون إن معرفة السبب تورث العلم بالمسبب، أي أن معرفة الحادثة التي نزلت الآية بشأنها تساعد على فهم المراد الحقيقي من النص¹.

ويظهر أثر أسباب النزول بوضوح في إزالة الإشكالات التفسيرية التي قد تثار حول بعض الآيات. فهناك آيات قد يفهم ظاهرها على غير المراد منها إذا لم تُعرف الظروف التي أحاطت بنزولها. وعندما يطالع المفسر الروايات الصحيحة المتعلقة بسبب النزول تتضح أمامه الصورة الكاملة للآية، ويصبح قادراً على إدراك المقصود منها بعيداً عن الفهم المجتزأ أو المعزول عن سياقه. ومن هنا اعتبر العلماء أن أسباب النزول من الوسائل المهمة في دفع الإشكال ورفع الالتباس عن النصوص القرآنية. كما يؤدي علم أسباب النزول دوراً مهماً في الكشف عن الحكمة التشريعية الكامنة وراء الأحكام القرآنية. فالقرآن الكريم لم يأت بمجموعة من الأوامر والنواهي المجردة عن الواقع، بل نزل لمعالجة أوضاع حقيقية ومشكلات واقعية عاشها المجتمع الإسلامي. وعندما يعرف الباحث الملبسات التي اقتضت نزول الحكم الشرعي، فإنه يصبح أكثر قدرة على فهم الغاية التي استهدفها التشريع، وبالتالي أكثر قدرة على استنباط الأحكام وفهم مقاصدها. وهذا الجانب له أهمية خاصة في الدراسات الأصولية والفقهية التي تهتم بتحليل النصوص الشرعية واستخراج الأحكام منها².

وقد استفاد الفقهاء من أسباب النزول في معرفة نطاق تطبيق الأحكام الشرعية وتمييز الأحكام العامة من الأحكام الخاصة. فبعض الآيات نزلت بسبب واقعة معينة، إلا أن ألفاظها جاءت بصيغة عامة تشمل حالات متعددة، بينما نزلت آيات أخرى لمعالجة ظروف محددة لا يجوز تعميمها دون دليل. ومن هنا نشأت المناقشات الأصولية المتعلقة بقاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، وهي من القواعد المهمة في فهم العلاقة بين النص القرآني وسبب نزوله³.

ولا يقتصر أثر أسباب النزول على الجانب الفقهي وحده، بل يمتد إلى الجوانب العقدية والتربوية والاجتماعية أيضاً. فمعرفة أسباب نزول الآيات المتعلقة بالعقيدة تساعد على فهم طبيعة التحديات الفكرية التي واجهها المسلمون في بداية الدعوة، كما أن معرفة أسباب نزول الآيات الأخلاقية والتربوية تكشف عن المنهج القرآني في بناء الإنسان وإصلاح المجتمع. ومن خلال دراسة هذه الأسباب يمكن إدراك كيفية تعامل القرآن مع المشكلات الواقعية بأسلوب يجمع بين الحكمة والتدرج والواقعية.

وفي التفاسير الإمامية يظهر الاهتمام الكبير بأثر أسباب النزول في توجيه المعنى القرآني. فقد اعتمد الطبرسي في "مجمع البيان" على أسباب النزول في بيان كثير من الآيات وتحديد دلالاتها، كما ناقش الروايات المختلفة الواردة بشأنها ورجح ما يراه أقرب إلى الصواب. أما الطباطبائي في "الميزان" فقد أكد أن أسباب النزول تمثل قرائن تفسيرية مهمة، لكنها لا تقيد عموم دلالة القرآن ولا تحصر معانيه في الوقائع التاريخية التي نزل فيها، لأن القرآن كتاب هداية خالد يتجاوز حدود الزمان والمكان⁴.

ومن خلال ذلك يتضح أن أسباب النزول تؤدي وظيفة مزدوجة؛ فهي من جهة تساعد على فهم النص في سياقه التاريخي الأصلي، ومن جهة أخرى تفتح الطريق أمام استيعاب المقاصد العامة التي يمكن تطبيقها على الوقائع المتجددة. وهذا التوازن بين خصوصية السبب وعمومية الدلالة يمثل أحد أهم الجوانب المنهجية في التفسير القرآني.

¹ الحويزي، عبد علي بن جمعة. (2001). نور الثقلين في تفسير القرآن الكريم. قم: مؤسسة إسماعيليان، ج1، ص. 59.

² الحكيم، محمد باقر. (2006). علوم القرآن. قم: مؤسسة شهيد الخراب، ص ص. 51-103.

³ الطباطبائي، محمد حسين. (1997). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج3، ص. 91.

⁴ الطبرسي، الفضل بن الحسن. (1997). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج1، ص. 72.

وخلاصة القول إن أسباب النزول تمثل عنصراً أساسياً في فهم القرآن الكريم واستنباط أحكامه ومقاصده، لأنها تربط النص بالواقع الذي نزل فيه، وتساعد على كشف معانيه الحقيقية، وتزيل الإشكالات التي قد تعترض فهمه، وتوضح الحكمة الكامنة وراء تشريعاته. ولهذا ظل هذا العلم محتفظاً بمكانته المتميزة بين علوم القرآن، وظل المفسرون والفقهاء يعتمدون عليه بوصفه أداة ضرورية لتحقيق الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى¹.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لأثر أسباب النزول في فهم النص القرآني

لا تقتصر أهمية علم أسباب النزول على الجانب النظري المتعلق بمعرفة الوقائع التاريخية التي ارتبطت بنزول الآيات القرآنية، وإنما تتجلى قيمته الحقيقية عند الانتقال إلى الجانب التطبيقي الذي يكشف بصورة عملية عن أثر هذا العلم في فهم النص القرآني وتفسيره واستنباط مقاصده وأحكامه. فالنص القرآني وإن كان نصاً إلهياً خالداً يتجاوز حدود الزمان والمكان، إلا أنه نزل في واقع معين وخاطب مجتمعاً محدداً وعالج أحداثاً وقضايا ووقائع شهدتها الدعوة الإسلامية في مراحلها المختلفة. ومن ثم فإن الوقوف على الملابسات التي أحاطت بالنزول يمثل مدخلاً مهماً لفهم كثير من الآيات وإدراك أبعادها الدلالية والتشريعية والتربوية.

وقد أدرك المفسرون منذ العصور الأولى أن الاختصار على ظاهر الألفاظ القرآنية دون معرفة سياق النزول قد يؤدي أحياناً إلى قصور في الفهم أو إلى تفسير لا ينسجم مع المقصود الحقيقي للآية. ولهذا السبب اعتبروا أسباب النزول من أهم القرائن التفسيرية التي تساعد على تحديد المراد من النص وتوجيه دلالاته. ولم يكن اهتمامهم بأسباب النزول نابغاً من مجرد الرغبة في تسجيل الأحداث التاريخية، وإنما كان مرتبطاً بالهدف الأكبر المتمثل في الوصول إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم².

ومن خلال مراجعة التفاسير المختلفة، سواء في المدرسة السنية أو المدرسة الإمامية، يتضح أن أسباب النزول كانت حاضرة بصورة مستمرة في عملية التفسير. فقد استند المفسرون إلى الروايات الواردة في أسباب النزول لفهم الآيات التي قد تبدو مجملة أو عامة أو محتملة لأكثر من معنى، كما اعتمدوا عليها في إزالة الإشكالات التي قد تثار حول بعض النصوص القرآنية. وقد انعكس ذلك بصورة واضحة في تفسير القمي وتفسير العياشي والتبيان للطوسي وجمع البيان للطبرسي والميزان للطباطبائي، حيث تشكل أسباب النزول عنصراً مهماً من عناصر التحليل التفسيري.

وتنبع أهمية الدراسة التطبيقية لأسباب النزول من كونها تتيح اختبار القيمة الحقيقية لهذا العلم في الواقع العملي، إذ لا يكفي الحديث النظري عن أهمية أسباب النزول ما لم يتم بيان الكيفية التي تؤثر بها هذه الأسباب في فهم النصوص القرآنية وتحديد دلالاتها. ومن هنا فإن دراسة النماذج التطبيقية تمثل وسيلة فعالة للكشف عن العلاقة الوثيقة بين سبب النزول والمعنى القرآني، كما تساعد على إبراز الدور الذي تؤديه هذه الأسباب في توجيه الفهم التفسيري وتحديد المقاصد التشريعية والعقدية والأخلاقية للآيات.

وفي هذا الإطار يتناول هذا المبحث عدداً من التطبيقات العملية التي تظهر أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني، مع التركيز على بيان دورها في تحديد المعنى المقصود من الآيات وتوجيه دلالاتها، وذلك من خلال دراسة نماذج قرآنية وردت بشأنها روايات نزول صحيحة أو مشهورة في كتب التفسير وعلوم القرآن³.

¹ الطوسي، محمد بن الحسن. (د.ت). التبيان في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج1، ص. 31.

² فضل الله، محمد حسين. (2010). الحوار في القرآن. بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر، ص. 77-128.

³ الصدر، محمد باقر. (1987). السنن التاريخية في القرآن الكريم. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ص. 33-74.

المطلب الأول: أثر أسباب النزول في بيان المعنى وتحديد المقصود من الآيات

يُعد بيان المعنى المقصود من الآيات القرآنية من أبرز المجالات التي يظهر فيها أثر أسباب النزول بصورة واضحة ومباشرة، إذ إن كثيراً من الآيات قد تحمل أكثر من احتمال دلالي عند قراءتها بمعزل عن الظروف التي نزلت فيها، بينما تؤدي معرفة السبب إلى تضيق دائرة الاحتمالات وتحديد المعنى المراد على نحو أدق. ولهذا أكد علماء التفسير أن معرفة سبب النزول من أعظم الوسائل المعينة على فهم القرآن الكريم، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، كما قال عدد من الأصوليين والمفسرين. ويتجلى هذا الأمر بصورة واضحة في الآيات التي نزلت استجابة لحوادث أو أسئلة أو مواقف معينة. فعندما يعرف المفسر الواقعة التي نزلت الآية بشأنها، يصبح أكثر قدرة على إدراك المقصود من الألفاظ والعبارات الواردة فيها. فاللغة بطبيعتها تسمح أحياناً بتعدد الدلالات، وقد يكون اللفظ الواحد محتملاً لأكثر من معنى، غير أن سبب النزول يعمل بوصفه قرينة تفسيرية تساعد على ترجيح أحد هذه المعاني على غيره¹.

ومن أبرز الأمثلة التي تناولها المفسرون في هذا السياق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. فلو نظر القارئ إلى هذه الآية مجردة عن سبب نزولها، فقد يتوهم أن السعي بين الصفا والمروة أمر مباح فقط وليس من الشعائر التعبدية المهمة المرتبطة بالحج والعمرة. إلا أن الروايات المتعلقة بسبب النزول تبين أن بعض المسلمين كانوا يتخرجون من السعي بين الصفا والمروة بسبب ما كان عليه المشركون في الجاهلية من ممارسات عند هذين الموضعين، فجاءت الآية لإزالة هذا الحرج وبيان مشروعية السعي. ومن خلال معرفة هذا السبب يتضح أن المقصود ليس مجرد الإباحة، وإنما رفع توهم المنع أو الكراهة الذي كان قائماً في أذهان بعض المسلمين.

كما يظهر أثر أسباب النزول في فهم الآيات المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، إذ قد يبدو ظاهر الآية غريباً للقارئ الذي لا يعرف الظروف التي نزلت فيها. غير أن الروايات التفسيرية توضح أن بعض العرب كانوا إذا أحرموا للحج لا يدخلون البيوت من أبوابها، بل يدخلونها من ظهورها اعتقاداً منهم أن ذلك من البر والتقوى، فنزلت الآية لتصحيح هذا الفهم الخاطئ. ومن ثم فإن معرفة سبب النزول تجعل معنى الآية واضحاً ومفهوماً، وتكشف أن المقصود منها ليس مجرد الحديث عن طريقة دخول البيوت، بل معالجة مفهوم ديني مغلوط كان سائداً في المجتمع آنذاك².

وقد أولى مفسرو الإمامية اهتماماً خاصاً بمثل هذه التطبيقات، لأنهم رأوا أن كثيراً من الآيات لا يمكن فهمها على وجهها الصحيح دون الرجوع إلى أسباب النزول. ففي تفسير القمي والعياشي نجد عدداً كبيراً من الروايات التي تربط بين الآيات والأحداث التي نزلت بشأنها، وذلك بهدف توضيح المقصود من النصوص القرآنية. كما أن الطبرسي في "مجمع البيان" كثيراً ما يبدأ تفسير الآية بذكر سبب نزولها، ثم ينتقل إلى تحليل الألفاظ والمعاني، في إشارة واضحة إلى الأهمية التفسيرية لهذا العلم.

ومن النماذج المهمة كذلك الآيات التي نزلت ردّاً على أسئلة وجهت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقد تكرر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في موضوعات متعددة، مثل الأهل والأفانال والخمر والميسر والروح وغيرها. وتمثل معرفة الأسئلة التي وجهت إلى النبي مفتاحاً لفهم طبيعة الإجابة القرآنية ومقاصدها. فالجواب لا يمكن فهمه بصورة كاملة إلا إذا عُرفت طبيعة

¹ الطبرسي، الفضل بن الحسن. (1997). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج2، ص. 115.

² الطوسي، محمد بن الحسن. (د.ت). التبيان في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج2، ص. 64.

السؤال الذي ورد بشأنه. ومن هنا فإن أسباب النزول تسهم في استكمال الصورة التفسيرية للنص القرآني وتحديد المعنى المقصود منه¹.

كما تتجلى أهمية أسباب النزول في الآيات التي وردت بصيغة عامة بينما ارتبط نزولها بحوادث خاصة. ففي هذه الحالات تساعد معرفة السبب على فهم السياق الأصلي للآية دون أن يؤدي ذلك إلى حصر دلالتها في تلك الحادثة وحدها. وقد ناقش المفسرون هذه المسألة بصورة موسعة، وأكدوا أن معرفة السبب تساعد على فهم النص لكنها لا تمنع من امتداد حكمه إلى الحالات المشابهة إذا دل اللفظ على ذلك.

ومن خلال استقراء التطبيقات التفسيرية المختلفة يتبين أن أسباب النزول تؤدي دورًا بالغ الأهمية في بيان المعنى القرآني وتحديد المقصود من الآيات، لأنها توفر للمفسر خلفية معرفية تساعد على فهم النص في إطاره الصحيح، وتجنبه الوقوع في التأويلات البعيدة أو الفهم غير المنسجم مع السياق الذي نزلت فيه الآيات. ولهذا السبب ظل هذا العلم أحد أهم الأدوات التي يعتمد عليها المفسرون في مختلف العصور، وظلت روايات أسباب النزول تشكل جزءًا أساسيًا من المادة التفسيرية في أغلب كتب التفسير المعتمدة².

المطلب الثاني: أثر أسباب النزول في رفع الإشكالات التفسيرية وتوجيه الدلالة القرآنية

يُعد رفع الإشكالات التفسيرية من أبرز الآثار العلمية المترتبة على معرفة أسباب النزول، بل إن كثيرًا من العلماء عدّوا هذا الأثر من أهم الغايات التي من أجلها نشأ هذا العلم وتطور داخل الدراسات القرآنية. فالقرآن الكريم نزل بلغة عربية عالية المستوى، وجاء بأساليب بيانية متعددة تتنوع بين العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتفصيل، كما اشتمل على إشارات إلى أحداث وأشخاص ووقائع كانت معلومة لدى المخاطبين الأوائل. ولذلك فإن ابتعاد القارئ عن البيئة التي نزل فيها القرآن قد يؤدي أحيانًا إلى ظهور بعض الإشكالات في فهم النصوص أو تحديد المقصود منها. وهنا تبرز أهمية أسباب النزول باعتبارها أداة علمية تساعد على إعادة بناء السياق الذي نزلت فيه الآية، ومن ثم إزالة الغموض الذي قد يحيط بها.

وقد لاحظ المفسرون منذ وقت مبكر أن بعض الآيات إذا قُرئت بمعزل عن أسباب نزولها قد تُفهم على نحو يختلف عن المراد الإلهي منها. ولهذا كانوا يحرصون على استحضار الروايات المتعلقة بالنزول قبل الشروع في تحليل الألفاظ والمعاني. وكانوا يرون أن السبب يمثل قرينة تفسيرية تساعد على توجيه الدلالة القرآنية نحو المعنى الأقرب إلى مقصود النص. وهذا ما يفسر كثرة الروايات المتعلقة بأسباب النزول في كتب التفسير القديمة، إذ لم يكن الهدف منها مجرد تسجيل الوقائع التاريخية، وإنما استخدامها لفهم القرآن الكريم فهمًا أدق وأكثر انسجامًا مع سياقه الأصلي³.

ومن الآيات التي شكلت مثالًا واضحًا لهذا الدور قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. فقد يفهم من ظاهر الآية أن استقبال القبلة ليس شرطًا في الصلاة، وأن المصلي يمكنه التوجه إلى أي جهة يشاء. غير أن الرجوع إلى أسباب النزول والروايات التفسيرية يوضح أن الآية نزلت في ظروف خاصة تتعلق بحالات تعذر معرفة القبلة أو الصلاة في ظروف استثنائية معينة. ومن ثم فإن معرفة السبب تزيل الإشكال وتمنع من استنباط حكم عام يخالف النصوص الأخرى التي أوجبت استقبال القبلة في الصلاة⁴.

¹ الطباطبائي، محمد حسين. (1997). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج1، ص. 312.

² معرفة، محمد هادي. (2005). التمهيد في علوم القرآن. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ج1، ص. 301.

³ معرفة، محمد هادي. (2005). التمهيد في علوم القرآن. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ج1، ص. 315.

⁴ الحسيني الشيرازي، محمد. (2002). الفقه: القرآن والحياة. بيروت: مؤسسة المحتي للتحقيق والنشر، ج2، ص. 95-154.

كما يظهر أثر أسباب النزول في توجيه دلالة الآيات المتعلقة بالعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾. فقد أدى اقتطاع هذه الآية من سياقها التاريخي والموضوعي إلى ظهور تفسيرات متشددة ذهبت إلى منع كل أشكال العلاقة مع أتباع الديانات الأخرى. إلا أن دراسة أسباب النزول والظروف السياسية والعسكرية التي نزلت فيها الآية تبين أن المقصود كان النهي عن التحالفات السياسية والعسكرية التي تهدد الجماعة الإسلامية أو تؤدي إلى الإضرار بمصالحها، وليس مجرد المعاملة الإنسانية أو العلاقات الاجتماعية الطبيعية. وبهذا المعنى تؤدي أسباب النزول دورًا مهمًا في توجيه الدلالة القرآنية ومنع إساءة فهم النص¹.

وتبرز أهمية أسباب النزول كذلك في الآيات التي تبدو متعارضة ظاهريًا مع آيات أخرى. فالمفسرون كثيرًا ما استعانوا بمعرفة أسباب النزول من أجل الجمع بين النصوص وإزالة التعارض الظاهري بينها. وقد ساعدتهم ذلك على فهم الحكمة التشريعية وتطور الأحكام القرآنية في مراحل الدعوة المختلفة. فالقرآن الكريم نزل خلال أكثر من عشرين عامًا، وخلال هذه الفترة تطورت أوضاع المجتمع الإسلامي وتغيرت احتياجاته، وهو ما انعكس على بعض الأحكام والتوجيهات القرآنية. ومن هنا فإن معرفة الترتيب الزمني للنزول والظروف المحيطة به تصبح أمرًا ضروريًا لفهم العلاقة بين النصوص المختلفة.

وفي المدرسة الإمامية نجد اهتمامًا واضحًا بهذا الجانب، إذ يؤكد الطوسي في "التيبان" والطبرسي في "مجمع البيان" أن كثيرًا من الإشكالات التفسيرية تنزل بمجرد معرفة سبب النزول. كما يبين الطباطبائي في "الميزان" أن الروايات الصحيحة المتعلقة بالنزول تساعد على تحديد المراد من الآية عندما يكون اللفظ محتملاً لأكثر من معنى، لكنها لا ينبغي أن تؤدي إلى حصر دلالة القرآن في الواقعة التاريخية التي نزل فيها النص. فالقرآن، في نظره، يحتفظ بعموميته وخلوده، بينما تمثل أسباب النزول وسيلة لفهم السياق الأول للنص وليس لتقييد معناه النهائي².

ومن خلال ذلك يتبين أن أسباب النزول لا تؤدي وظيفة تاريخية فحسب، بل تؤدي وظيفة تفسيرية عميقة تتمثل في رفع الإشكالات وتوجيه الدلالة وتحديد المقاصد القرآنية. فهي تساعد المفسر على فهم النص ضمن سياقه الواقعي، وتمنعه من الوقوع في التأويلات البعيدة أو الفهم المجتزأ التي تتجاهل الظروف التي أحاطت بالنزول. ولهذا ظل علم أسباب النزول أحد العلوم الأساسية التي يعتمد عليها الباحثون في تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه³.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية من القرآن الكريم تبين أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني عند المفسرين

تمثل النماذج التطبيقية المجال الأوضح لإبراز الأثر العملي لأسباب النزول في تفسير القرآن الكريم، لأنها تنقل الباحث من المستوى النظري إلى المستوى العملي الذي تظهر فيه قيمة هذا العلم بصورة ملموسة. فمن خلال دراسة الآيات التي ارتبط نزولها بحوادث أو وقائع محددة يمكن ملاحظة الكيفية التي أسهمت بها معرفة السبب في تحديد المعنى وتوجيه التفسير ورفع الإشكال. ومن أبرز الأمثلة التطبيقية آيات الإفك الواردة في سورة النور، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾. فعند قراءة هذه الآيات مجردة عن سبب نزولها تبدو وكأنها تتحدث عن واقعة معينة دون تحديد تفاصيلها. غير أن الروايات التفسيرية المتعلقة بالنزول توضح الملابسات الكاملة للحادثة، وتكشف طبيعة الأزمة الاجتماعية التي عالجها القرآن الكريم، كما تبين

¹ الطوسي، محمد بن الحسن. (د.ت). *التيبان في تفسير القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج2، ص. 117.

² الطبرسي، الفضل بن الحسن. (1997). *مجمع البيان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج3، ص. 84.

³ الطباطبائي، محمد حسين. (1997). *الميزان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج5، ص. 203.

الحكمة من الأسلوب القرآني في معالجة الشائعات وحماية المجتمع من آثارها. وقد استفاد المفسرون من هذه الروايات في تفسير الألفاظ والعبارات الواردة في الآيات وربطها بالواقع الذي نزلت فيه¹.

ومن النماذج المهمة كذلك آية التيمم الواردة في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾. فالروايات الواردة في أسباب النزول تبين أن الآية نزلت في سياق موقف عملي واجهه المسلمون أثناء السفر عندما فقدوا الماء. وقد ساعدت معرفة هذه الواقعة في فهم المقصد التشريعي للآية وإدراك أنها جاءت لتحقيق التيسير ورفع الحرج عن المكلفين. ومن ثم استند الفقهاء إلى هذا السبب في استنباط عدد من القواعد المتعلقة بالتيسير في الشريعة الإسلامية².

كما تعد آية الظهار مثلاً بارزاً على أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني. فقد نزلت الآيات الأولى من سورة المجادلة لمعالجة مشكلة اجتماعية محددة تمثلت في شكوى امرأة من عادة جاهلية كانت تؤدي إلى الإضرار بالمرأة والأسرة. ومن خلال معرفة هذه الواقعة تتضح الحكمة من التشريع الذي ورد في الآيات، كما يتبين البعد الإنساني والاجتماعي الذي عالجه القرآن الكريم. وقد أولى المفسرون هذه الروايات اهتماماً كبيراً لأنها تساعد على فهم دلالة النص واستنباط الأحكام المتعلقة به³.

وفي التفاسير الإمامية تظهر نماذج أخرى ارتبطت بآيات يذهب المفسرون إلى نزولها في مناسبات خاصة تتعلق بأهل البيت عليهم السلام. وقد لعبت أسباب النزول دوراً مهماً في توجيه تفسير هذه الآيات وتحديد دلالاتها العقدية والتاريخية. ويظهر ذلك بوضوح في تفسير القمي والعياشي والبرهان ونور الثقلين، حيث يتم الاستناد إلى الروايات الواردة عن الأئمة في بيان الملابسات التي نزلت فيها بعض الآيات وتوضيح المعاني المستفادة منها.

ومن خلال استقراء هذه النماذج يتضح أن أسباب النزول لم تكن مجرد عنصر ثانوي في عملية التفسير، بل كانت تمثل أداة أساسية لفهم النصوص القرآنية وتحديد مقاصدها. فقد ساعدت المفسرين على تفسير الآيات في ضوء واقعها التاريخي، كما مكنتهم من الربط بين النص والحدث، وبين الحكم والسبب، وبين اللفظ والمعنى. وبهذا المعنى يمكن القول إن أسباب النزول تمثل أحد المفاتيح الرئيسة التي اعتمد عليها المفسرون لفهم القرآن الكريم عبر مختلف العصور⁴.

كما تكشف هذه النماذج عن أن العلاقة بين النص القرآني وسبب نزوله ليست علاقة جامدة أو محصورة في الماضي، بل هي علاقة تساعد على فهم المقاصد العامة التي يمكن الاستفادة منها في مختلف الأزمنة. فالقرآن وإن نزل لمعالجة وقائع محددة، إلا أن دلالاته تتجاوز تلك الوقائع لتشمل كل ما يماثلها من الحالات والأحداث. ومن هنا فإن دراسة أسباب النزول لا تؤدي إلى حصر القرآن في إطاره التاريخي، وإنما تساعد على فهم منطلقاته الأولى واستيعاب مقاصده العامة بصورة أكثر دقة وعمقاً⁵.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد؛ فقد تناول هذا البحث موضوع "أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني: دراسة تطبيقية"، وهو من الموضوعات التي تجمع بين علوم القرآن والتفسير وأصول الفقه، لما لها من صلة مباشرة بفهم كتاب الله تعالى واستيعاب مقاصده ودلالاته. وقد سعى البحث إلى بيان مفهوم أسباب النزول، وتتبع نشأته ومصادره، وتوضيح الضوابط

¹ القمي، علي بن إبراهيم. (1412هـ). تفسير القمي. قم: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ج2، ص. 141.

² العياشي، محمد بن مسعود. (1421هـ). تفسير العياشي. قم: مؤسسة البعثة، ج2، ص. 98.

³ الطبرسي، الفضل بن الحسن. (1997). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج6، ص. 124.

⁴ الطباطبائي، محمد حسين. (1997). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج15، ص. 76.

⁵ البحراني، هاشم بن سليمان. (2006). البرهان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج2، ص. 183.

العلمية التي وضعها العلماء لقبول رواياته، ثم الانتقال إلى الجانب التطبيقي للكشف عن أثر هذا العلم في تفسير النص القرآني وتوجيه دلالاته واستنباط الأحكام الشرعية منه.

وقد أظهرت الدراسة أن أسباب النزول تمثل إحدى أهم القرائن التفسيرية التي تساعد على فهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا، إذ تسهم في الكشف عن الملابسات التاريخية والواقعية التي أحاطت بنزول الآيات، وتعين على إدراك المقاصد التي استهدفتها النصوص القرآنية عند نزولها. كما تبين أن هذا العلم لا يقتصر على كونه سجلًا تاريخيًا للأحداث التي صاحبت الوحي، بل يتجاوز ذلك ليؤدي دورًا محوريًا في توجيه المعنى القرآني، وإزالة ما قد يثور حول بعض الآيات من إشكالات أو احتمالات متعددة في الفهم.

كما كشفت الدراسة عن الجهود الكبيرة التي بذلها علماء التفسير وعلوم القرآن في جمع روايات أسباب النزول وتمحيصها ونقدها، سواء في التراث الإسلامي عمومًا أو في التراث التفسيري الإمامي على وجه الخصوص. وقد ظهر ذلك جليًا في مؤلفات عدد من المفسرين، مثل الشيخ الطوسي في كتابه "البيان"، والطبرسي في "مجمع البيان"، والعلامة الطباطبائي في "الميزان"، وغيرهم ممن أولوا عناية خاصة بأسباب النزول بوصفها وسيلة لفهم النص القرآني واستجلاء دلالاته.

ومن خلال الدراسة التطبيقية لعدد من الآيات القرآنية، تبين أن معرفة أسباب النزول تسهم بصورة مباشرة في بيان المعنى المراد من النصوص، وتحديد نطاق الأحكام الشرعية، ورفع التعارض الظاهري بين بعض الآيات، كما تساعد في الكشف عن الحكمة التشريعية الكامنة وراء الأحكام القرآنية. وقد أكدت التطبيقات التفسيرية أن تجاهل أسباب النزول قد يؤدي في بعض الأحيان إلى فهم مبتور للنص أو إلى تفسير بعيد عن المقصود الحقيقي للآية.

النتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

1. أن أسباب النزول تمثل أحد العلوم الأساسية المرتبطة بتفسير القرآن الكريم وفهم دلالاته ومقاصده .
2. أن معرفة أسباب النزول تساعد على الكشف عن المعنى الحقيقي للآيات القرآنية وتحديد المقصود من ألفاظها وتراكيبها .
3. أن أسباب النزول تؤدي دورًا مهمًا في إزالة الإشكالات التفسيرية التي قد تثار حول بعض النصوص القرآنية .
4. أن الروايات المتعلقة بأسباب النزول تعتمد في قبولها على ضوابط علمية دقيقة تتعلق بصحة السند وسلامة المتن وموافقة الرواية لمقتضيات النص القرآني .
5. أن الصحابة والتابعين كانوا المصدر الأول لنقل أسباب النزول، ثم تطورت عملية جمعها وتدوينها في كتب التفسير وعلوم القرآن .
6. أن المدرسة الإمامية أسهمت بصورة كبيرة في حفظ روايات أسباب النزول من خلال عدد من المصادر التفسيرية المهمة، مثل تفسير القمي، وتفسير العياشي، والبيان، والميزان .
7. أن أسباب النزول تساعد على فهم الحكمة التشريعية الكامنة وراء كثير من الأحكام القرآنية .
8. أن معرفة أسباب النزول تسهم في التمييز بين الأحكام العامة والأحكام المرتبطة بظروف خاصة أو وقائع محددة .
9. أن أسباب النزول تساعد في توجيه الدلالة القرآنية وترجيح أحد المعاني المحتملة للنص عند تعدد أوجه التفسير .
10. أن كثيرًا من التطبيقات التفسيرية أثبتت وجود ارتباط وثيق بين معرفة سبب النزول والفهم الصحيح للنص القرآني .

التوصيات

- في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، يمكن تقديم عدد من التوصيات، من أبرزها:
1. ضرورة العناية بعلم أسباب النزول وإعطائه مساحة أكبر في الدراسات القرآنية والأكاديمية المعاصرة .
 2. تشجيع الباحثين على إعداد دراسات تطبيقية متخصصة تربط بين أسباب النزول والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم .
 3. الاهتمام بتحقيق الروايات المتعلقة بأسباب النزول وفق المناهج العلمية الحديثة، مع التمييز بين الصحيح والضعيف منها .
 4. ضرورة الاستفادة من مصادر التفسير الإمامية والسنية معاً عند دراسة أسباب النزول؛ للوصول إلى رؤية علمية أكثر شمولاً وتوازناً .
 5. إدراج مباحث أسباب النزول ضمن المقررات التعليمية المتعلقة بعلوم القرآن والتفسير في الجامعات والمعاهد الشرعية .
 6. العمل على إعداد موسوعات علمية حديثة تجمع روايات أسباب النزول وتصنفها وفق المعايير العلمية المعتمدة .
 7. تشجيع الدراسات المقارنة بين مناهج المفسرين في توظيف أسباب النزول في تفسير النصوص القرآنية .
 8. الاستفادة من أسباب النزول في معالجة الإشكالات التفسيرية المعاصرة ومواجهة القراءات الخاطئة للنص القرآني .
 9. توجيه الباحثين إلى دراسة العلاقة بين أسباب النزول ومقاصد الشريعة الإسلامية بصورة أكثر عمقاً .
 10. العناية بإبراز الجانب التطبيقي لأسباب النزول في الدراسات القرآنية وعدم الاقتصار على الجانب النظري فقط .

قائمة المراجع

- البحراني، هاشم بن سليمان البحراني. (2006). *البرهان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
- الخويزي، عبد علي بن جمعة الخويزي. (2001). *نور الثقلين في تفسير القرآن الكريم*. قم: مؤسسة إسماعيليان .
- الخوئي، أبو القاسم الموسوي الخوئي. (1998). *البيان في تفسير القرآن*. قم: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي .
- الطباطبائي، محمد حسين الطباطبائي. (1997). *الميزان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
- الطبرسي، الفضل بن الحسن الطبرسي. (1997). *مجمع البيان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
- الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي. (د.ت). *البيان في تفسير القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- العياشي، محمد بن مسعود العياشي. (1421هـ). *تفسير العياشي*. قم: مؤسسة البعثة .
- القمي، علي بن إبراهيم القمي. (1412هـ). *تفسير القمي*. قم: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر .
- معرفة، محمد هادي معرفة. (2005). *التمهيد في علوم القرآن*. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين .
- سبحاني، جعفر. (2003). *مفاهيم القرآن*. قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج1، ص ص. 98-55 .
- معري، محمد هادي. (2011). *علوم قرآنية*. قم: مجمع الفكر الإسلامي، ص ص. 118-72، 201-247 .
- الهاشمي، محمد باقر. (2008). *القيم التربوية والاجتماعية في القرآن الكريم*. بيروت: دار المرتضى للطباعة والنشر، ص ص. 177-132، 86-41 .

- المدرسي، محمد تقي. (2007). من هدى القرآن. بيروت: دار محبي الحسين عليه السلام، ج3، ص ص. 93-141، 245-289.
- الخوئي، أبو القاسم الموسوي. (1998). البيان في تفسير القرآن. قم: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ص ص. 29-67، 171-224.
- مغنية، محمد جواد. (2004). التفسير الكاشف. بيروت: دار العلم للملايين، ج1، ص ص. 44-89.
- الحكيم، محمد باقر. (2006). علوم القرآن. قم: مؤسسة شهيد الخراب، ص ص. 51-103.
- فضل الله، محمد حسين. (2010). الحوار في القرآن. بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر، ص ص. 77-128.
- الصدر، محمد باقر. (1987). السنن التاريخية في القرآن الكريم. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ص ص. 33-74.
- الحسيني الشيرازي، محمد. (2002). الفقه: القرآن والحياة. بيروت: مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ج2، ص ص. 95-154.



آيات الصرف في القرآن الكريم (دراسة تفسيرية مقاصدية)

م.د. الاء عبد شنان

المديرية العامة لتربية بغداد / الرصافة الثالثة

Verses of al-Şarf in the Holy Qur'an :

An Exeg etical and Maqasid-Based Study

Dr. Alaa Abdel Shanan

General Directorate of Education of Baghdad / Al-Rusafa Third

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

آيات الصرف في القرآن الكريم (دراسة تفسيرية مقاصدية)

م.د. الاء عبد شنان

المديرية العامة لتربية بغداد / الرصافة الثالثة

المستخلص

يتناول البحث المقاصد القرآنية في آيات الصرف، من خلال دراسة دلالات الفاظ الصرف ومشتقاتها في سياقاتها القرآنية، والكشف عن الغايات التي أرشدت إليها. وقد اعتمدت على استقراء الآيات ذات الصلة، والاستفادة من أقوال المفسرين في بيان دلالاتها التفسيرية والمقاصدية. وأظهر البحث تنوع المقاصد المستنبطة منها، ولا سيما العقدية والتربوية مع تداعيلها وتكاملها في تحقيق الهداية القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الصرف، التفسير، المقاصد.

Verses of al-Şarf in the Holy Qur'an :

An Exegetical and Maqasid-Based Study

Dr. Alaa Abdel Shanan

General Directorate of Education of Baghdad / Al-Rusafa Third

Abstract

The research examines the Qur'anic objectives reflected in the verses concerning şarf (diversion/turning away), through an analysis of the semantic meanings of the term şarf and its derivatives within their Qur'anic contexts, and by identifying the purposes and objectives to which these verses point. The study relies on an inductive examination of the relevant Qur'anic verses and draws upon the interpretations of Qur'anic exegetes to clarify their exegetical and purposive implications. The research reveals a diversity of objectives derived from these verses, particularly theological and educational objectives, while highlighting their interconnection and integration in achieving Qur'anic guidance

Keywords: Sarf, Exegesis, Objectives.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلاله وكماله، وصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الاخيار المنتجبين.

أما بعد ...

أن الفاظ الصرف في القرآن الكريم تتجاوز دلالتها اللغوية المباشرة الى دلالات مقاصدية عميقة، تسهم في ترسيخ الايمان، وتربية النفس، وتعميق التفكير والاعتبار بآيات الله تعالى.

مشكلة البحث:- لم تُفرد دراسة تستقرئ المقاصد القرآنية الجامعة الكامنة وراء آيات الصرف في مختلف سياقاتها؛ مما يستدعي بحثاً يبرز المقاصد العقدية والتربوية لهذه الآيات.

أهمية البحث:- تقدم رؤية تفسيرية معاصرة تسهم في فهم الخطاب القرآني. فضلاً عن إثراء الدراسات الموضوعية في التفسير المقاصدي.

أهداف البحث:- بيان أثر السياق القرآني في توجيه المقصد لمفهوم الصرف في القرآن الكريم ودلالاته، وإبراز التطبيقات العقدية والتربوية المستفادة من تفسير آيات الصرف.

منهج البحث:- استقرائي، حيث جمعت «الآيات» التي وردت فيها مفردة الصرف ومشتقاتها، مع الاستفادة من أقوال المفسرين للوصول إلى المقصد القرآني.

خطة البحث:-

المبحث الأول :- التأصيل المفاهيمي لمفردة الصرف والمقاصد.

المطلب الأول :- المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفردة الصرف.

المطلب الثاني:- المواطن القرآنية لالفاظ الصرف ومشتقاتها.

المطلب الثالث:- الدلالة التفسيرية لمادة الصرف في القرآن.

المبحث الثاني :- ضوابط استنباط المقاصد من النص القرآني.

المطلب الأول:- التأصيل المفاهيمي لمفردة المقاصد.

المطلب الثاني:- ضوابط استنباط المقاصد القرآنية.

المبحث الثالث:- المقاصد المستنبطة من تفسير آيات الصرف.

المطلب الأول:- المقاصد العقدية في آيات الصرف.

المطلب الثاني:- المقاصد التربوية في آيات الصرف.

- الخاتمة

- المصادر والمراجع.

المبحث الأول:- التأصيل المفاهيمي لمفردة الصرف والمقاصد

المطلب الأول:- المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفردة الصرف

أولاً- الصرف في اللغة :-

الصَرْفُ: " الصاد و الرء والفء معظم بابه يدل على رجع الشيء. من ذلك صرفت القوم صرفاً وانصرفوا ، إذا رجعتهم فرجعوا".⁽¹⁾ "وتصريف الرياح: تصريفها من وجهٍ الى وجهٍ، وحال الى حال"⁽²⁾، وعرف أيضاً بأنه " ردّ الشيء من حالة الى حالة، أو إبداله بغيرها".⁽³⁾

⁽¹⁾ مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت 395هـ) ، دار الفكر ، 1399 هـ - 1979 م، تح: عبد السلام هارون (مادة صرف) ، (343/3).

⁽²⁾ العين، الخليل الفراهيدي (ت 170هـ)، دار الهلال، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (مادة صرف)، (109/7).

⁽³⁾ المفردات ، الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق ، ط 1 ، 1412 هـ، (مادة صرف)، (ص482).

ثانياً- الصرف اصطلاحاً :-

الصرف في الاصطلاح التفسيري لا ينحصر في معنى واحد ؛ وإنما تعدد دلالاته تبعاً للسياق القرآني الذي وردت فيه الالفاظ الصرف ومشتقاتها، ومن ابرز التعريفات التي وردت في كتب التفسير على سبيل المثال ، هي :-
 الصرف :- هو التنوع في الحجج والامثال والمواظ وتكريرها بصورة مختلفة ؛ لتقوم الحجة على الناس.⁽¹⁾
 كذلك ورد تعريفاً اخر بأنه:- تنوع أساليب البيان بحسب اختلاف أحوال المخاطبين؛ ليكون ادعى الى قبول الحق.⁽²⁾

المطلب الثاني:- المواطن القرآنية لألفاظ الصرف ومشتقاتها

وردت مفردة الصرف ومشتقاتها بصيغ متنوعة في (30) موطن قرآني وهي:-

(صرف ، تصريف ، صرفكم، يُصرف، نصرف، صرفت ، سأصرف ، انصرفوا ، تصرفون ، مصروفاً ، لنصرف ، تصرف ، فصرف ، صرفنا ، مَصْرِفاً ، وصرفنا، ويصرفُهُ ، صرفاً ، صرفناه، اصرف ، يصرفون)⁽³⁾

جدول إحصائي يُبين المواطن القرآنية التي وردت فيها الفاظ الصرف ومشتقاتها

ت	المفردة	المثال القرآني	الموطن القرآني
1	صَرَفَ	﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	التوبة 127
2	فصرفَ	﴿ فَاَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾	يوسف 34
03	صرفكم	﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾	ال عمران 152
4	صرفنا	﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾	الاحقاف 29
5	سأصرف	﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾	الاعراف 146
6	تصرف	﴿ اَلَا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾	يوسف 33
7	نصرف	﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾	يوسف 24
8	ويصرفه	﴿ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ﴾	النور 43
9	اصرف	﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾	الفرقان 65
10	صرفت	﴿ وَإِذَا صَرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾	الاعراف 47
11	تصرفون	﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴾	يونس 32

¹ (جامع البيان ، الطبري (ت 310هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1420 هـ - 2000 م ، (453/17).

² (التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت 1393 هـ) ، الدار التونسية ، 1984هـ ، (109/15).

³ (المعجم المفهرس ، فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب ، القاهرة ، 1364 ، (ص 421).

12	تصرفون	﴿ ذُكِّمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴾	الزمر 6
13	يصرف	﴿ مَن يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾	الانعام 16
14	يصرفون	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصَرِّفُونَ ﴾	غافر 69
15	صرفنا	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾	الاسراء 41
16	صرفنا	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾	الاسراء 89
17	صرفنا	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ ﴾	الكهف 54
18	صرفنا	﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ ﴾	طه 113
19	صرفنا	﴿ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	الاحقاف 27
20	صرفناه	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴾	الفرقان 50
21	نصرف	﴿ انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾	الانعام 46
22	نصرف	﴿ انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾	الانعام ٦٥
23	نصرف	﴿ وَكَذَلِكَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾	الانعام 105
24	نصرف	﴿ كَذَلِكَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾	الاعراف 58
25	انصرفوا	﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾	التوبة 127
26	صرفا	﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾	الفرقان 19
27	تصريف	﴿ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ ﴾	البقرة 164
28	تصريف	﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	الحاثية 5
29	مصرفاً	﴿ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾	هود 8
30	مصرفاً	﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾	الكهف 53

المطلب الثالث:- الدلالة التفسيرية لمادة الصرف في القرآن

وردت مادة (صرف) ومشتقاتها في القرآن على معان عدة وهي :-

- 1) صرف: بمعنى التبيين، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ (سورة الاسراء: 89) أي: كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان.⁽¹⁾
- 2) صرف: بمعنى التقسيم، لقوله ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا﴾ (سورة الفرقان : 50) أي: قسمناه ؛ ويعني المطر، والمراد منه ولقد قسمنا هذا الماء الذي انزلناه من السماء.⁽²⁾
- 3) صرف : بمعنى الميل الى الشيء والاقبال عليه، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (سورة الاحقاف: 29) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك.⁽³⁾
- 4) صرف : بمعنى الصد عن الشيء والدفع عنه ، ومنه قوله تعالى ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ (سورة التوبة : 127) أي : صدها عن الحق، دعاء عليهم بالخذلان.⁽⁴⁾ كذلك قوله تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَّابًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾ (سورة النور: 34) أي: يدفع الله تعالى البرد عن من يشاء من عباده ؛ ليحصل بها الانتفاع من دون ضرر.⁽⁵⁾
- 5) صرف: بمعنى الهزيمة قال تعالى ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ (سورة ال عمران: 152) أي: ردكم عنهم بالهزيمة؛ ليمتحنكم.⁽⁶⁾
- 6) صرف : بمعنى التصرف في الامر، والتقليب وجوهه ، ومنه قوله تعالى ﴿تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة البقرة : 164) إرسالها عقيماً وملقحة ، وحارّةً وباردةً ، وصرّاً ونصراً وهلاكاً⁽⁷⁾، ولينةً وعاصفةً . وتقليبها في مهاجها قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً.⁽⁷⁾
- 7) صرف: بمعنى الدفع والاقصاء، لقوله تعالى ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ (سورة الفرقان: 65) فالمراد بصرف العذاب: إنجائهم منه بتيسير العمل الصالح وتوفيره واجتناب السيئات.⁽⁸⁾

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

¹ أنوار التنزيل ، البيضاوي (ت 685 هـ)، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ، (6/ 184).

² ينظر: تفسير القرآن ، ابن أبي زَمَنِين (ت 399 هـ) ، الفاروق الحديثة ، مصر، القاهرة ، ط 1 ، 1423 هـ - 2002م، (3/ 263).

³ ينظر: الكشاف ، الزمخشري (ت 538 هـ)، دار الكتاب ، بيروت ، ط 3 ، 1407 هـ، (4/ 311).

⁴ ينظر: المصدر نفسه ، (2/ 325).

⁵ ينظر: إرشاد العقل السليم ، أبو السعود العمادي (ت 982 هـ)، دار إحياء التراث ، (6/ 184).

⁶ معالم التنزيل ، البغوي (ت 510 هـ)، تح: محمد عبد الله النمر ، دار طيبة ، ط 4 ، 1417 هـ - 1997 م، (2/ 119).

⁷ ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (ت 671 هـ)، تح: حمد البردوتي ، دار الكتب ، القاهرة ، ط 2 ، 1384 هـ - 1964م،

(2/ 191).

⁸ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (70/19)

- (8) صرف: بمعنى العدول عن الشيء، قال تعالى ﴿ فَظَنُوا أَنَّهُمْ مَوَّاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ (سورة الكهف: 53) ولم يجدوا عنها مصرفًا: أي معدلا يعدلون إليه.⁽¹⁾
- (9) صرف: بمعنى التنويع والتفنن ، قال تعالى ﴿ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (سورة الانعام: 46) " تصريف الآيات اختلاف أنواعها ؛ بأن تأتي مرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرة بحجج من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله، فالآيات هنا هي دلائل الوجدانية".⁽²⁾
- وكذلك نصرف الآيات: أي ننوعها، ونأتي بها في كل فن ؛ ولتنوير الحق، وتبين سبيل المجرمين؛ من قبيل الترغيب والترهيب.⁽³⁾

المبحث الثاني: ضوابط استنباط المقاصد من النص القرآني

المطلب الأول: التأصيل المفاهيمي لمفردة المقاصد

- أولاً - المقاصد في اللغة :- جمع القصد، أي: استقامة الطريق، قال سبحانه ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ (سورة النحل: 9) تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة.⁽⁴⁾
- ثانياً- المقاصد في الاصطلاح:-

- (1) مقاصد القرآن: "هي الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد"⁽⁵⁾
- (2) كما عرفت بأنها: "القضايا الأساسية والمحاور الكبرى التي دارت عليها سور القرآن الكريم وآياته ؛ تعريفاً برسالة الإسلام ، وتحقيقاً لمنهج في هداية البشر".⁽⁶⁾

المطلب الثاني : ضوابط استنباط المقاصد القرآنية:-

يعدُّ استنباط المقاصد القرآنية من أدق مراحل العمل التفسيري؛ لأن المقصد لا يثبت بمجرد احتمال ذهني أو انطباع شخصي لدى الباحث، وإنما يحتاج إلى جملة من القرائن والأدوات التي تكشف عن مراد النص وتمنع من تحميله ما لا يحتمل. سأوضح الأسس الموضوعية والمنهجية التي تضبط عملية استنباط المقاصد وتمنع الانحراف بها عن دلالة النص.⁽⁷⁾

1) الالتزام بدلالة النص القرآني وعدم مخالفة ظاهره بغير دليل:-

أول ضابط في استنباط المقاصد القرآنية أن يكون المقصد المستنبط قائماً على دلالة النص نفسه، وأن يكون منسجماً مع ما يدل عليه اللفظ والتركيب والسياق. فلا يصح أن يقرر الباحث مقصداً مسبقاً ثم يبحث عن آية تؤيده، بل ينبغي أن

⁽¹⁾ تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ت 1376هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1420هـ - 2000م ، (ص 480).

⁽²⁾ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (236/7).

⁽³⁾ ينظر: تيسير الكريم ، السعدي، (ص 256).

⁽⁴⁾ تاج العروس ، مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ) ، دار الهداية، د. ط ، د. ت ، (35/9 - 36).

⁽⁵⁾ المدخل الى مقاصد القرآن ، عبد الكريم حامدي ، الرشد ، الرياض ، ط 1 ، 1428هـ - 2007م ، (ص 31).

⁽⁶⁾ جهود العلماء في استنباط مقاصد ، مسعد تودوخة ، المؤتمر العلمي ، المغرب ، 2011م ، (ص 956).

⁽⁷⁾ ينظر: التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، علي محمد أسعد، الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد 23، العدد 89، 2017م، (ص 41-68).

يبدأ من النص، ويدرس ألفاظه وتراكيبه ودلالاته، ثم يستخلص الغاية التي تشير إليها مجموع هذه القرائن. ولذلك فإن المقصد القرآني ليس معنى منفصلاً عن النص، بل هو غاية يمكن الوصول إليها من خلال التدبر في دلالاته ومكوناته. وهذا الضابط يحول دون التفسير بالرأي المجرد أو إسقاط الأفكار المعاصرة على النص القرآني دون مستند معتبر.⁽¹⁾ والعناية بالمعنى العميق للمفردة القرآنية وتدبر دلالاتها من الوسائل المهمة للوصول إلى المقصد؛ لأنه لا يمكن الوصول إليه بصورة صحيحة مع إهمال معنى اللفظ الذي حمل الخطاب. ويتأكد ذلك في القرآن الكريم؛ إذ إن اختلاف الصيغة الصرفية قد يؤدي إلى اختلاف في الدلالة والسياق، ومن ثم قد يكون له أثر في الكشف عن المقصد.⁽²⁾

2) النظر في السياق القرآني:-

من المؤكد إن اللفظ القرآني قد تعدد دلالاته بحسب موقعه من الكلام، ولا يصح عزله عن الآيات التي ورد فيها. والسياق يشمل: سياق الآية، وسياق المقطع، وسياق السورة، فضلاً عن السياق القرآني العام. وبذلك يستطيع الباحث أن يميز بين المعنى الذي يقتضيه الموضع المعين والمعنى الذي قد يحتمله اللفظ في مواضع أخرى. وقد اعتنى المفسرون بالمناسبة بين الآيات والكشف عن أغراض السور بوصف ذلك من الوسائل المؤدية إلى فهم مقصد الخطاب.⁽³⁾

3) الاستقراء الشامل للآيات ذات الموضوع الواحد:-

إن استقراء الآيات وجمع نظائرها يساعد على الوصول إلى صورة أكثر دقة للمقصد. والاستقراء هنا لا يعني مجرد إحصاء الآيات، وإنما جمعها وتحليلها ومقارنة سياقاتها ودلالاتها، ثم الكشف عن القدر المشترك بينها. وقد أشارت الدراسات المعاصرة في التفسير المقاصدي إلى أهمية الاستقراء وعدّها أحد أدوات في الكشف عن المقاصد القرآنية.⁽⁴⁾

4) عدم إغفال التراث التفسيري:-

لا يستقيم استنباط المقاصد القرآنية مع إهمال جهود المفسرين السابقين؛ لأن كتب التفسير تمثل رصيذاً علمياً مهماً؛ لذا ينبغي للباحث أن يستقري أقوال المفسرين في الآية محل الدراسة، ويقارن بينها، ثم يستخلص المقصد بناءً على مجموع الدلالات التفسيرية، لا على رأي منفرد.⁽⁵⁾

5) مراعاة أسباب النزول والقراءات القرآنية:-

تعد معرفة أسباب النزول والقراءات من القرائن التي تساعد على فهم المراد من الآية، ولذلك ينبغي مراعاتها عند استنباط المقاصد، ولا سيما عندما يكون سبب النزول مؤثراً في تحديد سياق الخطاب أو المخاطبين به. كما أن القراءات المتواترة قد تكشف عن تنوع دلالي معتبر ينبغي ألا يهمله الباحث عند تحليل النص.⁽¹⁾

¹ ينظر: التفسير المقاصدي للقرآن الكريم: أسسه وتطبيقاته، نشوان خالد عبدو، ورضوان جمال يوسف الأطرش، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2017م، (ص 40-45).

² ينظر: التفسير المقاصدي، د. وصفي عاشور، كلية العلوم، القاهرة، د. ط، د.ت، (ص 19).

³ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط 13، 1421هـ - 2000م، (ص 37).

⁴ ينظر: ضوابط التفسير المقاصدي محمد رشيد رضا ومحمد الطاهر ابن عاشور أنموذجين، محمد صالح المقرحي، إشراف د. مصطفى عبد الفتاح العربي، بنغازي، 2002م، (ص 45-50).

⁵ ينظر: فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار، دار الجوزي، الرياض، ط 2، 1423هـ، (ص 93-96).

6) مراعاة مقاصد السور والمناسبات بين الآيات:-

السورة القرآنية وحدة مترابطة تتأزر آياتها في تحقيق غرض أو أغراض متعددة. ولذلك فإن معرفة غرض السورة تساعد على تحديد المقصد الجزئي للآية وعدم تفسيرها بعيداً عن البناء العام للسورة. (2)

7) عدم التعارض بين المقصد المستنبط وكليات القرآن وأصول الشريعة:-

من أهم الضوابط أن يكون المقصد المستنبط منسجماً مع الكليات القرآنية والأصول العامة للشريعة، فلا يجوز إثبات مقصد يؤدي إلى نقض أصل قطعي أو يتعارض مع مجموعة من النصوص المحكمة. فالمقاصد لا تعمل في فراغ، وإنما تنتظم في منظومة كلية من الاعتقاد والقيم والأحكام والهداية. ولهذا فإن الباحث عندما يستنبط مقصدًا من آيات الصرف مثلاً ينبغي أن يعرضه على مجموع النصوص القرآنية ذات الصلة، ليتأكد من عدم تعارضه مع المقاصد العامة للقرآن. (3)

8) التمييز بين المقصد القطعي والمقصد الاجتهادي:-

ينبغي للباحث أن يفرق بين المقصد الذي دل عليه النص أو مجموع النصوص دلالة قوية، وبين المقصد الذي ظهر له بطريق الاجتهاد والاستنباط. فليس كل معنى مقاصدي يصل إليه الباحث يكون في درجة واحدة من القوة، ولذلك من المنهجية العلمية أن يعبر عن

المقاصد الاجتهادية بعبارات مثل: يظهر أن من مقاصد الآية، أو يمكن أن يستنبط من السياق، أو يفهم من مجموع الآيات، بدل الجزم بأن هذا هو مراد الله تعالى إذا لم توجد قرائن كافية. (4)

المبحث الثالث:- المقاصد المستنبطة من تفسير آيات الصرف**المطلب الأول: المقاصد العقدية في آيات الصرف :-**

من اعظم مقاصد آيات الصرف ترسيخ التوحيد وزيادة اليقين ؛ اذ تكرر الأدلة الكونية والعقلية بصورة متعددة لإقامة البرهان على وحدانية الله تعالى وقدرته. سأوضح كما يأتي:-

أولاً- إيضاح الحق ودفع الشبهات :-

﴿وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنَبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الانعام: 105)

جاءت الآية الكريمة في سياق بيان البراهين الدالة على وحدانية الله تعالى وصدق رسوله (ﷺ)، وبعد قوله سبحانه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَإٌ ثَرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ (سورة الأنعام: 104)، فبين سبحانه أن تصريف الآيات وتنوع أساليب عرضها ليس أمراً عارضاً، وإنما هو طريق لإقامة الحجة وإظهار الحق وبيانه لمن كان أهلاً للعلم والفهم. (5) يدل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ﴾ على أن تصريف الآيات وتنوعها من وسائل إقامة الحجة، فيضع

¹ ينظر: العجّاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، عبد الحكيم الأنيس، الدمام، ابن الجوزي، 1997م، (1/ 5 وما بعدها).

² ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات، برهان الدين البقاعي، القاهرة، الكتاب الإسلامي، د.ت، (1/ 15).

³ ينظر: مقاصد الشريعة، ابن عاشور، تح: ابن الخوجة، قطر، وزارة الأوقاف، 2004م، (ص 165-170).

⁴ ينظر: التفسير المقاصدي، عادل المعاشي، مجلة ذخائر للعلوم الإنسانية، العدد 7، 2020م، (ص 230-266).

⁵ ينظر: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، دار احياء التراث، بيروت، ط 1، 1426 هـ، (4/ 274).

الرازي هذه الآية ضمن سياق الرد على شبهات المنكرين لنبوة النبي (ﷺ) ، ويبين أن تصريف الآيات جاء بصورة متتابعة لإظهار البيان والعلم، وأن تعدد عرض الأدلة يسهم في كشف الشبهة وإظهار وجه الحق.⁽¹⁾

يظهر من قوله تعالى: ﴿وَلَنَبِيْنَهُ لَقَوْمٌ يَعْلَمُوْنَ﴾ أن من أبرز المقاصد المترتبة على تصريف الآيات بيان الحق وإيضاحه ، فإن الله تعالى يصرف الآيات والحجج ويبينها حتى يتعرف الناس إلى ما جهلوا من أمره ونهيه، وأن هذا البيان ينتفع به الذين يعلمون الحق إذا ظهر لهم فيقبلونه ويتبعونه.⁽²⁾

ثانيا- إثبات انفراد الله تعالى بالقدرة والمشيئة والتدبير:-

قال تعالى ﴿تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة البقرة: 164)

جاءت الآية في سياق تقرير وحدانية الله تعالى، وذلك من خلال عرض مجموعة من المشاهد الكونية التي تصلح أدلة عقلية على هذه الحقيقة العقدية. ولذلك يمكن القول إن المقصد العقدي الأساس للآية هو ترسيخ توحيد الله تعالى وإثبات تفرد الخلق والتدبير، من خلال توجيه العقل إلى النظر في نظام الكون وما يشتمل عليه من دلائل القدرة والحكمة والتسخير، وعلى الرغم من تعدد هذه الظواهر وتنوعها، فإنها جميعا تردّ إلى فاعل واحد، وكلها مظاهر لنظام محكم لا يقوم على الفوضى والاضطراب؛ ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿لَا يَاتِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ﴾.⁽³⁾

قوله تعالى ﴿وَ الْبَلْدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ (سورة الأعراف: 58)

يظهر المقصد العقدي هنا إذ أسند القرآن خروج النبات إلى إذن الله تعالى، وفي ذلك إشارة إلى أن الأسباب الكونية، وإن كانت ظاهرة، لا تستقل بالتأثير، وإنما تجري ضمن مشيئة الله وتقديره. ويتأكد هذا المقصد من التعبير القرآني ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ إذ يربط الظاهرة المشاهدة بربوبية الله تعالى، بما يرسخ الاعتقاد بأنه سبحانه المتفرد بالخلق والتدبير. حيث أن الأسباب الطبيعية لا تستقل عن الإرادة الإلهية، وإنما تعمل في إطار النظام الذي أقامه الله تعالى في الكون.⁽⁴⁾

ثالثاً- إقامة الحجة على المكذبين :-

قال تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ (سورة الأنعام : 46).

تقرر الآية أن الله تعالى هو المتفرد بالقدرة على أخذ السمع والبصر وختم القلب، كما أنه وحده القادر على ردّ هذه النعم، ولذلك جاء الاستفهام ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾ أي لا يوجد إله غير الله يستطيع أن يرّد ما سلبه سبحانه.⁽⁵⁾ كما إن القرآن لا يقدم الدليل على التوحيد بصورة واحدة ، وإنما ينوعه : فتارة يستدل بنعم الله، وتارة بعجز الآلهة المزعومة، وتارة بما يشاهده الإنسان في نفسه وواقعه، ومن ثم فإن تصريف الآيات يؤدي وظيفة عقدية تتمثل في إقامة الحجة وترسيخ التوحيد في النفس. فأن التصريف أصله تعدد الصبرف، ثم يستعمل في معنى التنوع والبيان بوجوه

¹ ينظر: مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي (ت 606 هـ) دار إحياء التراث ، بيروت ، ط 3 ، 1420 هـ ، (13/ 107).

² ينظر: جامع البيان، الطبري، (31/12).

³ ينظر: مجمع البيان ، الطبرسي (ت 548 هـ) ، الأعلمي، ط 1 ، بيروت ، 11415-11995م ، (1/447).

⁴ ينظر: الميزان ، الطباطبائي (ت 1402 هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت، ط 1 ، 1417 هـ- 1997 م ، (8/147).

⁵ ينظر: جامع البيان ، الطبري ، (11/365).

مختلفة، وهو ما يجعل التعبير القرآني متصلاً بمنهج القرآن في تنويع الاستدلال.⁽¹⁾ فالآية تقيم الحجة على المشركين من خلال افتراض سلب أهم وسائل الإدراك عند الإنسان: السمع والبصر والقلب، ثم توجيه السؤال إلى بيان من يستطيع ردها غير الله.⁽²⁾

المطلب الثاني:- المقاصد التربوية في آيات الصرف

يتجلى في آيات الصرف مقاصد تربوية تتمثل في توجيه الإنسان إلى إعمال العقل والتفكير في الظواهر الكونية، وعدم الوقوف عند حدود المشاهدة الحسية لها، سأوضح المعنى كالآتي:-

أولاً- تنمية ملكة العقل بالملاحظة والاعتبار:-

قال تعالى ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْنِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الجاثية : 5)

تربط الآية بين التأمل في الظواهر الكونية وبين استعمال العقل؛ تصريف الرياح بتنوع جهاتها وأحوالها بما فيه من منافع للناس، ويجعل هذه الظواهر أدلة وعبراً لمن يعقل ويتدبر. ويتضح ذلك من ختم الآية بقوله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ إذ لم تكتفِ الآية بعرض ظواهر الليل والنهار والمطر والرياح، بل وجهت الإنسان إلى إعمال العقل فيها، جعل هذه الظواهر " أدلة وحججاً لله " لمن يعقل ويتفهم ما فيها من العبر.⁽³⁾

يربط الطبرسي بين التدبر العقلي في الظواهر الكونية وبين الوصول إلى معرفة المدير الحكيم، وهو أساس تربوي مهم في بناء منهج قرآني يربي العقل على التأمل والاستدلال.⁽⁴⁾

يبرز الطباطبائي الجانب العقلي بصورة أوضح، فيرى أن تنوع هذه الظواهر وتعدد جهاتها وكثرة فوائدها يجعل إدراك دلالاتها محتاجاً إلى تعقل فكري وتدبر تفصيلي، ولذلك خصها الله تعالى بقوله ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁽⁵⁾

ثانياً- إيقاظ القلب من غفلة العقل :-

قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (سورة طه : 113)

يشير مكارم الشيرازي إلى أن الآية مرتبطة بالمسائل التربوية التي سبقت، ولا سيما الوعد والوعيد والقيامة، وأن تنويع أساليب عرض الوعيد يهدف إلى التوعية والعبرة، كما أن التعبير القرآني المتنوع حول العقاب يرسخ التقوى في الإنسان.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (7/ 235).

⁽²⁾ ينظر: الميزان، الطباطبائي، (7، 101-102).

⁽³⁾ ينظر: تفسير القران، ابن كثير (ت 774 هـ) ، دار طيبة ، ط 2 ، 420 1 هـ - 9 199 م، (7/ 264).

⁽⁴⁾ ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، (9، 118).

⁽⁵⁾ ينظر: الميزان، الطباطبائي، (18/ 154-155).

⁽⁶⁾ ينظر: الأمثل، الشيرازي، (10/ 72).

أما السعدي فقد أبرز البعد التربوي بصورة أكثر وضوحاً، فذكر أن القرآن نوع الوعيد بذكر أسماء الله الدالة على العدل والانتقام، وعبر الأمم السابقة، وآثار الذنوب، وأهوال القيامة، وعذاب جهنم، وكل ذلك رحمة بالعباد؛ ليتروا الشر والمعاصي ويعملوا الطاعات والخير. وعليه فإن تنوع الأسلوب القرآني يمثل وسيلة تربوية لمراعاة اختلاف دوافع التأثير لدى المخاطبين، وهذا يؤكد أن التنوع في العرض القرآني وسيلة لإحداث الوعي الأخلاقي والسلوكي.⁽¹⁾ وما ورد من "عبارات شتى، تصريحا وتلويعاً، وضروب أمثال، وإقامة براهين لعلهم يتقون أي الكفر والمعاصي بالفعل أو يحدث لهم ذكراً أي اتعاضاً واعتباراً، يؤول بهم إلى التقوى".⁽²⁾

وفي تفسير المنار لمحمد رشيد رضا تبرز مقصد الآية من خلال نظرته إلى الأسلوب القرآني ووظيفته في الهداية والإصلاح. فقد أورد الآية ضمن حديثه عن خصائص القرآن، وبين أن أسلوبه يقوم على مزج فنون الخطاب وتنويعها، وأن القرآن يجمع العقائد والدلائل والمواعظ والأخبار والسنن والأحكام بما يحقق الهداية والإرشاد؛ لأن تنوع القرآن لأساليب الوعيد والتذكير من مظاهر منهجه في هداية الإنسان وإصلاحه؛ إذ لا يقتصر الخطاب القرآني على تقرير الحكم، وإنما يخاطب العقل والقلب والوجدان معاً، ليقود الإنسان إلى التقوى والعمل الصالح.⁽³⁾

ثالثاً- تقويم التفكير الجدلي:-

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (سورة الكهف: 54). تصريف القرآن بأنه بيان الأمور وتوضيحها وتفصيلها حتى لا يضل الإنسان عن الحق ولا يخرج عن طريق الهدى، ثم نبه إلى أن الإنسان قد يجادل ويخاصم ويعارض الحق بالباطل؛ بمقتضى جبلته أكثر شيء مراء وخصومة، لا ينيب إلى حق، ولا يزدجر لموعظة، ويظهر من ذلك مقصد تربوي مهم، وهو تربية العقل على قبول البيان القرآني والابتعاد عن الجدل الذي يحول دون الوصول إلى الحق؛ لغرض إحداث التذكر والاعتبار والإنابة، وتحويل المعرفة القرآنية إلى سلوك عملي يبعد الإنسان عن الانحراف.⁽⁴⁾

ذكر الطبرسي أن تصريف الأمثال يكون بترديدها على وجوه متعددة وأنواع مختلفة، حتى يتفكر الناس فيها. وهذا يجعل التفكير والتدبر من أهم الآثار التربوية للآية. ويمكن استنباط أن تنوع الأمثال القرآنية ليس مجرد تنوع أسلوب، وإنما هو منهج تربوي يستثير التفكير ويقود إلى الاعتبار والهداية.⁽⁵⁾

يفهم من معالجة الطباطبائي للآية أن القرآن يستعمل تنوع البيان والأمثال لإظهار الحق وتقريبه إلى الأذهان، وأن الإنسان قد يقابل هذا البيان بالجدل والمخاصمة؛ ومن ثم فإن السياق يوجه إلى التفكير والاستجابة للحق بدلاً من المكابرة والجدل.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ ينظر: تيسير الكريم، السعدي، (ص 514).

⁽²⁾ محاسن التأويل، القاسمي (ت 1332هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418 هـ، (7 / 149).

⁽³⁾ ينظر: المنار، محمد رشيد بن علي رضا (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية، 1990 م، (268/9).

⁽⁴⁾ ينظر: تفسير المراغي، المراغي (ت 1371هـ)، دار مصطفى الحلبي، مصر، ط 1، 1365 هـ - 1946 م، (15/166).

⁽⁵⁾ ينظر:- مجمع البيان، الطبرسي، (6، 724).

⁽⁶⁾ ينظر:- الميزان، الطباطبائي، (13/293).

الخاتمة

أن آيات الصرف تمثل مجاًلاً خصباً للدراسة المقاصدية؛ لما تتضمنه من تنوع في الدلالات والمقاصد، وأن فهمها فهماً متكاملًا يتطلب الجمع بين الدلالة اللغوية والسياق التفسيري والمقصد القرآني. ومن هنا يمكن إن اذكر ابرز نتائج التي توصل إليها البحث وهي:-

1. كشف البحث عن ثراء الدلالة القرآنية لمادة الصرف ومشتقاتها، إذ تنوعت معانيها بحسب السياق، فجاءت تارةً بمعنى التحويل والتغيير، وتارةً بمعنى الإعراض والعدول، وأخرى للدلالة على التنوع والتصريف والبيان.
2. تبين أن السياق القرآني هو الأساس في تحديد الدلالة المقصودة لألفاظ الصرف، فلا يصح حمل اللفظ على معنى واحد في جميع مواضعه، بل تتحدد دلالاته بالنظر إلى السياق الذي ورد فيه وما يرتبط به من قرائن لفظية ومعنوية.
3. أظهرت الدراسة ارتباط آيات الصرف بالمقصد العقدي، ولا سيما في المواضع التي يستدل فيها بتصريف آيات الله ومظاهر الكون على وحدانية الله تعالى وقدرته وحكمته، مما يجعل هذه الآيات وسيلة لترسيخ التوحيد وتعميق الإيمان.
4. ظهر المقصد التربوي بوضوح في آيات الصرف؛ إذ اعتمد القرآن أسلوب تنوع البيان وتصريف الآيات والمواضع لترسيخ المعاني في النفس، وحمل الإنسان على التدبر والاتعاظ ومراجعة مواقفه وسلوكه.
5. ثبت أن تصريف الآيات في القرآن يمثل منهجاً في البيان والتعليم؛ إذ لا يقتصر التكرار القرآني على إعادة المعنى، وإنما يأتي في سياقات متعددة تضيف إلى المعنى أبعاداً جديدة وتقويه إلى الأذهان.
6. أظهر استقراء أقوال المفسرين وجود قدر كبير من الاتفاق على المقاصد الكلية لآيات الصرف، مع اختلافهم أحياناً في طريقة التعبير عنها أو في تحديد بعض الدلالات الجزئية، وهو ما يثري الدراسة المقاصدية ولا يضعفها.
7. المقاصد المستنبطة من آيات الصرف متكاملة وليست منفصلة؛ فقد تجتمع في الآية الواحدة مقاصد عقدية وتربوية، بحيث يخدم بعضها بعضاً في تحقيق الهداية القرآنية.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

1. إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، د.ط، د.ت.
2. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت ، ط1، 1426هـ، (274/4).
3. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البضاوي (ت 685هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ،
4. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرازق مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط ، د.ت.

5. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور(ت 1393هـ)، الدار التونسية ، تونس، 1984هـ.
6. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى ابن أبي زَمَنِين (ت 399هـ) تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة ، مصر، القاهرة، ط1، 1423هـ - 2002م.
7. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ - 1999م.
8. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي(ت 1371هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، ط1، 1365هـ - 1946م.
9. التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن أنموذجا، د. وصفي عاشور أبو زيد، كلية العلوم ، جامعة القاهرة ، د. ط، د.ت.
10. التفسير المقاصدي للقرآن الكريم: أسسه وتطبيقاته، نشوان خالد عبدو، ورضوان جمال يوسف الاطرش، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا، 2017م.
11. التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، علي محمد أسعد، الفكر الاسلامي المعاصر، مجلد 23، العدد 89، 2017م.
12. التفسير المقاصدي: الاسس المنهجية للفهم السليم والتقصيد الحكيم، عادل المعاشي، مجلة ذخائر للعلوم الانسانية، العدد 7، 2020م.
13. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا الحسيني(ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
14. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1420هـ - 2000م.
15. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
16. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي (ت 671هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
17. جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، مسعود بودوخة، المؤتمر العلمي الاول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه: جهود الامة في خدمة القرآن وعلومه، المغرب ، 2011م.
18. ضوابط التفسير المقاصدي محمد رشيد رضا ومحمد الطاهر ابن عاشور أنموذجين ، محمد صالح المقرحي، اشراف د. مصطفى عبد الفتاح العربي، رسالة ماجستير، جامعة بنغازي، كلية الاداب، 2021م.
19. العجائب في بيان الاسباب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عبد الحكيم محمد الانيس، الدمام، دار ابن الجوزي، 1997م.

20. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت 170هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
21. فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض، ط 2، 1423هـ.
22. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزخشري (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407هـ.
23. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط 3، 1421هـ - 2000م.
24. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ) تح: لجنة من المحققين، مؤسسة الاعلمي، ط 1، بيروت، 1415هـ - 1995م.
25. محاسن التأويل، محمد جمال الدين الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ.
26. المدخل الى مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1428هـ - 2007م.
27. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 510هـ)، تح: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط 4، 1417هـ - 1997م.
28. المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1364.
29. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي (ت 606هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420هـ.
30. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت 502هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط 1 - 1412هـ.
31. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، قطر، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، 2004م.
32. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
33. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت 1402هـ) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 1417هـ - 1997م.
34. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، القاهرة، دار الكتاب الاسلامي، د.ت.

الفروق اللغوية واثرها في فهم النص القرآني

اسم الباحث : حيدر فاضل جاسم علي السراجي

جهة الانتساب : تربية الرصافة الثالثة

البريد الالكتروني : hayderalsaray125@gmail.com

2026 م

1448 هـ

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

الفروق اللغوية وأثرها في فهم النص القرآني
اسم الباحث: حيدر فاضل جاسم علي السراجي
جهة الانتساب: تربية الرصافة الثالثة

البريد الإلكتروني : hayderalsaray125@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث الفروق اللغوية وأثرها في فهم النص القرآني انطلاقاً من فكرة وهي أن الألفاظ العربية المتقاربة في الدلالة ليست مترادفة ترادفًا تاماً، وإنما قد يختص كل لفظ منها بلمح دلالي يميزه عن غيره، ويؤدي اختيار اللفظ في السياق القرآني وظيفة دلالية مقصودة في النص فسعى البحث إلى الكشف عن الفروق الدقيقة بين عدد من الألفاظ المتقاربة، وبيان أثر تلك الفروق في توجيه المعنى وفهم السياق القرآني.

وأما المنهج المتبع في البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي وذلك عبر الرجوع إلى كتب اللغة والفروق والمعاجم وكتب غريب القرآن والتفاسير ثم تحليل استعمال الألفاظ في ضوء سياقاتها القرآنية وتناول البحث نماذج متعددة، منها: الغيث والمطر، والصديق والصاحب، والعقل واللب، والفؤاد والقلب، والنفي والطرْد والجحد، والنصيحة والوصية والإنذار، وأهل وآل، والكذب والإفك والافتراء فضلاً عن غيرها من الألفاظ المتقاربة.

وقد أظهر البحث أن اختلاف اللفظ القرآني يرتبط باختلاف دلالاته وسياقه، وأن استبدال لفظ بآخر قد يؤدي إلى إغفال جانب من المعنى الذي قصده النص؛ مما يؤكد أهمية دراسة الفروق اللغوية في الكشف عن الدقة التعبيرية والإعجاز البياني في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الفروق اللغوية، الألفاظ المتقاربة، الدلالة، النص القرآني، السياق، القرآن الكريم.

Abstract

This study examines linguistic differences and their role in understanding the Qur'anic text, based on the premise that Arabic words with closely related meanings are not necessarily completely synonymous. Rather, each word may possess a distinctive semantic feature that differentiates it from others, and the selection of a particular word in the Qur'anic context serves a deliberate semantic function. Accordingly, the study seeks to uncover the subtle distinctions among a number of semantically related words and to demonstrate the impact of these distinctions on meaning and the interpretation of Qur'anic contexts.

The study adopts a descriptive-analytical approach through consulting linguistic sources, works on linguistic distinctions, Arabic dictionaries, books on Qur'anic vocabulary, and Qur'anic exegeses, followed by an analysis of the use of these words within their

Qur'anic contexts. The study examines several examples, including al-ghayth and al-maṭar (rain), al-ṣadīq and al-ṣāhib (friend and companion), al-‘aql and al-lubb (intellect and pure intellect), al-fu’ād and al-qalb (heart), al-nafy, al-ṭard, and al-jahd (negation, expulsion, and denial), al-naṣīḥah, al-waṣiyyah, and al-indhār (sincere advice, instruction, and warning), ahl and āl, as well as al-kadhib, al-ifk, and al-iftirā’ (lying, falsehood, and fabrication), in addition to other semantically related expressions.

The study demonstrates that variations in Qur’anic lexical choice are closely connected to differences in meaning and context, and that replacing one word with another may obscure an aspect of meaning intended by the text. This highlights the importance of studying linguistic differences in revealing the precision of Qur’anic expression and the rhetorical inimitability of the Holy Qur’an.

Keywords: Linguistic Differences, Semantically Related Words, Semantics, Qur’anic Text, Context, Holy Qur’an.

أهمية البحث

تتبع أهمية هذا البحث من أهمية اللغة العربية في الكشف عن دلالات النص القرآني، إذ إن فهم القرآن الكريم لا يقتصر على معرفة المعنى المعجمي للألفاظ، بل يتطلب الوقوف على الفروق الدقيقة بينها، ولا سيما الألفاظ التي تتقارب في أصل معناها وتختلف في بعض خصائصها الدلالية.

وتتجلى أهمية البحث في الكشف عن دقة الاختيار القرآني للألفاظ والتي أغلفت الدراسات عنها وبيان أن كل لفظة تؤدي معنى يتلاءم مع السياق الذي وردت فيه مع الوقوف على الفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة، وبيان ما يترتب عليها من اختلاف دقيق في المعنى فضلاً عن الإسهام في فهم النص القرآني فهماً أدق من خلال الجمع بين الدلالة المعجمية والسياق القرآني بيان أثر الفروق اللغوية في التفسير مع إبراز جانب من جوانب الإعجاز البياني للقرآن الكريم المتمثل في دقة استعمال المفردة ومناسبتها للمقام والإفادة من جهود علماء العربية المتقدمين في دراسة الفروق اللغوية، وربطها بالدرس الدلالي الحديث.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في وجود عدد من الألفاظ العربية التي تتقارب في معانيها وتتداخل في استعمالاتها وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى التعامل معها على أنها ألفاظ مترادفة يمكن أن يحل بعضها محل بعض دون اختلاف في المعنى غير أن التأمل في الاستعمال القرآني يكشف عن وجود فروق دقيقة بين كثير من هذه الألفاظ، وأن اختيار أحدها دون الآخر يرتبط بالسياق والدلالة التي يقتضيها المقام.

ومن هنا يحاول البحث الإجابة عن مجموعة من التساؤلات، أهمها:

1. ما المقصود بالفروق اللغوية، وما أثر الفروق بين الألفاظ المتقاربة في توجيه المعنى القرآني؟
2. ما الفروق الدلالية بين الألفاظ التي تبدو مترادفة في أصل الاستعمال؟
3. كيف وظّف القرآن الكريم هذه الفروق في اختيار ألفاظه؟
4. هل يؤدي استبدال لفظ بآخر إلى المحافظة على الدلالة القرآنية نفسها، أم أن لكل لفظ خصوصيته التي يفرضها السياق؟

مقدمة

يحتل القرآن الكريم مكانة عظيمة في حياة المؤمنين كونه كلام الله تعالى المنزّل على نبيه محمد ﷺ، والمصدر الأول للعقيدة والتشريع والهداية، وقد اشتمل على أصول الإيمان والعبادات والأحكام والقيم والأخلاق كما حفظ اللغة العربية جانباً كبيراً من خصائصها وألفاظها وأساليبها ولذلك حظي النص القرآني بعناية واسعة من علماء اللغة والتفسير والبلاغة والذين سعوا إلى الكشف عن دقة ألفاظه وتراكيبه، وبيان ما تنطوي عليه من دلالات ومعانٍ.

ومن القضايا اللغوية التي تكتسب أهمية خاصة في دراسة النص القرآني الفروق بين الألفاظ المتقاربة في المعنى؛ إذ قد تشترك ألفاظ متعددة في أصل الدلالة، إلا أن لكل لفظ منها خصوصية دلالية يفرضها السياق والمقام فاختيار لفظ دون آخر في القرآن الكريم ليس قائماً على التنوع اللفظي المجرد، وإنما يرتبط بالمعنى المراد والسياق الذي ورد فيه ومن ثم فإن الكشف عن هذه الفروق يسهم في فهم النص القرآني فهماً أدق، ويجنب الباحث الوقوع في التسوية بين ألفاظ قد تختلف في بعض وجوه الدلالة.

أولاً: تعريف الفروق اللغوية لغة واصطلاحاً

الفروق اللغوية هو مصطلح مركب من كلمتين وهما (الفروق) جمع لكلمة (الفرق) الفرق في اللغة: هو التمييز والفصل بين شيئين، ومنه اشتقَّ لفظُ الفَرْق، ويُقال: فَرَّقَ الشَّعْرَ يَفْرِقُهُ فَرْقًا، أي فصله ويميّز بعضه من بعض¹ والأخرى (اللغوية) وهي مصدر صناعي مشتق من اللغة وهي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم² أما في الاصطلاح فالفرق اللغوية هي الفروق الدلالية التي تُميّز كلمة عن كلمة أخرى في النص مع اشتراكهما في المعنى عام يجمع بينهما وقد حرص علماء اللغة العربية القدماء على إظهارها بين الألفاظ المستعملة فعقدوا فصولاً وأشياء تختلف اسماءها باختلافه أحوالها³ وهو ما اصطلح عليه علماء العرب المحدثين (شبه الترادف) أو ما يسمّى ب(لتقارب الدلالي)⁴ إلّا أنّها تختلف عن ظاهرة الترادف وترفضها رفضاً قاطعاً في القرآن الكريم وذلك لأنّ كل كلمة لها خصوصية في الاستعمال يميزها عن غيرها.

¹ ينظر : مقاييس اللغة: 4/ 493.

² ينظر: التعريفات: 192.

³ ينظر : دراسات في فقه اللغة: 289.

⁴ ينظر: علم الدلالة: 220_221.

ثانيًا: أهمية الفروق اللغوية عند علماء العرب القدماء والمحدثين:

وتبرز الفروق اللغوية بوصفها مظهرًا من مظاهر ثراء العربية ودقتها في التعبير، فهي تكشف عن نزوع اللغة إلى التفريق بين المعاني المتقاربة وتخصيص الألفاظ للدلالة على دقائقها المختلفة، بما يعكس سعة إمكاناتها التعبيرية وثرائها الدلالي. ولم تحظ هذه الظاهرة بباب مستقل في معظم المؤلفات اللغوية القديمة، وإنما توزعت مسائلها في ثنايا كتب اللغة والنحو والتفسير والأدب وغيرها، فتناولها العلماء في سياقات ومجالات علمية متنوعة. ومن أقدم المصنفات التي غنيت بجمع هذه الفروق وبيانها بل نجده متناثرًا في مصنفات مختلفة ولعل أقدم كتاب وصل إلينا اختص بهذه الظاهرة هو كتاب الفرق لقطرب (ت210هـ) وكتاب الفرق للسجستاني (ت255هـ) ويُعد كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت395هـ) من أبرز المصنفات التي تناولت هذه الظاهرة، إذ يكشف فيه عن جانب من دقة العربية في تصنيف الأشياء وتمييز بعضها من بعض، والعناية بالفروق الدقيقة التي تفصل بين المعاني المتقاربة وقد اتسعت العربية في استعمال ألفاظ متعددة للتعبير عن المعنى الواحد بحسب اختلاف أحواله ووجوهه، مستفيدةً من تنوع صيغ الألفاظ وتآلف أصواتها وما تتيحه اللغة من إمكانات اشتقاقية وتعبيرية فضلاً من تنوع أبنيتها وأصواتها في توليد ألفاظ متعددة قادرة على أداء المعاني المتباينة والتعبير عن دقائقها¹.

المبحث الأول : نقض ظاهرة الترادف واستبعادها من التعبير القرآني

أولاً : الترادف لغة واصطلاحاً

التَّرادف لغةً هو التَّوَالِي أو التَّتَابُع، وترادف الشيئان أو الشخصان، أي: تتابعا، وردفَ فلانٌ فلانًا، أي: ركب أحدهما خلف الآخر وتعاونوا، وترادفت الكلمتان: كان بينهما ترادف وترادفت الكلمات أي: وردت بمعنى واحد²، فالترادف هو التتابع في المفهوم اللغوي، وأما في المفهوم الاصطلاحي فهو تتابع الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار معنى واحدًا³، ولم يختلف تعريف المحدثين عن القدماء فقد حُدِّدَ إمِل يَعْقُوبُ أَنَّهُ: ((إطلاق عدّة كلمات على مدلول واحد، كالسيف والعُضْب والحسام والمهْنَد واليماني التي تعني مدلولاً واحداً))⁴ ومن هنا يتضح أنّ الترادف يقوم على مبدأ تعدّد الألفاظ واتحاد المعنى، وهو ما جعله من القضايا اللغوية التي ارتبطت بالفروق الدلالية؛ إذ إنّ القول بالترادف التام يثير التساؤل عن مدى إمكان تطابق الألفاظ في جميع سياقات استعمالها، ولا سيما في النص القرآني.

ثانياً : ظاهرة الترادف عند علماء العرب القدماء والمحدثين

اختلف علماء اللغة العربيّة في وقوع ظاهرة الترادف فانقسموا في ذلك إلى فريقين، فريق يُقرُّ بوقوعه وعلى رأسهم سيبويه (ت180هـ)⁵، وتابعه قطرب (ت206هـ)، وابن السكيت (ت244هـ)، والزّماي (ت384هـ)، وابن خالويه (ت370هـ)

¹ ينظر: ظاهرة الفروق اللغوية في العربية م.م ندى وهاب كاظم (مقالة منشورة على الانترنت) (تمت الزيارة في 2026/8/23) الموقع الالكتروني:

9810https://uomus.edu.iq/Department/Details/

² يُنظر: المعجم الوسيط: 339/1.

³ المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 435/1.

⁴ فصول في فقه اللغة العربيّة: 69.

⁵ الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت180هـ): 24/1.

، وابن جني (ت392هـ)¹، وفريق آخر لا يقرُّ بوقوعه ومنهم ابن الأعرابي (ت231هـ) وتابعه تلميذه ثعلب (ت291هـ) وأبو عليّ النحوي (ت377هـ) وابن فارس (ت395هـ) وأبو هلال العسكري (ت395هـ)².

وإذا انتقلنا للمحدثين فإننا نجد بينهم الخلاف نفسه الذي دار بين القدماء ألا أنَّ القضية أكثر تشعباً عند المحدثين وأشدُّ إثارةً للجدل لارتباطها بالمعنى من جهة، ومن جهة أخرى هو أنَّ مثبتى ظاهرة الترادف كانوا قد انقسموا على فريقين وهما : فريق وسَّع في مفهومه، ولم يقيّد حدوثه بأيّ قيود، وفريق آخر كان يقيّد حدوث الترادف ويضع له شروطاً تحدُّ من كثرة وقوعه في العربية³.

ثالثاً : دعوة القرآن الكريم في الكشف عن الفروق اللغوية :

أقرَّ كثير من علماء العربية، قديماً وحديثاً بأن ألفاظ القرآن الكريم قد اختيرت اختياراً دقيقاً لتؤدي معانيها على أتم وجه، وأن اختلاف اللفظ في السياق القرآني ليس اختلافاً عارضاً بل يرتبط باختلاف في الدلالة أو بخصوصية معنوية يقتضيها المقام ولذلك لا نجد ترادف فيه بل كل كلمة وضعت بمكانها المناسب لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء وللسياق له دور كبير في رد ظاهرة الترادف والبحث وراء المعاني الدقيقة للألفاظ المتقاربة في المعنى العام⁴ ونلتمس هذه الدعوة في قوله تعالى : { لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَتَقُولُوا نَنْظُرْنَا } [البقرة: 104] إذ نهي القرآن الكريم عن استعمال لفظ (راعنا) وأمر باستعمال (انظرنا) مع تقارب اللفظين في بعض وجوه الدلالة، وذلك لما يقتضيه المقام من اختيار اللفظ الذي يؤدي المعنى المقصود بوضوح، ويجنب ما قد يحمله اللفظ الآخر من دلالة غير مرادة ويكشف هذا المثال عن أثر السياق والمقام في توجيه الاختيار اللغوي، وأن اختلاف اللفظين يؤدي إلى اختلاف في الدلالة بحسب السياق الذي يرد فيه كل منهما، ومن الطريف ولا تقتصر هذه العناية على النص القرآني بل نجد لها نظيراً في الحديث النبوي الشريف فقد ورد أنَّ النبي أمر رجلاً من الأنصار فقال الرَّجُلُ: وَرَسُولُكَ الَّذِي أُرْسِلْتَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَبَيْتُكَ الَّذِي أُرْسِلْتَ) قَالُوا: أَفَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يُسَوَّغْ لِمَنْ عَلَّمَهُ الدُّعَاءَ مُحَالَفَةَ اللَّفْظِ وَقَالَ: (فَأَذَاهَا كَمَا سَيَعَهَا)⁵ وقد علّق ابن الأثير (ت606هـ) على هذا الحديث مبيّناً الحكمة من اختلاف اللفظين فقال : ((إِنَّمَا رَدَّ عَلَيْهِ لِيُخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ، وَيَجْمَعَ لَهُ الثَّنَاءَيْنِ، مَعْنَى النَّبُوءَةِ وَالرَّسَالَةِ، وَيَكُونُ تَعْدِيداً لِلنِّعْمَةِ فِي الْحَالَيْنِ، وَتَعْظِيماً لِلْمِنَّةِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ وَالرَّسُولِ أَخْصُ مِنَ النَّبِيِّ، لِأَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولاً))⁶ وعليه يتبين أن الكشف عن الفروق اللغوية لا يقوم على دراسة الألفاظ منفردة فحسب، وإنما يتطلب النظر في سياقات استعمالها داخل النص وملاحظة المقام الذي وردت فيه وتزداد أهمية ذلك في القرآن الكريم؛ إذ يسهم السياق في بيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة مع الكشف عن سر اختيار لفظ دون آخر بما يبرز دقة انتقاء المفردات في التعبير القرآني.

¹ يُنظر: الترادف في اللغة، حاكم مالك الزيادي: 196_197.

² يُنظر: المظهر في علوم اللغة وأنواعها: 314/1.

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 220.

⁴ ينظر: الاعجاز البياني بين النظرية والتطبيق: 222.

⁵ الجامع لأحكام القرآن : 413/1.

⁶ النهاية في غريب الحديث والأثر: 4/5.

المبحث الثاني : دور السياق في الكشف عن الفروق اللغوية وأثره في القرآن الكريم

يُعدّ السياق من أبرز العناصر التي تسهم في الكشف عن دلالات الألفاظ وتحديد الفروق اللغوية بينها؛ إذ لا تتحدد دلالة اللفظ بصورة دقيقة بمعزل عن السياق الذي يرد فيه، وإنما تتضح قيمته الدلالية من خلال علاقته بما يحيط به من ألفاظ وتراكيب ومقامات، ومن هذا المنطلق ارتبطت دراسة المعنى في الدرس اللغوي الحديث بما عُرف به نظرية السياق، والتي ترجع أصولها في صورتها الحديثة إلى العالم اللغوي الغربي فيرث بمقتضى هذه النظرية نجد المعنى يفسر على أنه وظيفة في السياق فمعنى الكلمة هو الذي يكمن ما وراءه الدور أو الطريقة التي تستعمل بها داخل النص لأنّ السياق هو الذي يحدد قيمتها ولا يمكن الكشف عنها إلا بطريق ورودها في سياق معين بضروبه المختلفة داخل التركيب أو التشكيل الذي ترد فيه¹، وإذا كان مفهوم السياق قد تبلور في الدرس اللغوي الحديث على نحو واضح، فإن أصوله ليست غريبة عن التراث العربي فقد عرفت الدراسات العربية القديمة مبادئ تقوم على مراعاة العلاقات بين الألفاظ والتراكيب وأحوال استعمالها، ولا سيما في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وهو من أئمة علماء اللغة العربية، وواضع أصول علم البلاغة إذ النظم عنده هو تعليق الكلم بعضها بعض وجعل بعضها بسبب من بعض²، وعلى هذا الأساس يتضح أن السياق يمثل عنصراً أساسياً في فهم الفروق اللغوية؛ لأن الألفاظ التي قد تتقارب في أصل معناها أو تشترك في بعض الدلالات لا تؤدي بالضرورة المعنى نفسه في جميع المواضع، وإنما قد يختار المتكلم لفظاً دون آخر تبعاً لما يقتضيه المقام والسياق.

أولاً : الفروق اللغوية بين الألفاظ المتصلة بالإنسان وعلاقاتها وصفاته

1_الصديق والصاحب:

الصديق اسم مشتق من الفعل الثلاثي صدق وهو في الأصل يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرُهُ³ والصدق في اللغة خلاف الكذب ويرد بمعانٍ مختلفة منها الصدق: هو الصلب من الرماح، ويقال: صدقوهم القتال والمعنى الثاني من الصدق: المستوي، والثالث الصديق: الملازم للصدق والرابع وهو الصدقة: ما تصدق به المرء⁴ ومن ثمّ يتضح أن مادة (صدق) تدور في أصلها حول معنى القوة والثبات والاستقامة، ثم تفرعت عنها دلالات متعددة بحسب السياق والاستعمال وقد وردت مادة (صدق) في الاستعمال القرآني بمعانٍ متعددة منها ما جاء في قوله: {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ} [يونس: 93] أي أنزلناهم منزلاً صالحاً، والمبوء: المنزل الملزوم وكل ما ينسب إلى الصلاح والخير يأتي مقروناً بالصدق، فيقال: رجل صدق وصديق، ودابة صدق⁵ ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ هُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} [يونس: 2] إذ فسرهما الأزهرى (ت370هـ) بالمنزلة الرفيعة قال: وقيل أن معناه: لهم سابقة في الخير أي؛ سبق لهم السعادة في الذكر الأول، ويقال: تفسير القدم في العربية الشيء تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه، وقيل: يعني عملاً صالحاً

¹ ينظر: علم الدلالة : 68.² ينظر: دلائل الإعجاز: 39.³ ينظر: مقاييس اللغة : 3/ 339.⁴ ينظر: مجمل اللغة لابن فارس: 553.⁵ ينظر: الغريبين في القرآن والحديث: 218/ 1.

قدموه وقيل : المراد بالصدق شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام¹ ومنه اشتق الصداقة والمصادقة: الميخالة يطلق على الرجل صديقاً والأُنثى صديقةً والجمع أصدقاء، وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديقاً² فالصداقة مصدر الصديق، والفعل منه : صادقه مصادقة واشتقاقه أنه صدقه المودة والنصيحة³ ومن هنا ارتبط لفظ الصديق في الاستعمال العربي بمعاني الصدق في المودة، والإخلاص، والنصيحة، والملازمة القائمة على المحبة والثقة منه ما جاء في قوله تعالى : {وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء: 101] وقد أشار ابن منظور إلى ذلك فقال: ((والصديق: المُبَالِغُ فِي الصَّدْقِ ... وَرَجُلٌ صَدَقَ: نَقِيضُ رَجُلٍ سَوَّءٍ))⁴ وبذلك تتضح خصوصية لفظ الصديق في كونه يدل على علاقة تقوم على الصدق والمودة والإخلاص، وليس مجرد المصاحبة أو الاجتماع.

أما الصاحب فهو اسم مشتق من الفعل الثلاثي صحب، على وزن فاعل، وتعود مادته في أصلها إلى معنى المقارنة والملازمة؛ إذ تدل على اقتران الشيء بالشيء ومقارنته. ومن هذا الأصل أخذ لفظ الصاحب، وجمعه الصحب، على نحو ما يقال: راكب وركب. ويقال: استصحبه إذا لازمه وصاحبه، ومنه أيضاً أصحب فلان إذا انقاد، وأصحب الرجل إذا بلغ ابنه. وعليه، فإن كل شيء لازم شيئاً ووافقه فقد استصحبه، مما يكشف عن ارتباط لفظ الصاحب في أصله اللغوي بمعاني الملازمة والمقارنة والاقتران⁵ وجاء في قوله تعالى : {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: 40] ، فجاء اللفظ للدلالة على الملازم والمعاشر، دون أن يتضمن اللفظ في ذاته معنى الصداقة القائمة على المحبة والإخلاص، ويُجمع (الصاحب) على: أصحاب، وصحاب، وصحابة، كما استعمل لفظ (الصاحب) في بعض الاستعمالات الاصطلاحية لقباً لبعض أهل العلم والكتابة، ومن ذلك إطلاقه على أرباب الأقلام، وقد عُرف بهذا اللقب الصاحب إسماعيل بن عباد⁶ والفرق بين الصديق والصاحب يتضح أن الصاحب يدل على المقارنة والملازمة والمعاشرة، دون أن تستلزم الصحبة المحبة والإخلاص ،وأما الصديق فتدل دلالته على الصدق في المودة والإخلاص والنصيحة، فهي أخص من مطلق الصحبة ، وقد عبّر القرآن بـ(صاحبه) للدلالة على الملازمة، وبـ(صديق حميم) للدلالة على شدة المودة والقرب ، ومن ثمّ يكشف اختلاف اللفظين عن دقة التعبير القرآني وأثر الفروق اللغوية في توجيه المعنى.

2_ العقل واللب:

والعقل لغةً هو ادراك الأشياء وما تتصف به من الحسن والقبح والكمال والنقصان أما (الألباب) فهو جمع اللب ، واللب هو العقل الخالص من الشوائب⁷ ،وقد عرف (اللب) عند المتصوفة فهو يُراد به النور القدسي الذي يستنير به العقل الإنساني، فتصفوا من الفتور والكسل وسائر ما يحجبه عن صفائه وإدراكه⁸، ومما سبق يتبين لنا أن أصحاب المعجمات لم يقفوا على الفروق الدقيقة بين معاني هذه الألفاظ إلا أبو هلال العسكري (ت 395هـ) الذي تنبّه إلى الفرق الدقيق بين هذه الألفاظ وما تحمله

¹ ينظر: الغريبين في القرآن والحديث: 5/ 1513.

² ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :: 4/ 1504.

³ ينظر: تهذيب اللغة: 8/ 277.

⁴ لسان العرب: 10/ 194.

⁵ ينظر: مقاييس اللغة : 3/ 335.

⁶ ينظر: : معجم متن اللغة: 3/ 421.

⁷ ينظر: الكليات: 617.

⁸ ينظر: مقاييس اللغة : 5/ 199.

كلّ لفظة من دلالة خاصّة تُميّزها عن الأخرى إذ أشار إلى الفرق بين العقل واللبّ أهو أن قولنا أنّ اللب يفيد أنّه من خالص صفات الموصوف به والعقل يفيد أنّه يحصر معلومات الموصوف به فهو مفارق له من هذا الوجه، ولباب الشّيء ولّبه أي ؛ خالصة ، ولما لم يجوز أن يوصف الله تعالى بمعانٍ بعضها أخلص من بعض لم يجوز أن يوصف باللبّ فكلّ لبّ له عقل وليس العكس ولهذا عَقِلَ أولو الألباب الأحكام التي لا تُدرك إلا بالعقول الذكيّة لأنهم يطلبون كل ما ظهر من آية أو حديث سرّه¹ جاء في التنزيل : { وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ } ويكشف هذا الاستعمال عن دقة الاختيار القرآني للفظ (الألباب) (ص: 29) إذ لم يرد التعبير بأولي العقول، لما يحمله اللبّ من دلالة على العقل الخالص الذي يتجاوز مجرد الإدراك إلى الفهم والتدبر والتذكر ، وعليه فإن الفرق بين العقل واللبّ يتمثل في أن العقل يدل على الإدراك والفهم، في حين يدل اللبّ على خالص العقل وصفائه ونقائه، وهو ما يضفي على التعبير القرآني دلالة أعمق تتناسب مع المقام الذي ورد فيه.

3_ الفؤاد والقلب:

لم يفرّق كثير من أصحاب كتب اللغة بين لفظي القلب والفؤاد تفريقاً دقيقاً إذ فُسِّر أحدهما بالآخر، ف(القلب) فُسِّر بأنّه مُضغّة من الفؤاد ومعنى الفؤاد: القلب، وقيل: وسطه، وقيل: الفؤاد غشاء القلب، والقلب مركزه² وعلى الرّغم من ترادفهما في المعنى إلا أنّ هناك عُمومًا وخصوصًا بينهما فالقلب أحص من الفؤاد من وجهه: هو أنّ الفؤاد غشاء القلب والقلب جُثته، والفؤاد أعم من وجهه آخر: هو أنّه يحمل معنى دلاليّ مميز، وهو معنى التّفؤّد، أي: التّوقّد والانفعال بدليل قوله تعالى: { وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا } [القصص: 10] وفيه قولان: أي أصبح فؤادها خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى ويقال: فارغا من الاهتمام بموسى، لأن الله وعدها أن يرده إليها³ ويتضح من هذا الاستعمال أن لفظ الفؤاد يرتبط بالحالة الشعورية والانفعالية الشديدة، ولا سيما ما يتصل بالقلق والتعلق والخوف والاضطراب النفسي وأما القلب فقد ورد في سياق مختلف جاء في قوله تعالى: { وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي } [البقرة: 260] أي ؛ لِيَسْكُنَ إلى قلبه الْمُعَانِيَةِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالْعَيْبِ فإذا نظر اطمأن قلبه⁴ وقد فُسِّر هذا الطلب بأنّه رغبة في زيادة اليقين، وقيل: أراد إبراهيم عليه السلام أن يعلم أن الله تعالى يجيبه إذا دعاه ويعطيه إذا سأله كما قيل: إن الغرض منه دفع ما قد يلقيه الشيطان من الشك، وذهب قتادة إلى أنه أراد الازدیاد یقیناً إلى يقينه⁵ والفرق بين الفؤاد والقلب يظهر في أن القلب يدل على موضع الإدراك والطمأنينة والاستقرار، في حين يرتبط الفؤاد بالحالة الشعورية المتقدمة والانفعال الشديد وقد جاء اختيار كل لفظ في السياق القرآني موافقاً للدلالة التي يقتضيهما المقام؛ فاستعمل الفؤاد في مقام شدة التعلق والانفعال في قصة أم موسى، واستعمل القلب في مقام الطمأنينة وزيادة اليقين في قصة إبراهيم عليه السلام مما يؤكد دقة التعبير القرآني وأثر الفروق اللغوية في توجيه المعنى.

¹ ينظر: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: 1/ 112.

² ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: 3/ 405.

³ ينظر: الغريبين في القرآن والحديث: 5/ 1439.

⁴ ينظر: لسان العرب : 13/ 267، ومعاني القرآن للأخفش : 1/ 199.

⁵ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 1/ 234.

4_ التفكير والتدبر:

التفكير مصدر على وزن (تفعّل) والمشتق من الفعل المضعف (فكّر) ويُراد به في اللغة التأمل وإعمال الفكر وإمعان النظر في الشيء، ومنه اشتُقَّت ألفاظ: الفكر والفكرة. ويقال: أفكر في الشيء، وفكّر فيه، وتفكّر، وهي ألفاظ متقاربة في الدلالة على إعمال الفكر والتأمل وقد ورد في اللغة المصدر (الفكر) بروايتين وهما بالفتح والكسر، والفتح أفصح من الكسر¹ ومنه اشتقت الفكرة وهو في الأصل ما دلّ على تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر ورجل فكير: كثير الفكر² وأما التدبّر فهو مشتق من الفعل تدبّر يقال: تدبّر في الأمر: تأمّله وتفكّر فيه على مهلّ، ونظر في عاقبته إلى حدّ جعله يغفل عن الأشياء الأخرى³ وقد أشار أبو هلال العسكري إلى الفرق الدقيق بين التفكير والتدبر إذ قال: ((أن التدبر تصرف القلب بالتّظنّ في العواقب والتفكير تصرف القلب بالتّظنّ في الدلائل))⁴ وبناءً على هذا التفريق، يكون التفكير متجهًا إلى النظر في الأدلة والشواهد للوصول إلى المعرفة في حين يتجه التدبر إلى النظر في العواقب واستكشاف ما وراء الظاهر من المعاني فيكون التدبر بالنظر فيه عبر الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه⁵ ويتضح هذا الفرق بصورة جلية في الاستعمال القرآني؛ فقد جاء التدبر في قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: 24] فجاء التعبير بالتدبر للدلالة على التعمق في معاني القرآن والنظر في مقاصده وما يترتب عليها من هداية وعبرة ولذلك ارتبط التدبر بالكشف عن معاني كلام الله تعالى وتفسيره، والرجوع إلى مصادره، وتعلم ذلك وتعليمه.

وأما التفكير جاء في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} [الروم: 8] فجاء التعبير بالتفكير لحثّ المكذّبين بالبعث على إعمال عقولهم في خلق أنفسهم، وما مرّوا به من أطوار، ليستدلوا بذلك على قدرة الله تعالى على إعادتهم بعد الموت، ومجازاتهم على أعمالهم بالعدل إذ لا يظلم أحدًا ولا يحرم عاملاً جزاء عمله فالله تعالى قادر على أن يعيدهم إلى الحياة بعد فنائهم، فيبعثهم خلقًا جديدًا، ثم يجازي كلّ واحدٍ منهم بما يستحق؛ فيكافئ المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، من غير أن يظلم أحدًا أو يؤاخذه بذنب غيره.⁶

5_ أهل وآل: أما الأهل في اللغة، فقد وردت هذه اللفظة بدلالات متعددة، ترجع في أصلها إلى معنى القرب والاختصاص. وقد بيّن ابن فارس أن مادة «أهل» تتضمن أكثر من دلالة، فالأهل يطلقون على زوجة الرجل، ويقال: تأهل إذا تزوّج، كما يطلق الأهل على أخصّ الناس بالرجل وأقربهم إليه، ويقال لأهل البيت مكانه، وأهل الإسلام هم الذين يدينون به⁷ يتضح أن لفظ

¹ ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 2/ 783.

² ينظر: مجمل اللغة لابن فارس: 704.

³ ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م: 1/ 720.

⁴ الفروق اللغوية: 75.

⁵ ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: 3/ 1.

⁶ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 20/ 77.

⁷ معجم مقاييس اللغة: 1/ 150.

الأهل يدل على القرب والاختصاص سواء أكان ذلك بسبب القرابة أم السكن أم الدين والانتفاء ومنه ما جاء في قوله تعالى : {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِيهِمْ} وقوله: (مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ) يعني: من أهل التوراة¹ وقيل : هم الَّذِينَ عَاوَنُوا الْأَحْزَابَ وَهُمْ : قُرَيْشًا وَعَظْفَانًا وَ بَنُو قُرَيْظَةَ² ويكشف هذا الاستعمال عن دلالة «الأهل» على الانتساب والاختصاص، سواء كان الانتساب إلى دين أو جماعة أو مكان.

وأما أصل آل عند بعض اللغويين أهل فأبدلت الهاء همزة، ثم أبدلت الهمزة ألفاً، ويؤيد ذلك تصغيره على أهيل وأختص لفظ (آل) في أشهر استعمالاته بالأشراف وأصحاب المكانة، فيقال: آل محمد ﷺ، وآل الله، ولا يقال عادة: آل الحياط أو آل الإسكاف³ وقد أشار الأخفش إلى ذلك تستعمل في الرئيس الأعظم أو صاحب مكانة رفيعة نحو آل محمد عليه السلام، وأهل محمد: أي أهل دينه وأتباعه؛ وآل فرعون: أي أتباعه في الضلالة قال: وقد سمعنا في البلدان، قالوا: أهل المدينة وآل المدينة ويقال: آل حم، يراد به السور المضافة إلى حم⁴ وأما آل فقد وردت في الاستعمال القرآني منه ما جاء في قوله : {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّيْنِ} [الأعراف: 130] وقد فسرت آل الذين هم ممن كانوا على منهجه وطريقته في الكفر بالله من قومه⁵ ومن ثم ارتبط لفظ (آل) في هذا السياق بالانتساب إلى شخص ومتابعته في منهجه وطريقته يتضح مما سبق أن الأهل أوسع دلالة من الآل؛ إذ يطلق على الزوجة، والأقارب، وسكان البيت، وأهل الدين، وأهل المكان، بحسب السياق. أما الآل فيغلب استعماله فيمن تربطهم بشخص رابطة خاصة، كالقرابة ويظهر أثر هذا الفرق في الاستعمال القرآني؛ فلفظ الأهل جاء للدلالة على الانتساب والاختصاص، كما في (أهل الكتاب) بينما جاء لفظ آل في مثل (آل فرعون) للدلالة على من ارتبط بفرعون وانتسب إليه واتبع منهجه.

6_ الجسم والبدن: جاء لفظ الجسم في اللغة للدلالة على ما يجمع البدن وأعضائه من الناس والإبل والدواب كما يطلق على ما عظم من الخلق الجسيم⁶ وأما البدن فيطلق على الجسد الذي لا روح فيه، وقيل: ((وَهُوَ شَخْصٌ شَيْءٌ دُونَ شَوَاهُ، وَشَوَاهُ أَطْرَافُهُ))⁷ إذ أَنَّ التعبير عن البدن بانقطاع الأطراف يُوحى بانقطاع الحياة وقد خصَّ الدكتور محمد محمد داود (البدن) بِالضَّخَامَةِ ، و (الجسم) بِالْحَيَاةِ وَالرُّوحِ وَالْجَمَالَ بِالنَّظَرِ إِلَى الاستعمال القرآني ومنه ما جاء في قوله تعالى : {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ} [يونس: 92] معناها: اليوم نلقي بدنك يا فرعون بعد إزهاق روحك من الغرق على الأرض ميتاً لتكون عبرة وآية لمن خلفك⁸ فالبدن يدل على عظم الجثة مع انقطاع الروح، في حين يدل الجسم على عظم الأجزاء والأعضاء في الأحياء، ولذلك اقترن لفظ الجسم في الاستعمال القرآني بالأحياء دون الأموات.

¹ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 20 / 243.

² ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: 14 / 161.

³ ينظر: الفائق في غريب الحديث والأثر: 1 / 67.

⁴ ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: 1 / 377.

⁵ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 13 / 85.

⁶ ينظر: العين: 6 / 60.

⁷ مقاييس اللغة: 1 / 211.

⁸ ينظر: دَرْجُ الدَّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ: 3 / 954.

والتَّمَسُّمُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ يَاسَ خَضِرُ الْفَرَقِ الدَّقِيقِ بَيْنَ (الْبَدَنِ، وَالْجِسْمِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَائِلًا: وَأَمَّا تَقَارُبُ الْبَدَنِ مَعَ الْجِسْمِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ عَظَمِ الْخَلْقِ فَيَفْتَرِقُ فِي مَعْنَى دَقِيقٍ، مِنْ حَيْثُ كَوْنُ الْبَدَنِ عَظَمِ الْجَنَّةِ بِأَجْمَعِهَا مَعَ انْقِطَاعِ الرُّوحِ، أَمَّا الْجِسْمُ فَهُوَ عَظَمُ الْأَجْزَاءِ وَالْأَعْضَاءِ مِنَ الْأَحْيَاءِ لِذَا اقْتَرَنَ الْجِسْمُ فِيمَا سَبَقَ مِنْهُمْ دُونَ الْأَمْوَاتِ وَبِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} أَيُ قَالَ لَهُمْ نَبِيِّهِمْ: إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَهُ مُلْكًا عَلَيْكُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَزَايَا الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ:

1_ الاستعداد الفطري الذي يُعَدُّ أساسًا في أهلية الإنسان للقيادة وحسن التصرف.

2_ سعة العلم والمعرفة بما يعينه على حسن التدبير، وإدراك مواطن القوة والضعف لدى الأمة، والقدرة على إدارة شؤونها.

3_ بسطة الجسم وكمال قواه المستلزمة لصحة الفكر فضلًا عن الشجاعة والقدرة على المدافعة والهيبة والوقار.

4_ التوفيق الإلهي المتمثل في تيسير الأسباب وتسخيرها له بما يعينه على أداء مهمته القيادية¹.

وعليه يتبين أن البدن يختص في هذا السياق بالدلالة على الجنة وعظمها مع إمكان انقطاع الروح عنها في حين يدل الجسم على الكيان الحي بما يتصف به من قوة وكمال ونشاط، وهو ما يكشف عن دقة الاختيار القرآني للفظ وأثر الفرق الدلالي في فهم النص القرآني.

ثانيًا : الفروق اللغوية بين الألفاظ المتصلة بالأحداث والمعاني والأحوال

1_ الغيث والمطر: يُستعمل لفظا الغيث والمطر في اللغة للدلالة على الماء النازل من السماء غير أن بينهما فرقًا دلاليًا يظهر من خلال الاستعمال والسياق القرآني فالغيث في اللغة وهو الماء المنزل من السماء كقولهم: جَادَتْكَ غَيْثٌ، وَهَذِهِ أَرْضٌ مَغِيثَةٌ وَمَغِيثَةٌ وَقَوْلُهُمْ: غَيْثًا، وَمَعْنَاهَا: أَصَابَنَا الْغَيْثُ² وأشار ابن الأثير إلى معانيه فقال: ((لَغَيْثٌ وَهُوَ الْمَطَرُ، وَ يُقَالُ: غَيْثَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَغِيثَةٌ، وَغَاتَ الْغَيْثُ الْأَرْضَ إِذَا أَصَابَهَا... وَمِنْ الْإِعَانَةِ بِمَعْنَى الْإِعَانَةِ: أَعْنَتْنَا))³، وقد ورد لفظ الغيث في القرآن الكريم في سياق الرحمة والفرج بعد الشدة، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ} [الشورى: 28] فالغيث المقصود به هو المطر⁴ كما استعملت مادة الغيث في بعض السياقات بمعانٍ مجازية، فيقال للفرس غيث كصيب وهو المتصف بالجري السريع فالعرب كثيرًا ما يُشَبِّهُونَ الْحَيْلَ بِالسَّابِحِ وَالْبَحْرِ وَالسَّيْلِ وَالسَّحَابِ وَنَحْوَهَا فِي سُرْعَتِهِ⁵.

أما المطر فهو اسم لما ينزل من السماء، يقال: فَوَاحِدَ الْأَمْطَارِ وَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تَمَطَرًا مَطَرًا، وَأَمَطَرَهَا اللَّهُ، وَقَدْ مُطَرْنَا⁶ وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمَطَرَ قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى الْغَيْثِ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ، فَإِنَّ اسْتِعْمَالَ الْقُرْآنِيِّ يَبْزُزُ اخْتِلَافًا دَلَالِيًا بَيْنَهُمَا؛ إِذْ يَكْثُرُ وَرُودُ «الْمَطَرِ» فِي سِيَاقَاتِ الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً} [الحجر: 74]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُمَّ إِنَّكَ كَانَ هَذَا هُوَ

¹ ينظر: تفسير المراغي: 2/ 214.

² ينظر: مقاييس اللغة: 4/ 403.

³ النهاية في غريب الحديث والأثر: 3/ 400.

⁴ ينظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: 5/ 656.

⁵ ينظر: تاج العروس: 5/ 318.

⁶ ينظر: الصحاح: 2/ 818.

الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} [الأنفال: 32] { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ } [الشعراء: 173]

ونستنتج أن الغيث والمطر يشتركان في أصل الدلالة على الماء النازل من السماء، إلا أن السياق القرآني يميز بينهما من جهة السياق؛ فالغيث يرتبط غالبًا بالرحمة والفرج والإغاثة، ولا سيما مجيئه بعد القنوط في حين يأتي المطر في مواضع متعددة للدلالة على العذاب وسوء العاقبة ولذلك فإن اختيار أحد اللفظين في القرآن الكريم ليس مجرد تنويع لغوي، وإنما يرتبط بالمعنى الذي يقتضيه السياق، وهو ما يكشف عن أثر الفروق اللغوية في فهم النص القرآني.

2_ النفي والطرْد والجحد : تتقارب ألفاظ النفي والطرْد والجحد في بعض جوانبها الدلالية، ولا سيما من حيث إفادة الإبعاد أو الإنكار، إلا أن لكل لفظ منها دلالة خاصة تميزه عن الآخر، ويظهر ذلك بوضوح من خلال أصل المادة اللغوية والاستعمال القرآني فالنفي في اللغة دالٌّ على إبعاد شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ وتعريفه مِنْهُ إذ يقال : نَفَيْتُ الشَّيْءَ أَنْفِيَهُ نَفْيًا وانتفى أي ابتعد¹ ومن هذا الأصل جاء استعماله في قوله تعالى: {أو ينفوا من الأرض} [المائدة: 33] أي ؛ طردوا يقال: نفيت فلانًا أي طردته نفياً ونفيت الدراهم نفاية رددتها وقد يكون معنويًا بنفي صفة أو أمر عن شيء² أما الطرد فهو الإبعاد يقال طردته فذهب وفلان أطردهُ السلطان، أي أمر بإخراجه من بلده³ والطرْد أخص من النفي من جهة أنه يتضمن إبعاد الشخص وإخراجه دفعًا أو قسرًا وقد ذكر ابن فارس أنَّ الطَّرْدُ: مُعَالَجَةُ أَخْذِ الصَّيْدِ وَالطَّرِيدَةُ: الصَّيْدُ⁴ وَقَالَ الزبيدي (ت1205هـ) نقلًا عن سيبويه (ت180هـ): ((طَرَّدْتُهُ فَذَهَبَ، لَا مُضَارِعَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ))⁵ وذكر الجوهري (ت393هـ) أنه لا يرد على زنة انْفَعَلَ وَلَا افْتَعَلَ إِلَّا فِي لَفْظٍ عَدَّهَا زِدْفَةً⁶ وكما أوضح ابن السكيت الفرق بين أَطْرَدْتُهُ إِذَا صَيَّرْتَهُ طَرِيدًا، وَطَرَّدْتُهُ إِذَا نَفَيْتَهُ عَنْكَ وَقُلْتَ لَهُ: اذْهَبْ عَنَّا ويتضح أن اختلاف الصيغة الصرفية بين الفعلين أدى إلى اختلاف دلالتهم⁷ ومن ثم يمكن القول إن النفي والطرْد يلتقيان في معنى الإبعاد، إلا أن النفي أوسع دلالة؛ فقد يكون مجرد إبعاد أو إخراج، في حين يشتمل الطرد على معنى الإبعاد المصحوب بالدفع والإقصاء، ولذلك يكون الطرد أقوى في الدلالة على إنهاء وجود المطرود في المكان وإبعاده عنه.

وأما الجحد فإنه يختلف عنهما من جهة الدلالة الأصلية؛ ما دلَّ على قِلَّةِ الْخَيْرِ يُقَالُ عَامٌ حَجْدٌ قَلِيلُ الْمَطَرِ وَرَجُلٌ حَجْدٌ فَقِيرٌ وغيره⁸ ثم استعمل الجحد في معنى إنكار الشيء مع العلم به أو تكذيبه، وهو ما يميزه عن النفي والطرْد؛ فالنفي يتعلق بإزالة الشيء أو الحكم بعدم ثبوته، والطرْد يتعلق بإبعاد الشخص وإخراجه، أما الجحد فيتعلق بإنكار الحق أو الحقيقة ورفض الاعتراف بها والفرق بينه وبين الجحد أنَّ النفي أعم من الجحد من حيث الدلالة؛ فإذا كان النافي صادقًا في نفيه عُذَّ كلامه نفيًا ولم يُسَمَّ

¹ ينظر: مقاييس اللغة: 456/5.

² ينظر: الغريبين في القرآن والحديث: 1874/6.

³ ينظر: مختار الصحاح: 189.

⁴ ينظر: مقاييس اللغة: 455/3.

⁵ تاج العروس من جواهر القاموس: 87/3.

⁶ ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 501/2.

⁷ ينظر: لسان العرب: 267/3.

⁸ ينظر: مقاييس اللغة: 425/1.

جحداً، أما إذا كان نفيه قائماً على الكذب، فإنه يُستَـسَيَّ جحداً ونفيّاً في آنٍ واحد وبذلك يكون كل جحدٍ نفيّاً، وليس كل نفيٍّ جحداً، مما يدل على وجود فرق دلالي بين المصطلحين رغم اشتراكهما في معنى الإنكار مما يؤكد الاستعمال القرآني منه ما جاء في قوله تعالى: {وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} مَعْنَاهُ: أَنْكَرُوا آيَاتِ رَبِّهِمْ بِالتَّكْذِيبِ وليس مجرد نفيها؛ لأن المقام مقام إنكار للحق بعد ظهوره¹.

ونستنتج أنه يمكن تحديد الفروق الدلالية بين الألفاظ الثلاثة على النحو الآتي: النفي يدل أساساً على الإبعاد أو نفي الثبوت، والطرْد يدل على الإبعاد القسري والإخراج، أما الجحد فيدل على إنكار الحق وتكذيبه ومن ثم فإن اختلاف هذه الألفاظ في الاستعمال القرآني يكشف عن دقة التعبير القرآني إذ يُختار كل لفظ بحسب المعنى المقصود والسياق الذي يرد فيه.

3_ النصيحة والوصية والإنذار:

النصيحة في اللغة هي الصَّدْقُ الْإِخْلَاصُ وَالْعَمَلُ وَالْمَشُورَةُ وَالْجُمُعُ نُصَحَاءٌ وَتَنْصَحُ أَي ؛ تَشَبَّهَ بِالنُّصَحَاءِ² من استعمالها في القرآن الكريم منه ما جاء في قوله تعالى: {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} [هود: 34] لِأَنَّ إِرَادَةَ الْإِغْوَاءِ مِنَ اللَّهِ مُقَدِّمٌ عَلَى إِرَادَةِ نَصْحِهِ، وَلِأَنَّ النَّصْحَ إِنَّمَا لَا يَنْفَعُ بَعْدَ إِرَادَةِ الْإِغْوَاءِ³، وتستعمل مادة (نصح) في باب المَحَازِ قَوْلُهُمْ: نَصَحَتِ الْإِبِلُ الشَّرْبَ تَنْصَحُ نُصُوحاً: صَدَقَتْهُ كَقَوْلِهِمْ: أَنْصَحَ الْإِبِلُ أَي ؛ أَرَوَاهَا⁴ وهذا الاستعمال يكشف عن ارتباط المادة بمعنى الإخلاص والصدق.

أما الوصية فهي ما يوصى به الإنسان بعد الموت والأفصح من كلام العرب أن يقال: أَوْصَى وَيَجُوزُ وَصَى⁵ وقيل: الْوَصِيُّ: النَّبَاتُ الْمُلْتَفُّ ومنه اشتق هذا المعنى فقيل لعلي عليه السلام أَنَّهُ وَصِيٌّ لِاتِّصَالِ نَسَبِهِ وَسَبَبِهِ وَنَمَتِهِ، وَإِذَا أَطَاعَ الْمَرْغُوعُ لِلْسَّائِمَةِ فَأَصَابَتْهُ رَغْدًا قِيلَ: وَصَى لَهَا الْمَرْغُوعُ يَصِي وَصِيًّا⁶ وقد وردت بمعنى العهد والتكليف والتشريع في القرآن الكريم منه قوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} [الشورى: 13] وفُسِّرَتِ الوصية في هذه الآية بأنه ما وَصَّى بِهِ نُوحًا قَبْلَ تَشْرِيعِ الْأَحْكَامِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ وَالتَّوْحِيدِ⁷، وأما الإنذار فهو في الأصل يَكُونُ فِي الشَّدَائِدِ وَالْفِتَنِ الَّتِي يُهْمِلُ النَّاسُ فِيهَا مَوَاشِيَهُمْ فَتَسْتَمَكُّ مِنْهَا السَّبَاعُ⁸، وقد التمس أبو هلال العسكري الفروق الدقيقة بين الإنذار والوصية إذ أشار إلى أَنَّ الْوَصِيَّةَ تَكُونُ مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَلِغَيْرِكَ تَقُولُ: أَوْصِيْتُ نَفْسِي كَمَا تَقُولُ أَوْصِيْتُ غَيْرِي وَلَا تَقُولُ أَنْذَرْتُ نَفْسِي لِأَنَّ

¹ ينظر: تفسير القرآن، أبو المظفر: 2/ 437.

² ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: 2/ 602.

³ ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: 532.

⁴ ينظر: تاج العروس: 7/ 177.

⁵ ينظر: العين: 7/ 178.

⁶ ينظر: تحذيب اللغة: 12/ 187.

⁷ ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 29.

⁸ لسان العرب: 8/ 148.

الإنذار لَا يكون بالزجر عن القبيح وَمَا يَعْتَقِدُ الْمُنْذِرُ قَبِيحٌ وَأَمَّا الْوَصِيَّةُ فَتَكُونُ بِالْحَسَنِ وَلَيْسَتْ الْوَصِيَّةُ نَقِيضَةُ الْبَشَارَةِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْذِرَهُ إِلَّا فِي مَا هُوَ قَبِيحٌ وَأَمَّا الْإِنْذَارُ فَهُوَ نَقِيضُ الْبَشَارَةِ¹.

يتضح مما سبق أن هذه الألفاظ، وإن اشتركت في معنى التوجيه والإرشاد، تختلف في المقصد والدلالة؛ فالنصيحة تقوم على إرادة الخير والإخلاص للمخاطب وإرشاده إلى ما فيه صلاحه، أما الوصية فتتضمن عهداً أو توجيهاً إلى أمر يُراد المحافظة عليه أو العمل به، في حين أن الإنذار يقوم على التحذير من أمر مكروه والتنبيه إلى عاقبته.

4_ الكذب ، والأفك ، والافتراء :

الكذب خلاف الصدق² فالكذب اسم مَوْضُوعٌ لِلْخَبَرِ الَّذِي لَا يَطَابِقُ الْحَقِيقَةَ وترجع مادته في أصلها اللغوي إلى معنى التقصير وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ كَذَبَ عَنْ قَرْنِهِ فِي الْحَرْبِ إِذَا تَرَكَ الْحَمْلَةَ عَلَيْهِ وَيَشْمَلُ الْكَذِبُ كُلَّ خَبَرٍ مُخَالَفٍ لِلْحَقِيقَةِ، سواء أكان قبيحاً قبيحاً شديداً أم لم يبلغ ذلك أما الإفك فهو نوع من الكذب الفاحش من القبح والشناعة في القول مثل الكذب على الله ورسوله أو على القرآن الكريم وغير ذلك مما يفحش قبحه³ وجاء في القرآن على هَذَا الْوَجْهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [الجاثية: 7]، وقال جل وعز: {مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى} [القصص: 36]، أي ؛ اختلق حديثاً كذباً⁴ وأما الافتراء فهو من الفعل (افترى)، ويدل في أصله على الاختلاق والاختراع؛ فالافتراء هو أن يختلق الإنسان كذباً وينسبه إلى غيره، وأصل المادة يدل على القطع، فكأن المفتري يقطع الكلام ويختلقه من عنده ثم ينسبه إلى غيره⁵ جاء في قوله تعالى : {افتري على الله كذباً} [سبأ: 8] وتجدد الإشارة إلى ما سبق أن الكذب أعم هذه الألفاظ دلالة؛ فهو يشمل كل خبر غير مطابق للحقيقة، في حين أن الإفك أخص منه، إذ يدل على الكذب الشديد القبح، و أما الافتراء فيتضمن معنى الاختلاق ونسبة الكذب إلى الغير، ولا سيما إذا كان المنسوب إليه الله تعالى، ومن ثم فإن اختلاف هذه الألفاظ في السياق القرآني يكشف عن دقة التعبير واختيار اللفظ الذي يتناسب مع طبيعة الكذب ودرجة قبحه وطريقة وقوعه.

5_ الضر والشر:

الضر في اللغة ضد النفع وله روايتين وهما بالفتح والضم فما كان بالضر فهو الهزال وسوء الحال، وما كان بالضر فهو النقصان جاء في قوله جل وعز: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ} (يونس: 12) ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : {كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ} (يونس: 12) كل ما كان من سوء حال وفقر، في بدن، فهو ضر، وما كان ضداً للنفع فهو ضر، وأما الضر بكسر الضاد فهو أن يتزوج الرجل امرأة على ضره، فيقال: فلان صاحب ضر⁶، وأما الشر فهو سوء الذي يلحق الإنسان⁷ وقيل:

¹ ينظر: الفروق اللغوية : 242.

² ينظر: مقاييس اللغة : 168 / 5.

³ ينظر: الفروق اللغوية: 45.

⁴ ينظر: كتاب الألفاظ: 175.

⁵ ينظر: الفروق اللغوية: 47.

⁶ تهذيب اللغة : 314 / 11.

⁷ ينظر: العين : 217 / 6.

عبارة عن عدم ملائمة الشيء الطبع¹ واختلف الضرر عن الشر من جهة الدلالة؛ فالضرر يتعلق بما يلحق الإنسان من أذى أو مشقة سواء أكان واقعاً عليه من غيره أم أدخله على نفسه، ومن ذلك السقم وعذاب جهنم فهما ضرر من حيث ما يلحق الإنسان من أذى أو فعل سوء، وقد يوصفان بالشر من جهة العقوبة أو الأثر السقم وعذاب جهنم شرٌّ على الحقيقة، وإن لم يُسمَّ فاعلهما شريراً؛ لأن الشرير هو المنهمك في فعل الشر القبيح، وليس كل شرٍّ قبيحاً كما أن من شرب الشراب لا يُسمَّى (شريباً) إلا إذا أكثر من شربه أو اعتاده وعلى هذا فالشر عنده نوعان: حسن وقبيح؛ فالسقم وعذاب جهنم من الشر الذي تترتب عليه غاية أو عقوبة، وأما الظلم وما شابهه فهو من الشر القبيح².

الخاتمة

خلص البحث إلى أن الفروق اللغوية تمثل مبحثاً مهماً في الدراسات القرآنية والدلالية؛ لما لها من أثر مباشر في الكشف عن خصوصية الألفاظ ودقة استعمالها في القرآن الكريم. وقد أظهرت النماذج المدروسة أن الألفاظ المتقاربة قد تشترك في أصل دلالي واحد لكنها تختلف في بعض الخصائص والملامح التي تمنح كل لفظ منها خصوصيته كما تبين أن السياق القرآني هو العامل الحاسم في إبراز كثير من هذه الفروق؛ فاختيار الغيث بدل المطر، و الصديق بدل الصاحب، و التدبر بدل التفكير وغيرها من الاختيارات، يكشف عن دقة التعبير القرآني ومناسبته للمقام وعليه، فإن دراسة الفروق اللغوية لا تمثل ترفاً لغوياً أو بحثاً في الفروق الشكلية بين الألفاظ، وإنما هي وسيلة أساسية لفهم النص القرآني عبر الكشف عن دلالاته اللغوية الدقيقة فضلاً عما تسهم به في إبراز جانب من جوانب إعجازه البياني ومن ثم فإن العناية بهذا المبحث، وربطه بالسياق القرآني والتفسير تفتح مجالاً واسعاً لدراسات لغوية ودلالية أكثر عمقاً في ألفاظ القرآن الكريم.

نتائج البحث

توصل البحث إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

1. أن الألفاظ المتقاربة في اللغة العربية لا تعني بالضرورة الترادف التام، إذ قد يشترك اللفظان في أصل المعنى ويختلفان في بعض الخصائص الدلالية.
2. أن القرآن الكريم اختار ألفاظه اختياراً دقيقاً يتناسب مع السياق والمقام، ولذلك فإن اختلاف اللفظ يؤدي في كثير من المواضع إلى اختلاف في جانب من جوانب المعنى.
3. ظهر من خلال دراسة الغيث والمطر أن الغيث يرتبط في السياق القرآني بالرحمة والفرج والإغاثة في حين يرد المطر في مواضع متعددة في سياق العذاب والعقوبة.
4. تبين في الفرق بين الصديق والصاحب أن الصاحب يدل على المقارنة والملازمة والمعاشرة، في حين تتضمن الصداقة معنى أخص يقوم على المودة والصدق والإخلاص.

¹ ينظر: التعريفات: 127.

² ينظر: الفروق اللغوية : 328.

5. أظهرت الدراسة أن اللب أحص من العقل؛ فالعقل يدل على الإدراك والفهم، أما اللب فيدل على العقل الخالص الصافي من الشوائب.
6. اتضح أن الفؤاد والقلب وإن اشتركا في الدلالة على الجانب الباطني للإنسان، فإن السياق القرآني يوجه كل لفظ منهما إلى دلالة تناسب المقام، ولا سيما ما يتصل بالتوقد والانفعال والطمأنينة.
7. تبين أن النفي والطرود والجدد ليست ألفاظاً مترادفة؛ فالنفي يدل على الإبعاد أو إزالة الشيء، والطرود يتضمن معنى الإبعاد والإخراج، أما الجدد فيرتبط بإنكار ما ثبت مع العلم به، ولذلك كان أحص من مطلق النفي.
8. ظهر أن النصيحة والوصية والإنذار تختلف من جهة المقصد؛ فالنصيحة تقوم على إرادة الخير والإخلاص، والوصية تتضمن توجيهاً وإلزاماً بما فيه مصلحة، أما الإنذار فيرتبط بالتحذير من أمر مكروه أو عاقبة سيئة.
9. كشفت الدراسة أن أهل وآل يشتركان في الدلالة على القرب والانتماء، إلا أن الاستعمال يخص كلاً منهما بسياقات معينة، ولا سيما في الاستعمال القرآني.
10. تبين أن الكذب والإفك والافتراء تتفاوت في الدلالة؛ فالكذب أعم، والإفك يدل على الكذب الشديد القبح، أما الافتراء فيتضمن معنى الاختلاق ونسبة الكذب إلى الغير.
11. أظهرت الدراسة أن التفكير والتدبر متقاربان لكن بينهما فرق دقيق؛ فالتفكير يكون بالنظر في الدلائل والأسباب، بينما يتجه التدبر إلى النظر في العواقب والمآلات.
12. اتضح أن الجسم والبدن وإن اشتركا في الدلالة على الجثة، فإن السياق القرآني يميز بينهما بحسب المقام والسياق.
13. أكدت الدراسة أن السياق القرآني يمثل عنصراً أساسياً في تحديد الفروق الدلالية، ولا يمكن الوقوف على خصوصية اللفظ بمعزل عن السياق الذي ورد فيه.
14. إن معرفة الفروق اللغوية تسهم في تجنب التفسير القائم على الترادف المطلق، وتساعد على الوصول إلى معنى أكثر دقة وانسجاماً مع السياق.
15. تكشف الفروق اللغوية عن جانب مهم من الإعجاز البياني للقرآن الكريم؛ إذ لا يأتي اختيار المفردة القرآنية اعتباطاً، بل يرتبط بدقة بالمعنى والمقام.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق، حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1970م.
2. الترادف في اللغة، حاكم مالك الزيادي، دار الحرية، العراق، الطبعة الأولى، 1980م.
3. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.

4. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.
5. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310هـ)، توزيع: دار التريبة والتراث، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.
6. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي صالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1388هـ.
7. دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري (ت ق 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.
8. دَرْجُ الدُّرِّ في تفسير الآي والسُّور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصيل، الجرجاني الدار (ت 471هـ)، دراسة وتحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين، وشاركه في بقية الأجزاء إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م.
9. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، د.ط، د.ت.
10. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت 573هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإيراني، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.
11. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407هـ - 1987م.
12. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
13. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1998م.
14. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت 401هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعته: أ.د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.
15. الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.
16. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ)، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.

17. فصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ - 1999م.
18. كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني)، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، 1998م.
19. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م.
20. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القرعبي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
21. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
22. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م.
23. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي القتي الكجراتي (ت 986هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، 1387هـ - 1967م.
24. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
25. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ - 1999م.
26. معاني القرآن، أبو الحسن المجلشي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.
27. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م.
28. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
29. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، د.ط، د.ت.
30. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
31. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م.

32. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

33. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

34. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.

35. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1419هـ.

36. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365هـ - 1946م.

37. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

ثانيًا: البحوث والمقالات

38. ظاهرة الفروق اللغوية في العربية، م.م. ندى وهاب كاظم، مقالة منشورة على الإنترنت.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية

39. جامعة أم المعارف للعلوم الإسلامية، «ظاهرة الفروق اللغوية في العربية، الموقع الإلكتروني:

<https://uomus.edu.iq/Department/Details/9810>

الصلح في الشريعة الإسلامية: دراسة تأصيلية في مشروعيته وأحكامه

م. م احمد عبد الشهيد ياسين علي العيسى

ahmadalissa2024@gmail.com

مديرية تربية النجف الأشرف

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

الصلح في الشريعة الإسلامية: دراسة تأصيلية في مشروعياته وأحكامه

م. م احمد عبد الشهيد ياسين علي العيسى

ahmadalissa2024@gmail.com

مديرية تربية النجف الأشرف

الملخص

يُعَدُّ الصلح في الإسلام من القيم الأساسية التي تسهم في تحقيق الاستقرار وإزالة أسباب النزاع بين الأفراد والجماعات. وقد أولى التشريع الإسلامي اهتماماً كبيراً بالإصلاح بين الناس، وجعله وسيلةً لحفظ الحقوق ونشر المودة والتسامح، قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: 128). فالصلح لا يقتصر على إنهاء الخصومات، بل يمثل منهجاً أخلاقياً واجتماعياً يقوم على العدل، ورفع الظلم، واحترام كرامة الإنسان. كما أن السنة النبوية أكدت أهمية الإصلاح وجعلته من الأعمال التي تقوي الروابط الاجتماعية وتحقق الأمن المجتمعي. ومن هذا المنطلق، يظهر أن الصلح في الإسلام ليس مجرد إجراء لحل الخلافات، بل قيمة حضارية تهدف إلى بناء مجتمع متعاون تسوده الرحمة والإنصاف.

الكلمات المفتاحية: الصلح، الإصلاح، العدالة، السلم.

Abstract

Reconciliation in Islam is one of the essential values that contributes to achieving stability and resolving conflicts among individuals and communities. Islamic teachings emphasize reconciliation as a means of preserving rights, promoting tolerance, and strengthening social harmony. The Qur'an states: "Reconciliation is best" (Qur'an 4:128). Reconciliation is not limited to ending disputes; rather, it represents an ethical and social approach based on justice, preventing injustice, and respecting human dignity. The Prophetic tradition also highlights the importance of making peace and considers it a virtuous act that strengthens social bonds and promotes security. Therefore, reconciliation in Islam is not merely a method for settling conflicts but a civilizational value aimed at building a cooperative society founded on mercy and fairness.

Keywords :Reconciliation, Reform, Justice, Peace.

المقدمة

الحمد لله الذي أمر عباده بإصلاح ذات بينهم، وجعل في الصلح خيراً مطلقاً، فقال تعالى: "والصلح خير"، والصلاة والسلام على من أرسله مصلحاً لعباده ونبياً من الصالحين، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الصادقين، الذين تمسكوا بحبل الله وكانوا بنعمته إخوة.

أما بعد:

فإن مما حفزني على دراسة موضوع الصلح أمورٌ كثيرة، منها:

أمر الله تعالى المتكرر في القرآن الكريم بالصلح، ووصفه بالخيرية المطلقة، ووعدته بالأجر العظيم لمن يقوم به بين الناس، فضلا عن قلة الدراسات المستقلة التي تُعنى بموضوع الصلح على ضوء القرآن الكريم، على الرغم من أهميته البالغة، كذلك ارتباط موضوع الصلح الوثيق بحياة الفرد والجماعة، ودوره الكبير في تحقيق الأمن والوحدة والقوة للأمة المسلمة، وكذلك الحاجة الماسة لموضوع الصلح في ظل ما نشهده من كثرة الخلافات والنزاعات في المجتمعات المسلمة، وأيضا ما آل إليه حال بعض الدول الغنية والعريقة من هدم بسبب الخلافات، وما نتج عن ذلك من تفكك وتشتت وضياع للأرواح والأعراض.

أهداف البحث:

نشر ثقافة الصلح والوئام بين الناس، وتكثير سواد المصلحين، ومحاربة الاختلاف والتباغض والتقاطع بين المؤمنين، وإحياء قيم المروءة وهدي الأنبياء، وكذلك إبراز دور الصلح في فض النزاعات، وبيان أنه لا يقل أهمية عن دور القضاء بل قد يزيد عليه أحيانا.

منهج البحث:

جمع الأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تُثبت فضل الصلح وأهميته، ودراسة أقوال أهل العلم في موضوع الصلح، واستنباط الأحكام الشرعية منه، كذلك عرض نماذج عملية من الصلح في التاريخ الإسلامي، فضلا عن تحليل واقع المجتمعات المسلمة فيما يتعلق بالصلح، وبيان التحديات التي تواجهه، وكذلك اقتراح الحلول والآليات لنشر ثقافة الصلح وتعزيز تطبيقه في المجتمع.

فان الصلح قيمة إسلامية عظيمة تُساهم في تحقيق الأمن والسعادة والاستقرار في المجتمعات، ونشر ثقافة الصلح مسؤولية تقع على عاتق الجميع، أفرادا ومؤسسات، حكاما ومحكومين، وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث المسلمين، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

1-دراسة: الصلح وأحكامه: دراسة فقهية تأصيلية: عبدالرزاق عبدالرحمن إسماعيل الجامعة: جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - معهد العلوم والبحوث الإسلامية

السنة: 2017 الدرجة: رسالة ماجستير موضوع الدراسة: تناولت أحكام الصلح في الفقه الإسلامي، وأثره في تحقيق الأمن والاستقرار، وربطت بين الصلح وإصلاح ذات البين في الكتاب والسنة.

2-دراسة: الصلح ودوره في استقرار الأسرة: دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الباحث: بن عوالي علي الجامعة: جامعة وهران 1 أحمد بن بلة - الجزائر السنة: 2012 الدرجة: رسالة ماجستير موضوع الدراسة: بحث مفهوم الصلح في الشريعة الإسلامية ودوره في حل النزاعات الأسرية وتحقيق الاستقرار العائلي.

3-دراسة: نظرية الصلح الجنائي في الإسلام: دراسة فقهية مقارنة الباحث: عبد الله أقطش الجامعة: جامعة النجاح الوطنية السنة: 2022 الدرجة: رسالة ماجستير موضوع الدراسة: تناولت مشروعية الصلح الجنائي في الشريعة الإسلامية، وأثره في حفظ الحقوق وحقق الدماء.

التعقيب على الدراسات السابقة:

يتضح من الدراسات السابقة أن الصلح في الإسلام عولج من زوايا متعددة؛ منها الفقهية والاجتماعية والأسرية والجنائية، وأنها اتفقت على أن الصلح وسيلة شرعية لتحقيق السلم وحفظ الحقوق، بينما تركز الدراسة الحالية على البعد الأخلاقي والقيمي للصلح في النصوص الإسلامية.

المبحث الاول

الصلح أهميته وحكمه

المطلب الاول: مفهوم الصلح في اللغة والاصطلاح

لغة :-

من صلح يصلح ويصلح صلاحاً وصلوحاً زال عنه الفساد، والصلاح ضد الفساد، والاصلاح نقيض الافساد واصلح الشيء بعد فساده أقامه¹.

والصلح: انتهاء الخصومة، وتصلح القوم بينهم، والصلح السلم، وهي المسالمة بعد المنازعة².

قال الاصفهاني: "والصلح يختص بإزالة النفاذ بين الناس، يقال منه اصطلحوا وتصلحوا"³

فالصلح في اللغة في معناه الخاص: ازالة الشقاق، وانهاء الخصومات، ووقف العداءات، واحلال المودة، والوثام، والسلام.

اما في معناه العام فهو يعني: ازالة الفساد واحلال الخير والصلاح عموماً. اصطلاحاً :-

عندما نبين معنى الصلح في الاصطلاح الشرعي يجد الحديث ان العلماء قد اخذوا معناه في اللغة وفق ما هدى اليه القرآن

الكريم من معنى، فقد عرفه الطبري في تفسير قوله تعالى "أو اصلح بين الناس"⁴

بانه: الاصلاح بين المتباينين او المختصمين بما اباح الله الاصلاح بينهما، ليتراجعا الى ما فيه اللفة واجتماع الكلمة على ما اذن الله وامر به.⁵

ويذهب اللوسي في تعريفه الى ان المراد بالصلح هو "الاصلاح بين الناس: التأليف بينهم بالمودة اذا تفاسدوا من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف"⁶

وفي عرّف الفقهاء الصلح بقولهم: عقد شرعي للتراضي والتسالم بين شخصين في أمر: من تمليك عين أو منفعة أو إسقاط دين أو حق أو غير ذلك مجاناً، أو بعوض،⁷

فالأمر بالصلح هنا قبل وقوع النزاع بل بمجرد الخوف من حدوث اسبابه "المصالح: هو المباشر لعقد الصلح. والمصالح عنه: هو الشيء المتنازع عليه او المصالح به" وعرفوه أيضا بقولهم: هو التوافق والتسالم بين طرفين أو أكثر على إيجاد أمر بينهما، كتمليك عين من أحد الطرفين للطرف الآخر بعوض أو بغير عوض، أو تمليك منفعة كذلك أو نقل حق، أو إسقاط حق ثابت أو محتمل الثبوت، أو إبراء من دين ثابت أو محتمل الثبوت، ونحو ذلك.⁸

¹ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3 ص 303

² ابن منظور، لسان العرب، ج 2 ص 516 - 517

³ الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج 1 ص 285

⁴ النساء / 114

⁵ الطبري، تفسير الطبري، ج 5 ص 276

⁶ اللوسي، روح المعاني، ج 5 ص 145

⁷ الخوئي، منهاج الصالحين، ج 2، ص 192

⁸ البحراني، كلمة التقوى، ج 4، ص 195.

وملخص القول في الصلح هو: طل ما يوفق به بين الناس، ويتحقق به رفع النزاع، أو وقف القتال، أو قطع الخصومة الواقعة أو المحتملة، سواء كان في الدماء، أو الاموال، أو الاعراض، أو الاديان، كما قال الله عز وجل: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا".¹

المطلب الثاني : فضل الصلح وأهميته

الصلح بين الناس، وخاصة بين المؤمنين، هو من أعظم الأعمال الصالحة التي حثَّ عليها الله تعالى وأمر بها، الصلاح ضد الفساد²، وقد رتب الله تعالى على القيام به فضائل جمة، بينما يترتب على تركه مفسدات عظيمة.

أهمية الصلح:

أولاً: الأمر الإلهي:

تكرار كلمة "الصلح" في القرآن الكريم: وردت كلمة "الصلح" في القرآن الكريم في أكثر من موضع، مما يدل على أهميته العظيمة، فقد أمر الله تعالى المؤمنين بإصلاح ذات بينهم بصورة دائمة تحافظ عليهم كجماعة متألّفة ومتحابّة ومتعاونة، وقد وجاء الأمر في أربع مواضع: ثلاثة منها في سورة الحجرات، وواحدة في سورة الأنفال.

وللتأكيد على أهمية الصلح، فإنه لا يأمر الله تعالى عباده إلا بما فيه صلاحهم، ولو جاء الأمر في موضع واحد لكان كافياً، فكيف إذا تكرر الأمر والترغيب فيه؟ ومن أمثلة من آيات القرآن الكريم قال تعالى: "فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم"³، وقال تعالى: "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما"⁴، كما قال تعالى: "ولا تسبوا في الأرض مفسدين"⁵. صحيح حفص بن البخاري: الصلح جائز بين الناس⁶

وفي تفسير بعض الآيات، "فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم"، يقول السعدي رحمه الله: "أي اصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابير بالتواد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويؤول ما يحصل - بسبب التقاطع - من التخاصم والتشاجر والتنازع، كما ويدخل في اصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم، فإنه - بذلك - يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابير". صحيح الحلبي: الرجل يكون عليه الشيء فيصالح؟ فقال: إذا كان بطيب نفس من صاحبه فلا بأس⁷ كمال وان قوله تعالى: "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما"⁸، فإن الله تعالى يأمر المؤمنين إذا وقع بينهم خلاف أو نزاع أن يسعوا للإصلاح بينهم، وأن لا يتركوا الأمر يتفاقم ويؤدي إلى القتال.

ثانياً: وحدة الأمة:

المؤمنون إخوة: يقول الله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة"⁹، فالمؤمنون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وإذا وقع خلاف بين اثنين من المؤمنين، فإن ذلك يؤثر على وحدة الأمة وتماسكها. كما ان الصلح يحقق وحدة

¹ آل عمران / 103

² الصدر، ما رواء الفقه، ج 5، ص 111.

³ الحجرات / 9

⁴ الحجرات / 10

⁵ الأنفال / 26

⁶ الكليني، الكافي، ج 5، ص 259.

⁷ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 13، ص 166

⁸ الحجرات / 9

⁹ الحجرات / 10

الأمة، ويسعى إلى جمع كلمة المؤمنين وتوحيد صفوفهم، وإزالة ما بينهم من الشحناء والبغضاء، وذلك من خلال التسامح والعفو، التنازل عن بعض الحقوق، البحث عن حلول وسط ترضي جميع الأطراف، الصلح يمنع الفتنة، وإن الفتنة هي نارٌ تأكل الأخضر واليابس، وهي من أخطر الأمور التي يمكن أن تصيب الأمة، وإن الصلح هو الوقاية خير من العلاج، فهو يُطفئ نار الفتنة قبل أن تستعر.

ثالثاً: تحقيق الأمن والاستقرار:

الصلح يُسعد المجتمع، وينشر السعادة والاطمئنان بين الناس، ويُساهم في تحقيق الأمن والاستقرار، فإذا عاش الناس في سلام وأمان، انشغلوا ببناء حياتهم وتحقيق آمالهم وطموحاتهم، كما أنه من المؤكد فإن الصلح يُقوي الأمة، وإن الأمة القوية هي الأمة المتماسكة الموحدة، والتي تسعى لحل خلافاتها ونزاعاتها سلمياً، كما أنه أحد أهم الأدوات التي تُساعد على تحقيق ذلك، وعليه، وفي ضوء ما سبق، يتضح لنا أن الصلح بين الناس، وخاصة بين المؤمنين، هو من أهم الأعمال الصالحة التي لها فضائل جمة. وقد ورد في سبب نزول هذه الآية ما جاء عن انس بن مالك قال: قيل للنبي صلى الله عليه وآله لو أتيت عبد الله بن أبي، قال: فانطلق اليه وركب حماراً، وانطلق المسلمون يمشون معه - وهي أرض سبخة - فلما أتاه النبي صلى الله عليه وآله قال: اليك عني فو الله لقد آذاني نتن حمارك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه، قال: فغضب لكل واحد منها أصحابه، قال فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال، قال النبي صلى الله عليه وآله : الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً.¹

وهذا متضمن لنهي المؤمنين عن أن يبغى بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً، وأنه إذا اقتتل طائفتان من المؤمنين يتلافوا هذا الشر الكبير بالإصلاح بينهم والتوسط على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطرق الموصلة إلى ذلك فإن صلحتا فيها ونعمت فإن بغت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله أي ترجع إلى ما حد الله ورسوله من فعل الخير وترك الشر الذي من اعظمه الاقتتال عن أبي عبد الله عليه السلام " الصلح جائز بين المسلمين "2. وقوله تعالى: " إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخوتكم واتقوا الله لعلكم ترحمون "3

هذا تقرير لما ألزمه من تولى الإصلاح بين ما وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق: ما إن لم يفضل الأخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين اثنين من أخوة الولادة لزم السائر أن يتناهما في رفعه وإزاحته ويركبوا الصعب والذلّول مشياً بالصلح وبثأً للسفراء بينهما إلى أن يصادف ما وهي من الوفاق من يرقعه، وما استشن من الوصال من يبله فالأخوة في الدين أحق بذلك وبأشد منه. ... فإن قلت: فلم خص الاثنين بالذكر دون الجمع؟ قلت: لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فإذا لزم المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر الزم، لأن الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرئ بين أخوتكم وأخوانكم، والمعنى ليس المؤمنون إلا أخوة وأنهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الأجنبية، وأبى لطف حالهم في التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك أن وقع واحسموه، واتقوا

¹ الدروس - الشهيد الأول - ج 3 ص 327

² وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج 18 ص 443

³ الحجرات 10/

الله فإنكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمصارعة الى اماطة ما يفرط منه وكان فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقاً بان تعقدوا به رجاءكم.¹

بل رغب الله المؤمنين في الصلح قبل وقوع ما كان مخوفاً من حدوثه قال تعالى: "فمن خاف من موص جناً او اثماً فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم".²

قال ابن جرير الطبري: "فخوف الجنف والاثم من الموصي انما هو كائن قبل وقوع الجنف والاثم فيما بعد وجوده منه فلا وجه للخوف منه بان يجنف او يأثم بل تلك حال من قد جنف، او اثم.... فان اشكل ما قلنا من ذلك على بعض الناس فقال فما وجه الاصلاح حينئذٍ والاصلاح انما يكون بين المختلفين في الشيء، قيل ان ذلك وان كان من معاني الاصلاح فمن الاصلاح: الاصلاح بين الفريقين فيما كان مخوفاً حدوث الاختلاف بينهم فيه بما يؤمن معه حدوث الاختلاف لان الاصلاح انما هو الفعل الذي يكون معه اصلاح ذات البين فسواء كان ذلك الفعل الذي يكون معه اصلاح ذات البين قبل وقوع الاختلاف او بعد وقوعه"³، خاصة والنفوس لم تتباعد بعد، ولم يتوسع الخلاف

ثانياً: تولى النبي صلى الله عليه وآله الأمر الصلح بنفسه :-

يُعدّ الصلح من أهمّ القيم والمبادئ في الإسلام، فهو أساس لحفظ الوحدة والتآخي بين المسلمين، ونبذ الخلافات والنزاعات. وقد حرص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على التأكيد على أهمية الصلح من خلال أقواله وأفعاله، فكان خير قدوة للمسلمين في هذا المجال عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما عمل امرؤ عملاً بعد إقامة الفرائض خيراً من إصلاح بين الناس، يقول: خيراً، وينمي خيراً⁴، وقول الله تعالى: "لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او إصلاح بين الناس"⁵

وخروج الامام الى المواضيع ليصلح بين الناس بإصحابه، واورد في ذلك احاديث عدة منها عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابي عبد الله عليه السلام قال: المصلح ليس بكاذب.⁶

وكذلك عن الحسين بن سعيد عن صفوان وفضاله عن ابي جعفر عليه السلام وصفوان عن منظور بن حازم عن ابي عبد الله عليه السلام انهما قالوا في رجلين كان لكل واحد منهما طعام عند صاحبه ولا يدري كل واحد منهم كم عند صاحبه فقال كل واحد منهما يصاحبه لك ما عندك ولي ما عندي فقال: لا بأس في ذلك اذا تراضيا، وقال منصور في حديثه: وطابت به انفسنا⁷.

وفي رواية أخرى قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم⁸ فوجد في مبادرة النبي صلى الله عليه وآله بمجرد سماع خبر النزاع للصلح بينهم، وعدم انتظارهم حتى يأتوا اليه ليصلح بينهم، أو يفصل بينهم بالحكم، وحث اصحابه على المشاركة معه يدل على فضل الصلح ومنزلته، والترغيب في القيام به بين الناس وانه من الامور التي ينبغي ان يعتني بها الامام.

¹ الزمخشري، الكشاف، 368/4 - 369

² البقرة / 182

³ الطبري، جامع البيان، 126/2

⁴ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٣ ص ٤٣

⁵ النساء / 114

⁶ الكليني، اصول الكافي، 568/2

⁷ الطوسي، تهذيب الاحكام، 206/6

⁸ الأمالي - الشيخ الطوسي ص ٥٢٢

ثالثاً: الصلح يقي من مهلكات التنازع :-

قد جاء التأكيد على الصلح في القرآن الكريم من خلال الأدلة الكثيرة التي تبين عواقب نقيضة وهو الاختلاف والتنازع، قال تعالى: "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم" ¹ (1)، عندما وصل المفسر في تفسير هذه الآية "ولا تنازعوا فتفشلوا" حيث وجد التنازع والفرقة امام الاعداء يؤدي الى الضعف وخور العزيمة والفتور وهي ذهاب هبة المسلمين وقوتهم. و "الريح" في الآية تُشير إلى هبة المسلمين وقوتهم، وأنّ التنازع يُضعفها ويُفقد هبتها، يُضرب مثالاً على ذلك بقوة الريح في دفع السفن إلى مقاصدها، فإذا ضعفت الريح أو انعدمت، فقد تفشل السفينة في الوصول إلى وجهتها.. ²

وقال الزمخشري: "الريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشية بالريح في هبوبها، فليل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره" ³، وهذا يعني، يُشبه الزمخشري الدولة بالريح، فيقول: "الريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشية بالريح في هبوبها، فليل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره"، ويدل ذلك على أنّ التنازع والاختلاف يُضعفان الدولة ويُفقدان قوتها ونفوذها.

وقد بين الله تعالى بصورة قاطعة عواقب التنازع والاختلاف، ونبه إلى خطورة ترك الصلح والائتلاف بين المسلمين، ويُؤكد تعالى في النصوص القرآنية على أنّ هذه الآيات والبراهين تُمثّل دعوة صريحة للعقلاء في كل زمانٍ للسعي في إصلاح ذات البين، ونبذ الخلافات، والعمل على تحقيق الصلح والوئام بين الناس، كما وأنّ منزلة الصلح والإصلاح بين الناس عظيمة في الإسلام، وأنّ العقلاء يُدركون فضله العظيم، ويجرّصون على السعي لتحقيقه بكلّ الوسائل الممكنة..

المطلب الثالث: حكم الصلح وقبوله

أولاً: حكم الصلح بين الناس :-

القيام بالصلح بين الناس من فروض الكفاية التي أمر الله بها وحث عليها بصورة عامة في قوله تعالى: "لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس" ⁴، ويبيّن الله تعالى في هذه الآية أنّ الهمس والنجوى السرية لا خير فيها إلا في ثلاث أمور: الأمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، وهذا يدلّ ذلك على أنّ الصلح من أهمّ القيم والمبادئ في الإسلام، وأنّه واجبٌ على المسلمين السعي لتحقيقه.

وبصورة خاصة بين المؤمنين في قوله تعالى: "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخوتكم واتقوا الله لعلكم ترحمون" ⁵ كما ان هذه الآية تأمر المسلمين بإصلاح ذات البين إذا وقع بينهم خلافٌ أو نزاعٌ، وتؤكد على أنّ الصلح واجبٌ على المسلمين، وأنّه يجب عليهم السعي لتحقيقه بكلّ الوسائل الممكنة.

حيث رأى المفسر في تفسير آية: "الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس" يرى المفسر أنّ هذا النوع من الهمس والنجوى السرية لا يشوبه الرياء والتظاهر، بل كان مخصصاً لنيل مرضاة الله، مما يدلّ على أنّ الصلح عملٌ صالحٌ يُثاب عليه صاحبه عند الله تعالى.

¹ الانفال / 46

² ناصر مكارم الدين الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، 450/1

³ الزمخشري، الكشاف، 215/2

⁴ النساء / 114

⁵ الحجرات / 9-10

وفي مجال الإصلاح بين الناس يقول المفسر انه يقتضي ان يكون سرياً أحياناً لضمان تحقيقه اذ من الممكن لو أن الامر تم بصورة علنية لحال دون حدوث الإصلاح لذلك يجب ان يتم الإصلاح بالتحدث الى كل طرف من اطراف النزاع بصورة خفية اي عن طريق النجوى.¹

الصلح جائز بين المسلمين ما لم يؤدّ الى تحليل حرام أو تحريم حلال.²

ثانياً: حكم قبول الصلح :-

ان حكم قبول الصلح في الشريعة الاسلامية يدور مع الاحكام التكليفية الخمس، فقد يكون قبول الصلح واجباً ورفضه محرماً خاصة اذا ترتب عليه مصلحة راجحة وذلك مثل القتال الذي يقع بين طائفتين من المؤمنين قال تعالى: "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله" وذلك بقبول الصلح، فان قبلت به فقد امر الله بقوله: "فأئت فاصلحوا بينهما بالعدل".

وقال تعالى: "فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم"³، ان صاحب التفسير رأى في تفسير الآية: أمر من الله للمكلفين ان يتقوا معاصيه ويفعلوا طاعاته وان يصلحوا ذات بينهم واختلفوا في معناه: قال قوم هو ان النبي صلى الله عليه وآله كان ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله فلما نزلت الآية امرهم ان يرد بعضهم على بعض وهذا ما ذهب اليه قتادة وابن جريح.

قال قوم: هذا نهي من الله للقوم عن الاختلاف فيما اختلفوا في من امر الغنيمة يوم بدر وهذا ما ذهب اليه مجاهد وابن عباس وسفيان⁴ وقد يكون محرماً اذا تضمن شرطاً باطلاً، أو ترتبت عليه مفسد بينة مثل اجبار الزوجة على الاستمرار في الحياة الزوجية مع زوج لا تأمن معه على دينها ونفسها وقد يكون مباحاً اذا استوت في المصالح والمفاسد، وقد ذكر ابن عرفة ما يدل على ما تقدم حيث قال: "وهو من حيق ذاته - اي الصلح - مندوب اليه، وقد يعرض وجوبه عند تعيين مصلحة وحرمة او كراهيته لاستلزامه مفسدة واجبة الدرع او راجحة كما في النكاح" الصلح عام في كل شيء إلا ما أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً.⁵

المبحث الثاني : أقسام الصلح وشروطه وما يتعلق به من أحكام

المطلب الاول: أقسام الصلح في القرآن وشروطه :-

ينقسم الصلح في القرآن الكريم الى قسمين، صلح بين المؤمنين والكافرين و صلح بين المؤمنين، ولكل صلح شروط يلزم تحققها لوجوده، اليك منها :

القسم الاول: الصلح بين المسلمين والكافرين وشروطه :-

أولاً: الصلح بين المسلمين والكافرين :

هذا النوع من الصلح هو الذي انزل الله فيه سورة الفتح، عندما عقد النبي صلى الله عليه وآله صلح الحديبية مع المشركين لمدة عشر سنوات، وخاطب النبي صلى الله عليه وآله المؤمنين به في قوله تعالى: "وان جنحوا للسلم فأجبح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم"⁶ (1).

حيث فسر صاحب مجمع البيان الآية اعلاه "وان جنحوا للسلم" أي: مالوا الى الصلح وترك الحرب.

¹ ناصر مكارم الدين الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، 270/3

² الطوسي، النهاية، ص 313.

³ الانفال / 1

⁴ الطوسي، التبيان، 76/5

⁵ السبزواري، كفاية الأحكام، ج 1، ص 609.

⁶ الانفال / 61

"فاجنح لها" أي: مل إليها وأقبلها منهم، إنما أنت لان السلم بمعنى المسألة.

"وتوكل على الله" أي: فوض أمرك إلى الله.

"إنه هو السميع العليم" أي: لا تخفى عليه خافية. ¹ (3)

وان الرسول صلى الله عليه وآله صالح كثيراً من أهل البلاد على مال يؤدونه من ذلك خير رد أهلها إليها بعد الغلبة على أن يعملوا ويؤدوا النصف... وقد هادن قريشاً لعشرة أعوام حتى نقضوا عهده.

وإن هذا النوع من الصلح لا خلاف بين العلماء في جوازه خاصة عندما تدعو إليه الحاجة وفق الشروط التي سوف يرد ذكرها باذن الله تعالى سواء كان ذلك هدنة لوقف القتال والعداء لفترة مؤقتة، أو صلحاً دائماً مقابل جزية يؤدونها. الصلح عقد لازم من الطرفين، وهو أصل قائم بنفسه، ولا يدخله خيار المجلس ويصح دخول خيار الشرط فيه ²

ثانياً: شروط الصلح مع الكفار :-

الصلح مع الكفار قد وضع لقرآن الكريم له شروط تحكمه، وقد تلخصت هذه الشروط فيما يلي :

أولاً: جنوح الكفار للصلح

قال تعالى: "وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم" ³ واختلف الفقهاء في هذه الآية هل هي منسوخة اولاً، فقال قتادة وعكرمة: نسخها هو قوله تعالى: "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" أي "فقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم" ضعوا السيف فيهم حيث كانوا في الاشهر الحرم وغيرها في الحل وفي الحرم ⁴ وقوله تعالى: "وقتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة" ⁵

وقالا نسخت براءة كل مودة حتى يقولوا لا اله الا الله، وقال ابن عباس الناسخ لها "فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم" وان صاحب تفسير الميزان قال في تفسير هذه الآية: "وتدعوا إلى السلم" معطوفة على "تهنوا" واقع في حيز النهي أي ولا تدعوا إلى السلم، والسلم بفتح السين -الصلح-

وقوله: "أنتم الاعلون" جملة حالية أي لا تفعلوا الصلح والحال انكم الغالبون، والمراد بالعلو الغلبة وهي استعارة مشهورة ⁶.

وقوله تعالى: "فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وانتم الاعلون والله معلم" وان كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفع يجلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس ان يتدعى المسلمون به اذا احتاجوا إليه ⁷.

ثانياً: أن يتولاه الامام أو من ينوب عنه
فقد خاطب الله - في الصلح مع الكفار - النبي صلى الله عليه وآله باعتباره امام المسلمين في قوله تعالى: "وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله".

ان صاحب تفسير الوجيز قال في تفسير هذه الآية "وان جنحوا للسلم" أي مالوا إلى الصلح وترك الحرب، "فأجنح لها" أي وأقبلها منهم، "وتوكل على الله" أي فوض امرك إلى الله ¹.

¹ الطبرسي، مجمع البيان، 360/4

² الحلي، الجامع للشرائع، ص 306

³ الانفال / 61

⁴ علي محمد علي دخیل، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 245

⁵ التوبة / 36

⁶ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 251/18

⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 39/3

وان هذا العقد لا يتولاه الا الامام لأنه يرجع حاصله الى صلح جمع من الكفار على ترك قتالهم والكف عنهم من غير مال، نعم لأحد الولاة عقد ذلك مع اهل القرى والاطراف المتعلقة بهم فأما مهادنة اقليم كاهند والروم فليس الا للإمام وفي رواية عن الامام ابي عبد الله عليه السلام قال: "كل كذب مسؤول عنه يوماً ما الا كذباً في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، ورجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد الصلح ما بينهما، ورجل وعد اهله شيئاً ولا يريد ان يتم لهم عليه، يريد بذلك فعلها".²

وان كل صلح تم مع الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وآله كان بمباشرة له وعلمه الكامل له وكذلك ما تم من صلح مع خلفائه كان ذلك بأمرهم وعلمهم وهكذا وللإمام عقد الصلح اذا رأى فيه مصلحة وان عارضه بعض الناس. ثالثاً: أن يحقق مصلحة للإسلام والمسلمين :-

لابد في الصلح مع الكفار ان تكون هنالك حاجة تدعو اليه، ويترب عليه مصالح للأسام والمسلمين نحو تمكينهم من نشر الاسلام، أو توفير وقت لإعداد انفسهم للقتال، وتكون المصالح العائدة به على المسلمين اعظم مما هو محقق للكافرين "فلا يعقد صلحاً يعود على المسلمين بالضرر او يظهر الامة الاسلامية بمظهر الضعف والتخاذل، او يكون فيه تنازل عما لا يجوز التنازل عنه في حقوق المسلمين"³ (1)

قال تعالى: "فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم" يقول صاحب الميزان في تفسير هذه الآية "وتدعوا الى السلم" معطوفة على "تهنوا" واقع في حيز النهي أي ولا تدعوا الى السلم، والسلم بفتح السين -الصلح - وقوله "انتم الاعلون" جملة حالية اي لا تفعلوا الصلح والحال انكم الغالبون، و المراد بالعلو الغلبة وهي استعارة مشهورة⁴. (2)

ولذا قال العلماء لابد ان يخلو عقد الصلح عن كل شرط يأباه الاسلام كالتنازل عن مقدسات الامة، او اشتراط دخول الحرم او تجريد المسلمين من سلاحهم، او التنازل عن جزء من ارض الاسلام كما لو اشترط الكفار ان يترك في ايديهم مال المسلمين او شرط ان يرد عليهم اسيراً مسلماً افلت منهم، او شرط لهم على المسلمين مالا فكل ذلك فاسد مفسد، نعم لو كان على المسلمين خوف جاز التزام مال لدفع الشر كما يجوز فداء الاسير المسلم اذا عجزنا عن انتزاعه مجاناً، "فإن لم تكن حاجة ولا مضرة وطلبوا ذلك لم يجب على الامام الاجابة على الصحيح بل يتبع الاصلح رابعاً: ان يكون للصلح أجل :-

اشترط العلماء في الصلح مع الكفار ان يكون ذلك باجل مسمى، فمنهم من قدره بأربعة اشهر ان لم يكن بالمسلمين ضعيف وهو مدة السباحة قال تعالى: "فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين"⁵ " فسيحوا في الارض" الخطاب للمشركين اي سيروا في مهل الارض اين شئتم "أربعة أشهر" آمنين من السيف ثم القتل لكم ان لم تسلموا.

عن الرضا عليه السلام: فأجل الله المشركين الذين حجوا نك السنة أربعة اشهر حتى يرجعوا الى مأمنهم ثم يقتلون حيث وجدوا وقد تواتر بين العامة والخاصة على الولاية من النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في اداء سورة براءة، وعزل ابي بكر بالوحي عن الله ان لا يؤدي عني الا انت او رجل منك "واعلموا انكم غير معجزي الله" لأنكم اينما كنتم تحت سلطانه "وان الله

¹ علي محمد علي دخيل، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 241

² الطبرسي، مشكاة الانوار في تحرر الاخيار، 401/1

³ محمود محجوب، الصلح واثره في انهاء الخصومة، 215

⁴ الطبائبي، الميزان في تفسير القرآن، 251/18

⁵ التوبة /2

مخزي الكافرين" مذهبهم بالقتل والاسر في الدنيا وبالنار في الآخرة ويتحقق الصلح بكل ما يدل عليه من لفظ أو فعل أو نحو ذلك، ولا تعتبر فيه صيغة خاصة¹. وقال تعالى: "فان اعتزلوكم فلم يقتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سيلاً"² يلفت النظر ان القرآن في هذه الموضع ومواضع أخرى يذكر مقترح السلام بعبارة "إلقاء السلام" وقد يكون ذلك اشارة الى التباعد بين الجانبين المتنازعين قبل الصلح، حتى ان احد الجانبين يطرح اقتراحه باحتياط وعن بعد ليلقيه على الجانب الآخر³.

القسم الثاني: الصلح بين المؤمنين وشروطه :-

أولاً: الصلح بين المؤمنين :

ذكر القرآن الكريم ثلاثة انواع لهذا القسم من الصلح وهي :

النوع الاول: الصلح بين طائفتين من المؤمنين :

وهذا النوع جاء في قوله تعالى: "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما"⁴

قال الشوكاني / "والمعني انه اذا تقاتل فريقان من المسلمين فعلى المسلمين ان يسعوا للصلح بينهم، ويدعوهم الى حكم الله"⁵ وذهب صاحب تفسير الوجيز في تفسير هذه الآية: "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا" اي فريقان من المؤمنين قاتل احدهما الآخر، "فاصلحوا بينهما" اي حتى يصطلحا⁶.

وان الطائفتين تقسم الى قسمين هما :

أ - عامة طوائف المسلمين :

سواء من قبيلة واحدة، أو من قبيلتين، أو من دولة واحدة أو من دولتين، أو اسباب دنيوية او دينية ولا تخلو الفتتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعاً فالواجب في ذلك ان يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويشمر المكافاة والمواذعة ؛ فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتهم، واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكتلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مرشد الحق، فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملوا على شاكلة ما هدينا اليه ونصحننا من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين، واما ان تكون احدهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينهما وبين المبغي عليها بالقسط والعدل⁷.

ب - الامام والفئة الباغية :

الفئة الباغية: وهي الفئة الظالمة الخارجة عن طاعة الامام العادل، ومعنى البغي قصد الفساد ويقال فلان يبغي على الناس اذا ظلمهم وطلب اذاهم وبغى عليه يبغي بغياً علا عليه وظلمه، وفي التنزيل العزيز "بغى بعضنا على بعض" عن أبي عبدالله عليه السلام " في الرجل يكون عليه الشيء فيصالح فقال: إذا كان بطيبة نفس من صاحبه فلا بأس⁸

¹ الخراساني، منهاج الصالحين، ج 3، ص 223.

² النساء / 90

³ ناصر مكارم الدين الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، 227/3

⁴ المحجرات / 9

⁵ الشوكاني، فتح القدير، 63/5

⁶ علي محمد علي دخيل، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 691

⁷ الزمخشري، الكشاف، 367/4 - 368

⁸ جواهر الكلام - الشيخ الجواهري - ج ٢٦ ص ٢١٠

وبغى الوالي ظلم، وكل مجاوزة وافراط عن المقدار الذي هو حد الشيء بغى وبغت معناها طلبت العلو بغير الحق وهنا موقف الامام علي عليه السلام مع الخوارج ومع كل الفتن التي حدثت في عصره من هذه الطائفة: ان عبث الخوارج في عدم اتفاقهم مع الامام علي عليه السلام لقتال معاوية فالتحق جموع البصرة والكوفة متجهين نحو النهروان لقتال الامام علي عليه السلام مع معاوية (لعنه الله) اقلق اصحاب الامام عليه السلام وايضاً من عبثهم ان قبضوا على عبدالله بن خباب وزوجته فقتلوه وبقروا بطن أمراًته والقوا ما فيها من دون مبرر وكذلك قتلوا الحارث بن مرة العبدي رسول الامام عليه السلام اليهم.

حيث تجمعت قوات المارقين عن الدين قرب النهروان ورغم ذلك حاول الامام عليه السلام مراراً ان يقنعهم للتخلي عن فكرهم وتمردهم وسعيهم للحرب ولم يجد فيهم الا الفساد والجهل والاصرار فعبئ جيشه ونصحهم بأخلاق الاسلام في كيفية التعامل في مثل هذه الظروف كما هو شأنه في كل معركة وبعد تلك المحاولات من الامام للأمة الباغية في تحييدهم مزيداً من الدماء اتاهم الامام عليه السلام فقال لهم: "ايتها العصابة التي اخرجها عداوة المراء واللحاجة وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النرق واصبحت في الخطب العظيم ! اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غداً صرعى اثناء هذا الوادي وبإهضام هذا الغائط بغير بينة من ريكهم ولا برهان مبين"¹

وبين لهم انه كره التحكيم وعارضه وشرح سبب معارضته بوضوح لهم لكنهم اجبروا الامام على قبول التحكيم فهنا لا يوجد معنى لخروج المارقين ولم يروعوا المارقون لقول الامام عليه السلام وطالبوه بتكفير نفسه واعلان توبته فقال عليه السلام "أصابكم حاصب و ولا بقي منكم أثراً بعد ايماني برسول الله صلى الله عليه وآله وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذاً وما انا من المهتدين"²

وبعد ذلك انصرف عنهم عليه السلام وتقدم الخوارج واصطفوا للقتال وعبئ الامام جيشه لملاقاتهم في محاولة أخيرة للإمام عليه السلام أمر ابا ايوب الانصاري ان يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم "من جاء الى هذه الراية فهو آمن ومن انصرف الى الكوفة والمدائن فهو آمن انه لا حاجة لنا فيكم الا فيمن قتل إخواننا"

قال الامام علي عليه السلام لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤوكم بقتال وهجم الخوارج وهم يتصايحون: لا حكم الا لله.. .. الروح الى الجنة ولم تمضي الا ساعة حتى أبيد أكثرهم ولم ينج منهم الا أقل من عشرة ولم يقتل من اصحاب الامام علي عليه السلام الا اقل من عشرة أشخاص وبعد سكون المعركة أمر الامام عليه السلام بطلب (ذي الثرية) أحد قادة الخوارج وألح الامام عليه السلام في ذلك لان في ذلك مصداقاً لوصايا الرسول صلى الله عليه وآله مقاتلة المارقين عن الدين الذين فيهم ذو الثرية ولما وجدوه اخبروا الامام عليه السلام فقال "الله أكبر ما كذبت ولا كُذبت، لولا ان تنكلوا عن العمل، لأخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم، عارفاً للحق الذي نحن عليه وسجد عليه السلام شكراً لله". باب شهادة عمار رضي الله عنه وظهور بغى الفئة الباغية بعد ما كان أبين من الشمس الضاحية وشهادة غيره من أتباع الأئمة الهادية³ النوع الثاني: الصلح بين فردين من المؤمنين :-

هذا النوع تحدث عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: "انما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون"⁴ " انما المؤمنون أخوة" ذكر الكاشاني في تفسيرها حيث قال: بنو أب وأم واذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون، وفي رواية: لأن الله خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى في صدورهم من ريح الجنة فلذلك هم أخوة لأب وأم.

¹ ينظر: جواهر التاريخ - الشيخ علي الكوراني العاملي - ج ١ ص ٣٦٧

² الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ٣ ص ٣٤٤

³ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٣ ص ٧

⁴ المحررات /10

" فاصلحوا بين أخويكم" صدقة يجبها الله لإصلاح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم اذا تباعدوا، "أتقوا الله" في ترك العدل والاصلاح "لعلكم ترحمون" أي لكي ترحموا¹.

قال تعالى: "وان أمراً خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير"² يرى صاحب كنز العرفان في تفسير هذه الآية: ان الصلح في نفع عظيم إذ مع قطع النزاع يحصل تمام نظام النوع وفوائد المعاش فلذلك وصفه سبحانه بأنه "خير" أي خير عظيم والسعي فيه لإصلاح ذات البين فيه أجر جزيل وقال النبي صلى الله عليه وآله: "الاصلاح في ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام"

قال الامام الباقر عليه السلام: "إن الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن ذنبه فإذا فعل ذلك استلقى على قفاه ومّد يده، وقال فزت فرحم الله امرئ ألف بين وليين لنا يا معشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا"³

وقال المفسرون: "الآية تفيد اباحة الصلح بين الزوجين اذا خافت النشوز او الاعراض، والمعنى ان يوقعا بينهما أمراً يرضيان به، وتدوم بينهما الصلحة مثل ان تصبر على تفضيله، وروي عن علي وابن عباس انهما اجازا لهما ان يصطلحا على ترك بعض مهرها، او بعض ايامها بان يجعله لغيرها وكما يجوز الصلح مع الخوف وكذلك يجوز بعد وقوع النشوز او الاعراض"⁴ النوع الثالث: الصلح بين فرد وطائفة من المسلمين :-

تحدث القرآن الكريم عن الصلح بين فرد وجماعة في حديثه عن الصلح بين المورث ووريثه في قوله تعالى: "فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم"⁵ اختلف الفقهاء في معنى هذه الآية فقال صاحب تفسير الوجيز:

"فمن خاف" أي خشى، "من موصٍ جنفاً" أي ميلاً عن الحق فيما يوصي به في حال وصفه وهو ان يعطي بعضاً ويضر ببعض، فلا إثم عليه ان يشير عليه بالحق، ويرده الى الصواب، ويصلح بين الموصين والورثة، و الموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف او اثم، وقوله "أو إثماً" الاثم: ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد والجنف: ان يكون على جهة الخطأ من حيث لا يدري ان يجوز، "فأصلح بينهم" أي الورثة والمختلفين في الوصية، وهم الموصى لهم، "فلا اثم عليه" لأنه متوسط مرید للإصلاح، "ان الله غفور رحيم" يعني اذا كان يغفر الذنوب، ويرحم المذنب فأولى وأحرى ان يكون كذلك ولا ذنب⁶ وهذا الذي ذكرناه عن اقسام الصلح سبق الى تقريره ابن بحر العسقلاني حيث قال: "والصلح اقسام: صلح المسلم مع الكافر، والصلح بين الزوجين، والصلح بين الفئة الباغية والعادلة، والصلح بين المتغاضبين كالزوجين، والصلح في الجراح كالعفو على مال، والصلح لقطع الخصومة اذا وقعت المزامحة اما في الاملاك او في المشتركات كالشوارع، وهذا الاخير هو الذي يتكلم فيه اصحاب الفروع" من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقبلاً⁷

¹ الفيض الكاشاني، الأصفى في تفسير القرآن، 770

² النساء/ 128

³ السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن، 144/2

⁴ الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، 159/1

⁵ البقرة / 182

⁶ علي محمد علي دخيل، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 39

⁷ ميزان الحكمة - محمد الرشدي - ج ٢ ص ١٦٢٢

ثانياً :- شروط الصلح بين المؤمنين :

أن يقوم الصلح على العدل :

من أول الشروط التي وضعها القرآن الكريم في الصلح تحري العدل حتى لا تثور الفتنة مرة أخرى. قال تعالى: "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين"¹ " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما" اي وان حدث ان فئتين او جماعتين من اخوانكم المؤمنين جنحوا الى القتال فاصلحوا بينهما واسعوا جهدكم للإصلاح بينهما والجمع، "اقتتلوا" باعتبار المعنى والتثنية "بينهما" باعتبار اللفظ، "فان بغت احدهما على الاخرى" اي فان بغت احدهما على الاخرى وتجاوزت حدها بالظلم والطغيان زلم تقبل الصلح وصممت على البغي، "فقتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله" اي فقاتلوا الفئة الباغية حتى ترجع الى حكم الله وشرعه وتقلع عن البغي والعداوات وتعمل بمقتضى اخوة الاسلام. "فان فأت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا" اي فان رجعت وكفت عن القتال فاصلحوا بينهما بالعدل دون حيف على احدى الفئتين واعدلوا في جميع اموركهم، "ان الله يحب المقسطين" اي يحب العادلين الذين لا يجورون في احكامهم، قال البيضاوي: والآية نزلت في قتال حدث بين "الاوس والخزرج" في عهده صلى الله عليه وآله كان فيه ضرب بالسيف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا كف عن الحرب ترك وانه يجب تقديم النصح والسعي في المصالحة تقييد الإصلاح بالعدل هاهنا لأنه مظنة الحيف من حيث إنه بعد المقاتلة².

والصلح العادل هو الذي امر الله به رسوله صلى الله عليه وآله كما قال تعالى: "فاصلحوا بينهما بالعدل" والصلح الجائر هو الظلم بعينه الذي نهى الله عنه وكثير من الناس لا يعتمد العدل في الصلح بل يصلح صلحاً ظالماً جائراً فهو لم يفعل بذلك ما امر الله به في الصلح وفي ترك العدل والإصلاح، أو في منع الحقوق (لعلكم ترحمون) لاتفاقهم في الدين، ورجوعهم إلى أصل النسب، لأنهم لأمة واحدة، وهي حواء..³
أن لا يكون في الصلح تحريم حلال أو تحليل حرام :

من الشروط التي يجب توفرها في الصلح ان يلتزم فيه بالجوانب الشرعية، وان لا يكون هنالك تعدي لحدود الله، وان رجلاً من الاعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله انشدك الله الا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الاخر وهو افقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله واذن لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قل، قال: ان ابني كان عسفاً عن أبي جعفر عليه السلام انه عليه السلام قال في رجلين كان لكل واحد منهما طعام عند صاحبه، ولا يدري كل واحد منهما كم له عند صاحبه، فقال: كل واحد منهما لصاحبه: لك ما عندك ولي ما عندي فقال: " لا بأس بذلك إذا تراضيا وطابت أنفسهما " ⁴ على هذا فزني بامرأته، واني اخبرت ان على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت اهل العلم فاخبروني انما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وان على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم ردّ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، اغدا يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها "، قال: فغدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله فوجعت⁵

¹ المحررات: ٩.

² التفسير الصافي - الفيض الكاشاني - ج ٦ ص ٥١٨

³ تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ٩ ص ٢٢٢

⁴ القواعد الفقهية - السيد البجنوردي - ج ٥ ص ١٩

⁵ نيل الأوطار - الشوكاني - ج ٧ ص ٢٤٩

قال ابن حجر: "وفيه ان الصلح الفاسد منتقض، والمأخوذ عليه مستحق الرد"¹ وقال: "ان كل شرط وقع فيه رفع حد من حدود الله فهو باطل، وكل صلح وقع فيه فهو مردود"

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: الصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً حراماً أو أحل حراماً، والمسلمون على شروطهم الا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراماً²
أن لا يكون المصالح عنه حق الله :

قال العلماء بان الشيء المصالح عنه نوعان :

حق الله وحق العبد، ام حق الله: فلا يصلح ان يقع الصلح فيه، وعلى ذلك فلا يصح الصلح عن حد الزنا والسرقة او شرب الخمر، والكفارات، وذلك اذا اخذ مالا في مقابل عدم رفعه لولي الامر لأنه حق الله، لان المصالح بالصلح متصرف في حق نفسه، والصلح في حق الله باطل كما جاء في حديث العسيف السابق، واذا بطل الصلح في حقوق الله تعالى وجب عليه رد ما اخذه من مال بوجه غير شرعي وقال تعالى: لا خير من كثير من نجوهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما³.

وعن الامام الصادق عليه السلام انه قال: "سألناه عن الرجل يكون عنده مال لأيتام فلا يعطيهم حتى يهلكوا، فيأتيه وارثهم ووكيلهم فيصلحهم على ان يأخذ بعضاً ويدع بعضاً ويرأه مما كان عليه أيرء منه ؟ قال: نعم"⁴

الى غير ذلك من النصوص الدالة على كونه عقداً مستقلاً بنفسه، ولا يتوقف على سبق خصومه، مثل البيع وغيره من العقود "و" ان كان "هو" "في الاصل عقد شرع لقطع التجاذب" والمتنازع بين المتخاصمين الا ان ذلك فيه من الحكم التي لا يجب اطرافها مثل المشقة في حكمة القصر ونقصان القيمة في الرد بالعيب، واستبراء الرحم للعدة، وغيرها من الحكم التي تقتضي تخصيصاً او تقييداً لعموم الدليل او اطلاقه المقتضي ثبوت الحكم في غير محلها، فضلاً عن خصوص الادلة من السنة المستفيضة او المتواترة والاجماع بقسميه كما هو واضح⁵.

تراضي الاطراف على صيغة الصلح :

اشتراط العلماء في الصلح تراضي الاطراف على صيغته النهائية، وذلك لان الصلح اذا لم يتحقق معه الصلاح واصلاح ذات البين، وقطع الخصومة ووقف القتال، ورفع النزاع فليس بصلح، اذ علة مشروعيته تحقيق التصالح والاجتماع وازالة التنازع والخصومات، ولذلك تحدث الفقهاء عن اهمية الايجاب والقبول الدالين عن توافق الارادتين بين المتصالحين، لان التراضي اساس لإنهاء الخصومة وقطع النزاع ؛ وهو التراضي والتسالم على أمر من تمليك عين أو منفعة أو إسقاط دين أو حق وغير ذلك، ولا يشترط بكونه مسبوقاً بالنزاع، ويجوز إيقاعه على كل أمر إلا ما استثنى، كما يأتي بعضها، وفي كل مقام إلا إذا كان محرماً لحلال أو محلاً لحرام⁶

¹ فتح الباري - ابن حجر - ج ٥ ص ٢٢٣

² عوالي اللثالي - ابن أبي جمهور الأحسائي - ج ١ ص ٢١٨

³ النساء: ١١٥.

⁴ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ ص ١٢٨

⁵ الجواهر، جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، 26/211

⁶ تحرير الوسيلة - السيد الخميني - ج ١ ص ٥٦١

و لا بد ان تكون هذه الارادة بينهما اختيارية وعن قناعة ورضا اذ لا يصح الصلح بالإكراه، وذلك لان امر الصلح هو امر عفو وتسامح بين الجميع قال تعالى: "ان يريدآ اصلاحاً يوفق الله بينهما"¹ " ان يريدآ اصلاحاً يوفق الله بينهما" اي ان يرد الزوجان نوعاً من الاصلاح من غير عناد ولجاج في الاختلاف، فان سلب الاختيار من انفسهما والقاء زمام الامر الى الحكمين المرضيين يوجب وفاق البين² وان الصلح عقد والرضا شرط الصحة والعقود، قال تعالى: "يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجرة عن تراضي منكم"³

الخاتمة

من خلال تلك الدراسة توصل الباحث الى النتائج الاتية:

الصلح الذي أمر به الله (عز وجل) في كتابه العزيز هو كل امر يوفق به بين الناس حيث من خلاله يتم رفع النزاع ووقف القتال، وقطع الخصومات الواقعة بين الناس سواء كان في الدماء او الاموال او في الاعراض او في الاديان او في اي شيء.

الصلح من الاعمال العظيمة التي امر الله بها ووعد القائمين به في الناس بالأجر العظيم وسماه الله فتحاً وسلاماً مرغيباً فيه، وبين (عز وجل) عواقب فساد ذات البين، ومدح الله تعالى القائمين بالصلح المقتدين بإمام المصلحين النبي محمد صلى الله عليه وآله.

حكم القيام بالصلح بين الناس من فروض الكفاية وحكم قبول الاطراف المتنازعة للصلح يدور بين الاحكام التكليفية الخمسة (واجباً، مستحباً، مباحاً، محرماً، مكروهاً).

يقسم الصلح في القرآن الكريم الى قسمين: صلح بين المسلمين والكافرين، و صلح بين المؤمنين وهم ثلاثة أنواع هي: صلح بين طائفتين من المؤمنين، وبين فردين من المؤمنين، وبين فرد وجماعة من المؤمنين.

للصلح مع الكفار شروط يجب تحققها وهي: جنوح الكفار للصلح، وان يتولاه الامام او من يوجب عنه، وان يحقق مصلحة الاسلام والمسلمين، وان يكون للصلح أجل.

والصلح بين المؤمنين شروطه هي: العدل، وان لا يكون فيه تحريم حلال او تحليل حرام، وان لا يكون في ضياع لحق من حقوق الله، وان تتراضى جميع الاطراف على صيغته.

ومن ابرز الصفات التي ينبغي ان يتحلى بها المصلح : الاخلاص، الاستعانة بالله، العلم، الصبر لتحقيقه.

ابرز مقومات نجاح الصلح: توعية الاطراف المتنازعة بأهمية اصلاح ذات البين، وتوفير ارادة الصلح، وقبول الاطراف للمصلحين.

ومن ابرز مقومات الصلح او اسباب فشله هي: ضعف الاخوة اليمانية، اتباع خطوات الشيطان ومفاوضة غير العقلاء في الصلح.

ومن ابرز فوائد الصلح التي تعود على الفرد المسلم مها: سلامة القلب، تحقيق المحبة والألفة، التربية على القيم التي يحبها الله (عز وجل)، رد كيد الشيطان، رفع العمل الصالح، نيل اجر العظيم.

وكذلك فوائد الصلح على الجماعة: نيل رحمة الله، نشر الاسلام، الحفاظ على وحدة الجماعة وقوتها، درء الفتن وحسن الدماء، رد المخاطر عن الامة.

¹ النساء / 35

² الطبائبي، الميزان في تفسير القرآن، 4/ 353

³ النساء / 29

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن أبي جمهور الأحسائي، محمد بن زين الدين، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي، ط1، مطبعة سيد الشهداء، 1403هـ/1983م.
2. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
3. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ/1959م.
4. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1979م.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
6. الألوسي، محمود شكري بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
7. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، 1414هـ.
8. الأيرواني، باقر، دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري، ط2، قم، 1427هـ.
9. البحراني، محمد أمين، كلمة التقوى، ط3، الناشر: سيد جواد الوداعي، قم، 1413هـ.
10. التبريزي، جواد بن علي، منهاج الصالحين، ط1، مجمع الإمام المهدي، قم، 1426هـ.
11. الخميني، روح الله الموسوي، تحرير الوسيلة، ط2، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1390هـ.
12. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، منهاج الصالحين، ط28، مدينة العلم، قم، 1410هـ.
13. دخيل، علي محمد علي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط2، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، 1422هـ.
14. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم والدار الشامية، دمشق/بيروت، 1412هـ.
15. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث، ط1.
16. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
17. السبزواري، محمد باقر بن محمد مؤمن، كفاية الأحكام، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1423هـ.
18. السيوري، جمال الدين المقداد بن عبد الله، كنز العرفان في فقه القرآن، المكتبة المرتضوية.
19. الشهيد الأول، محمد بن مكي العاملي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية، ط2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1417هـ.
20. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: أحمد عبد السلام، ط1، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، 1414هـ.

21. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت، 1973م.
22. الكلبي، محمد بن أحمد بن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م.
23. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط4، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1407هـ.
24. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم، 1421هـ.
25. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1403هـ.
26. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ط7، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
27. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1417هـ.
28. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1415هـ.
29. الطبرسي، علي بن الحسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط1، مطبعة ستارة، إيران.
30. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، 1422هـ/2001م.
31. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، ط4، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1407هـ.
32. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط1، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، 1409هـ.
33. الطوسي، محمد بن الحسن، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1400هـ.
34. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م.
35. القواعد الفقهية، البجنوردي، محمد حسن، تحقيق: محمد حسين الدرايتي ومهدي المهريزي، ط1، نشر الهادي، قم، 1419هـ/1377هـ.
36. الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى، الآصفي في تفسير القرآن، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، 1376هـ.
37. الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى، التفسير الصافي، ط2، 1416هـ.
38. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
39. الصدر، محمد محمد صادق، ما وراء الفقه، ط1، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1420هـ.
40. الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق: علي الأخوندي، ط6، دار الكتب الإسلامية، طهران.

أحاديث فضائل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)

في مسند الإمام أحمد بن حنبل (دراسة وتحليل)

م. د حيدر شعلان حسن ، العراق

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

أحاديث فضائل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في مسند الإمام أحمد بن حنبل (دراسة وتحليل)

م. د حيدر شعلان حسن ، العراق

الملخص:

البحث هذا وهو نتاج بشري فمن المؤكد يحصل فيه بعض الهفوات وهذا أمر طبيعي إن بحثي المتواضع هذا الغاية منه ايصال فكرة لمن يطلع عليه بأن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليس مختص بطائفة دون أخرى ولا بقومية دون أخرى ولا بمذهب دون آخر بل هو امتداد لجده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يصفه القرآن الكريم بأنه رحمة للعالمين فأذن الحسين (عليه السلام) ليس خاص بل هو عام للبشرية جمعاً وها هو الإمام أحمد بن حنبل يروي المرويات في فضائل هذا الإمام الهمام ويبين مكانته عند جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالنسبة مكانته عند الله عز وجل وعند الناس جميعاً هذه الغاية التي كنت أسعى جاهداً لإيصالها للمتلقي والباحث عن الحقيقة والله من وراء القصد ونسأله تعالى الرضا والقبول إنه سميع مجيب الدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً أما بعد : لقد اصطفى الله عز وجل من عباده بيوتاً أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وجعل لأهل بيت نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) منزلة رفيعة ومكانة عظيمة في قلوب الأمة الإسلامية ويأتي الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) في طليعة هذه الثلة المباركة ؛ فهو ربحانة رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة وسبط من الأسباط وتتويجاً لهذه المكانة العظيمة ، أولت كتب السنة النبوية عناية فائقة بتدوين الأحاديث التي تروي مناقب الأئمة ومنهم الإمام الحسين بن علي وفضائله العظيمة، والتي نطق بها جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ويُعد مسند الإمام أحمد بن حنبل أحد أوسع وأبرز مصادر السنة النبوية التي حوت ثروة ضخمة من هذه الروايات المسندة عن الصحابة الكرام ، تكمن أهمية هذا البحث في محاولة استخراج وجمع الأحاديث الواردة في حق الإمام الحسين (عليه السلام) داخل (المسند) ، وتقديم قراءة علمية تحليلية لها ، وتبرز الدوافع لاختياري لهذا الموضوع (الأحاديث الواردة في فضائل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في مسند الإمام أحمد بن حنبل دراسة وتحليل) في النقاط التالية : إبراز عظمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقامه العالي وذلك من خلال الأحاديث النبوية الشريف العديدة الواردة في حق الإمام حسين (عليه السلام) ومن هذه الأحاديث النبوية الأحاديث التي وردت في مسند الإمام أحمد وتم إخضاع هذه الروايات لمعايير النقد الحديثي (دراسة السند والمتن) للوقوف على مراتبها بين الصحة والحسن ومن خلال هذه الأحاديث يتم توضيح الإجماع على محبته ومكانته العظيمة لدحض أي شبهات أو روايات ضعيفة حول سيرته ، كما ويسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف المرجوة التالية وهي : حصر الأحاديث والآثار الواردة في فضل الإمام الحسين (عليه السلام) في مسند الإمام أحمد بشكل دقيق ، وتخراج الأحاديث وبيان درجاتها من حيث الصحة والضعف استناداً إلى جهود علماء الجرح والتعديل ، والتحليل الموضوعي والدلالي لمتون الأحاديث ، واستنباط الدروس العقيدية والأخلاقية منها ، وإبراز شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) الذي هو امتداد لجده (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك من خلال الرؤية الحديثية لأهل السنة والجماعة ، منهج البحث : اعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي في تتبع الروايات المتعلقة بمناقب الإمام الحسين (عليه السلام) في مظانها من مسند الإمام أحمد ، متبوعاً بالمنهج التحليلي في دراسة الأسانيد والمتون ، وقد تكون البحث من (6 أحاديث) على هيئة مطالب

تتكون على الآتي : تخريج الحديث ، وترجمة الرواة ، والحكم على الحديث ، وشرح الحديث ، هذا ما جادت به قريحتي سائلا الله تعالى القبول والرضا ، ومن الله التوفيق.

أهمية البحث

لا أحد يختلف ما للإمام الحسين وجده وأبيه وأمه وأخيه من مكانة كبيرة ومحترمة لدا جميع المسلمين من دون استثناء فمن هذا الباب قمت بجمع الأحاديث التي تخص الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) الموجودة في مسند الإمام أحمد وهو ثاني أكبر كتب السنة النبوية المطهرة بعد كتاب (الموطأ) وقمت بدراسة تلك الأحاديث دراسة إسنادية وتحليلية من خلال أمهات الكتب التي تهتم بالأحاديث النبوية الشريفة ، وإن الأحاديث الواردة في الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مسند الإمام أحمد مبعثرة بين مسند الإمام علي ومسند أم سلمة ومسند أبي سعيد قمت بجمع هذه الأحاديث المتفرقة في مكان واحد وهذا مما يسهل على الباحثين في المستقبل ، وهذه الأحاديث المختصة بالإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) تثبت مكانة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ومنهم الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما إن هذه الأحاديث التي تخص الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هي تخدم السنة النبوية المطهرة وتحت الباحثين على استقصاء الأحاديث التي تخص آل البيت (عليهم السلام) في جميع المصادر الإسلامية والحديثية بغض النظر عن الدين والمذهب كما قد بينت الأحاديث الشريفة كيفية استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما جرى عليه وعلى آل بيته (عليهم السلام) من تقتيل وسبي وما إلى ذلك كما وقد بينت هذه الأحاديث مكانة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف كان الإمام الحسين (عليه السلام) يحظى بأهمية بالغة عند جده الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أن هذا البحث يعطي طريقة علمية في جمع الموضوع الواحد من كتاب ومصدر واحد جمع وتخريج ودراسة السند والمتن وهذا من فقهيات علوم الحديث ، إن هذا البحث يقدم نموذج لدراسة نماذج من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة في مسند الإمام أحمد وفي غيره من المصادر الحديثية فهذا البحث نموذج لدراسة الأحاديث التي اختصت الإمام الحسين (عليه السلام) كما تبين لي من دراسة الأحاديث في مسند الإمام أحمد يورد الحديث الواحد بأكثر من طريق وسند وهذا يقوي الحديث ويظهر دقته في نقل خاصة في فضائل آل البيت (عليهم السلام) كما بينت الأحاديث موضع البحث على إستخراج الكنوز التي في مسند الإمام أحمد وبيان مكانة هذا المسند ومؤلفه هذا وأدعو جميع الباحثين بأن يحذوا حذوي في دراسة الأحاديث التي تخص بالأنبياء والمرسلين أو بشخصية إسلامية في أمهات المصادر الحديثية كما بحثت في شخصية الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) والله وراء القصد.

حديث رقم (1)

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسمي الإمام الحسين (عليه السلام)

{ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ عَدِيٍّ ، أَنْبَأَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَلِيٍّ ، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، قَالَ : لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّاهُ حَمْزَةً ، فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ سَمَّاهُ بِعَمِّهِ جَعْفَرٍ ، قَالَ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُغَيِّرَ اسْمَ هَذَيْنِ فَقُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَمَّاهُمَا حَسَنًا وَحُسَيْنًا }

تخريج الحديث : تفرد الإمام أحمد في روايته⁽¹⁾.

ترجمة الرواة :

- 1 - زكريا بن عدي : هو زكريا بن عدي بن زريق أبو يحيى التيمي الكوفي ، روى عن : أبي وهب عبيد الله بن عمرو الرقي ، وأبي المليح الحسن بن عمرو الرقي ، وغيرهم ، روى عنه : عبد الله بن محمد بن أبي شيبه ، وأبو خيثمة زهير بن حرب النسائي ، وأبو جعفر أحمد بن سعيد الدارمي ، وغيرهم ، توفي في ببغداد في جمادي الأول سنة (212 هـ) ، كان ثقة كثير الحديث⁽²⁾.
- 2 - عبيد الله بن عمرو : هو أبو وهب عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي الحافظ الكبير ، حدث عن عبد الملك بن عمير ، وزيد بن أبي أنيسة ، وعبد الله بن محمد بن عقال ، وغيرهم ، حدث عنه : بقية بن الوليد والهيثم بن جميل ، وزكريا بن عدي ، وغيرهم ، وثقه ابن معين ، والنسائي ، أبو حاتم ، توفي في (180 هـ)⁽³⁾.
- 3 - عبد الله بن محمد بن عقال : هو عبد الله بن محمد بن عقال بن أبي طالب الهاشمي احتج به أحمد ، وقال الترمذي : صدوق ، وكان إسحاق ، والحميدي يحتجون بحديثه ، وكان ابن عقال خيرا عبدا فاضلا⁽⁴⁾.
- 4 - محمد بن علي : هو محمد بن علي بن أبي طالب ، أبو القاسم الهاشمي ابن الحنفية ، روى عن أبيه وعثمان وعمار بن ياسر ، وغيرهم ، وروى عنه بنوه الحسن ، وإبراهيم ، وعبد الله بن محمد بن عقال وغيرهم ، تابعي⁽⁵⁾.
- 5 - علي بن أبي طالب : صحابي وابن عم النبي وزوج الزهراء وأمير المؤمنين (كرم الله وجهه)⁽⁶⁾.

الحكم على الحديث : الحديث صحيح لثقة رواته ، واتصال اسناده ، والله أعلم.

شرح الحديث :

يظهر من الحديث الشريف إنه عندما ولد الحسن (عليه السلام) سماه أمير المؤمنين حمزة على اسم عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حمزة بن عبد المطلب ، وعندما ولد الحسين (عليه السلام) سماه جعفر على اسم أخيه جعفر الطيار وهذا يدل على محبة الإمام علي (عليه السلام) لعمه وعم النبي الخاتم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكذلك دل الحديث على حب أمير المؤمنين لأخيه جعفر (رضوان الله عليه) ورغبته في إحياء أسمائهم فعندها تدخل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا التدخل رباني حيث أخبره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه أمر من الله بتغيير اسميهما ، فقال علي (عليه السلام) : الله

ورسوله أعلم فسماهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حسناً وحسيناً والسبب في التغيير هو وحي من الله عز وجل للرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بدليل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إني أمرت أن أغير اسم هذين ، فهو أمر تعبدى خاص بهما وهذين الاسمين حسن وحسين المباركين لم يكونا معروفين عند العرب قبل ذلك ومعنى هذين الاسمين مأخوذ من الحسن والجمال ، وهو أليق بسيدي شباب أهل الجنة ويظهر من هذا الحديث الشريف جواز تسمية المولود قبل اليوم السابع ودل الحديث أيضاً على تسمية المولود يوم ولادته وهو حق الأب في التسمية ، لكن حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مقدم إذا أمر بتغيير استحباب التسمية بأسماء حسنة المعنى والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (7).

حديث رقم (2)

الحسين (عليه السلام) شبيه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

{ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : أُبَيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ ، فَجَعَلَ فِي طَسْتٍ فَجَعَلَ يَنْكُثُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ أَنَسٌ : إِنَّهُ كَانَ أَشَبَّهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالْوُسْمَةِ } تخريج الحديث : رواه الإمام أحمد (8). والبخاري (9).

ترجمة الرواة

1 - عبد بن أحمد بن حنبل : عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ولد سنة (213 هـ) وتوفي سنة (290 هـ) ، روى عن أبيه ، وإبراهيم بن الحجاج السامي ، وأحمد بن منيع البغوي ، وغيرهم ، وروى عنه النسائي وأبو بكر بن زياد ، وأبو القاسم الطبراني ، وغيرهم ، وكان أكابر شيوخ يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والأسماء ، ووثقه جملة من علماء الجرح والتعديل (10).

أبي : هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني أحد أعلام الأمة وأزهده الأئمة ولد سنة (164 هـ) ، روى عن جماعة من كبار العلماء منهم حمد بن إبراهيم بن خالد ، وأحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي والحسين بن محمد المروزي ، روى عنه : وأحمد بن أصرم بن خزعة المزني ، وأحمد بن إبراهيم الكوفي ، وابنه عبد الله ، توفي في شهر ربيع الآخر سنة (241 هـ) (11).

3 - حسين : الحسين بن محمد وهو القاضي حسين ، وهو الإمام أبو علي الحسين بن محمد المروزي وهو من أصحاب الوجوه كبير القدر ، مرتفع الشأن ، وكان يقال له : حبر الأمة ، توفي سنة (462 هـ) (12).

4 - جرير : هو جرير بن حازم بن زيد أبو النضر الأزدي البصري أخرج له البخاري في الصلاة وغير موضع عن أبيه وهب وعن بن وهب وأبي عاصم وسليمان بن حرب وغيرهم روى عنه عن الحسن وابن سيرين وغيرهما حكى عنه ابنه وهب (13).

5 - محمد : هو محمد بن سيرين الأنصاري مولى أنس بن مالك كنيته أبو بكر وكان من أروع أهل البصرة فقيها فاضلا حافظا متقنا ضابطا توفي في شوال سنة (110 هـ) وهو ابن سبع وسبعين سنة

روى عن أبي هريرة ، وعمران بن حصين وأنس بن مالك ، وغيرهم ، وروى عنه ابن علقمة ، وقتادة وجريير بن حازم وخالد الحذاء ، وغيرهم⁽¹⁴⁾.

6 - أنس : هو أنس بن مالك بن النضر الخزرجي خادم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، روى عنه ابن سيرين ، وقتادة ، والزهرري ، وغيرهم⁽¹⁵⁾.

الحكم على الحديث : الحديث صحيح لثقة رواه ، واتصال اسناده ، والله أعلم.

شرح الحديث

لقد قتلوا ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يسألوا عما وجب عليهم في قتله وقيل : لما قتلوا الحسين ، قال أحد اليهود : ما تقولون في اليهود ، ولو قيل لحمار : هذا حمار عزيز لرصعوا بالجواهر ذنبه وأمة محمد قتلوا ابن نبيهم ، وسألهم أن يدعوه يسبح في الأرض مع الوحوش لم يرضوا إلا بقتله⁽¹⁶⁾.

جعل الرأس الشريف للإمام الحسين بن علي (عليهم السلام) في طست فاحذ ابن زياد والي الكوفة يضرب بقضيب له في أنف وعين الإمام الحسين وكان يقرع ثنانيا الحسين بقضيبه فقال له زيد بن أرقم : ارفع قضيبك عن هاتين الثنتين فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على هاتين الثنتين يقبلهما ثم بكى ، فقال ابن زياد : أبكى الله عينك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك فقام وصرخ وقال يا معاشر العرب أنتم بعد اليوم عبيد قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة وهي أم زياد فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فبعدا لمن رضي بالذل والعار وقال أنس : كان الحسين أشبه أهل البيت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان شعر رأسه ولحيته (عليه السلام) (مخضوبا بالوشمة) وهو نبت يختضب به يميل إلى السواد ، ولما قتل الحسين بكى الناس فأكثروا ، وقتل الله ابن زياد سنة اثنتين وستين قتله إبراهيم بن مالك الأشتر وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي أرسله لقتاله وجيء برأسه ورؤوس أصحابه بين يدي المختار فجاءت حية دقيقة تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم ابن زياد وخرجت من منخره ودخلت من منخره وخرجت من فمه ، ثم أرسل المختار رأسه وبقية الرؤوس لمحمد ابن الحنفية⁽¹⁷⁾.

عبيد الله بن زياد يلقب بابن مرجانة ، ومرجانه هي أمه ، كانت مجوسية ، وكان زياد من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فلما استلحقه معاوية صار من أشد الناس بغضا لعلي بن أبي طالب وأولاده ولعل هذا الحقد والبغض متأني من معاوية بن أبي سفيان على اعتباره أخوه حيث استلحقه به ، وعبيد الله ابن زياد هو الذي سير الجيش لقتال الحسين (عليه السلام) بأمر من يزيد بن معاوية ، وهو يومئذ أمير الكوفة وكان جيشه ألف فارس ورأسهم الحر بن يزيد التميمي وعلى مقدمتهم الحصين بن نمير الكوفي ، ثم جرى ما جرى فأمر قتل الحسين واختلفوا في قاتله فقيل : الحصين بن نمير ، وقيل : مهاجر بن أوس التميمي وقيل : كثير ابن عبد الله الشعبي وقيل : شمر بن ذي الجوشن ، وقيل : سنان بن أبي أوس بن عمرو النخعي ، وبالحمل الكل أشترك في قتل ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعند مقتله (عليه السلام) أخذ رأس الإمام الحسين ودفع إلى خولي بن يزيد الاصبحي ، وكان سنان طعنه فوقه ، ثم قال لخولي : احتز رأسه ، فأراد أن يفعل فارعده وضعف ، فقال

له سنان : فت الله عضدك وأبان يديك ، فنزل إليه فذبحه ، وكان ذلك يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة (61هـ) ، ثم حملوا رأس الحسين (عليه السلام) ورؤوس القتلى من أصحابه وأهل بيته إلى عبيد الله بن زياد وهو بالكوفة ، وكانت الرؤوس اثنين وسبعين رأساً حمل خولي بن يزيد رأس الحسين وحملت كندة ثلاثة عشر رأساً ، وهوازن عشرين ، وبنو تميم عشرين ، وبنو أسد سبعة ، ومذحج أحد عشر وكان مع الرؤوس والسبايا شمر بن ذي الجوشن ، وقيس بن الأشعث ، وعمرو بن الحجاج وعروة بن قيس فاقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد ، وبعد أن قدموا برأس الحسين (عليه السلام) على هذا اللعين عبيد الله ابن زياد فجعل الرأس الشريف ، في طست ، فاخذ اللعين يضرب بقضيب له في أنفه الشريف وفي عينيه وجائه الرد من انس بأن أرفع قضيبك فقد رأيت فم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في موضعه وكان (عليه السلام) أشبههم برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويروى إن الصحابي زيد بن أرقم إنه أنكر على ابن زياد فعله المشين ، حيث لاهجه عن نكته بالقضيب ، فقال له : أعل بهذا القضيب عن هاتين الشفتين فو الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، على هاتين الشفتين يقبلهما ، ثم انفضح الشيخ يبكي فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك ، فو الله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك فقام وخرج فسمعت الناس يقولون : والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله ، فقلت ما الذي قال؟ قال : مر بنا وهو يقول : أنتم يا معاشر العرب عبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراكم فبعدا لمن رضي بالذل والعار قلت : فله ذر زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي من أعيان الصحابة غزا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، سبع عشرة غزوة ، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان من خواص أصحابه ، ومات بالكوفة سنة (66هـ) ، ثم إن الله تعالى جازى هذا الفاسق الظالم عبيد الله بن زياد بأن جعل قتله على يدي إبراهيم بن مالك الأشتر يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين على أرض يقال لها الجازر ، بينها وبين الموصل خمسة فراسخ ، وكان المختار بن أبي عبيدة الثقفي أرسله لقتال ابن زياد ولما قتل ابن زياد جيء برأسه وبرؤوس أصحابه وطرحت بين يدي المختار وجاءت حية دقيقة تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وهو ابن زياد وخرجت من منخره ودخلت في منخره وخرجت من فيه ، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه بين الرؤوس ، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) (مخضوباً بالوسمة) والوسمة وهي نبتة يختضب به تميل إلى سواد⁽¹⁸⁾.

حديث رقم (3)

حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للحسين (عليه السلام)

{ حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ زَادَانَ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ مَلِكَ الْمُطَرِّ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ لَأُمَّ سَلَمَةَ : امْلِكِي عَلَيْنَا الْبَابَ ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْنَا أَحَدٌ قَالَ وَجَاءَ الْحُسَيْنُ لِيَدْخُلَ فَمَنْعَتْهُ ، فَوُتِبَ فَدَخَلَ فَجَعَلَ يَقْعُدُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَعَلَى مَنْكِبِهِ وَعَلَى عَاتِقِهِ ، قَالَ فَقَالَ الْمَلِكُ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : أَتُحِبُّهُ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا إِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ وَإِنْ شِئْتَ أَرْبِئُكَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَجَاءَ بِطِينَةِ حَمْرَاءَ ، فَأَخَذَهَا ثُمَّ سَلَمَةَ فَصَرَّتْهَا فِي جِوَاهِرِهَا قَالَ : قَالَ ثَابِتٌ : بَلَعْنَا أَنَّهَا كَرْبَلَاءُ }

تخريج الحديث : تفرد الإمام أحمد في روايته⁽¹⁹⁾.

ترجمة الرواة

1 - عبد الله : ثقة مرت ترجمته⁽²⁰⁾.

2 - أبي : هو الإمام أحمد بن حنبل ثقة مرت ترجمته⁽²¹⁾.

3 - مؤمل : هو مؤمل بن إسماعيل القرشي العدوي أبو عبد الرحمن البصري ، مولى آل عمر بن الخطاب روى عن إبراهيم ابن يزيد الخوزي ، وشعبة ، وفضيل بن عياض ، وآخرين ، روى عنه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلى بن المديني ، وآخرون وثقة يحيى واستشهد به البخاري. وروى له أبو داود في القدر، والباقون سوى مسلم وروى له أبو جعفر الطحاوي ، توفي سنة (205 هـ)⁽²²⁾.

4 - عمارة بن زاذان : هو عمارة بن زاذان الصيدلاني مولى تيم الله بن ثعلبة من أهل البصرة ، كنيته أبو سلمة يروي عن مكحول ، روى عنه موسى بن إسماعيل ، وأهل البصرة وهو من الثقات⁽²³⁾.

5 - ثابت : هو أبو محمد ثابت بن اسلم البناني البصري ولد سنة (43 هـ) كان من سادة التابعين علما وفضلا وعبادة ، حدث عن ابن عمر ، وابن الزبير ، وانس بن مالك وكان من خواصه ، وروى عنه شعبة ، وحماد بن سلمة وحماد ابن زيد ، وغيرهم وقد اثنى عليه المؤرخون ، وتوفي سنة (123 هـ)⁽²⁴⁾.

6 - انس : صاحبي مرت ترجمته⁽²⁵⁾.

الحكم على الحديث : الحديث صحيح لثقة رواه ، واتصال اسناده ، والله أعلم.

شرح الحديث :

استشهد ربحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسبطه وسلالة النبوة مقر المحاسن والمناقب والفتوة أبو عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) في يوم عاشوراء في أرض كربلاء ، وكان عمره (65 سنة) وكان قد رفض إمرة يزيد بن معاوية ، فلم يبايعه ولم يكن هو الوحيد الذي لم يبايع بل كان كل من : عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر أيضا لم يبايعوا ، وقد جاءت كتب أهل الكوفة يحضونه على القدوم عليهم ، وسار في أهل بيته حتى بلغ كربلاء ، فعرض له أعداء الله وقتلوه ، وقتل معه ولداه علي الأكبر وعبد الله وإخوته جعفر ومحمد والعباس ، وابن أخيه قاسم بن الحسن ، وأولاد عمه ، وابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعن الحسن البصري قال أصيب مع الحسين بن علي ستة عشر رجلاً من أهل بيته ما على وجه الأرض لهم شبيه ، وقيل إنه قتل مع الحسين بن علي من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً غير من قتل منهم من غيرهم ، وقيل إن ابن زياد كان قد بعث على الجيش أميراً وهو الحر بن يزيد الرياحي ، لما حقت له الحقائق ورأى الأمر يؤول إلى ما آل تاب وانحاز إلى فئة الحسين ، وقاتل معهم حتى قتل ، وجز رأس الحسين بعض الفجرة الفاسقين، وحمله إلى ابن زياد ودخل به عليه وهو يقول :

أقر ركابي فضة وذهباً ===== أنا قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأباً ===== وخيرهم إذ يذكرون النسبا

ولما قتل الحسين وأصحابه سبقت حریمهم وحریم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما تساق الأسارى قاتل الله فاعل ذلك ، وفيهن جمع من بنات الحسين ، وبنات علي (عليهم السلام) وكأنهن لا تربطن أي قرابة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعهن زين العابدين مريضاً ، ويروى أنه لما قتل السادة الأخيار مال الفجرة الأشرار إلى خيام الحریم المصونة ، وهتكوا الأستار ، فقال بعض من حضر : ويلكم إن لم تكونوا أتقياء في دينكم ، فكونوا أحراراً في دنياكم ، وذكروا مع ذلك ما يعظم من الزندقة والفجور؛ وهو أن عبید الله بن زياد أمر أن يقور الرأس المشرف المكرم حتى ينصب في الرمح ، فتحامى الناس عن ذلك ، فقام من بين الناس رجل يقال له طارق بن المبارك بل هو ابن المشؤم المذموم ، فقوره ونصبه بباب المسجد الجامع وخطب خطبة لا يحل ذكرها ثم دعا بزياد بن حر بن قيس الجعفي فسلم إليه رأس الحسين (عليه السلام) ورؤوس اخوته وبنيه وأصحابه ثم دعا بعلي بن الحسين ، فحمله وحمل عماته وأخواته إلى يزيد على محامل بغير وطاء ، والناس يخرجون إلى لقائهم في كل بلد ومنزل حتى قدموا دمشق ، ودخلوا من باب توما وأقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السي ، ثم وضع الرأس المكرم بين يدي يزيد ، فأمر أن يجعل في طست من ذهب وجعل ينظر إليه ويقول مفتخراً بما إليه من الخزي نقل يقول.

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة ===== وأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما

يلقى هاماً من رجال أعزة ===== علينا وهم كانوا أغر وأظلماً⁽²⁶⁾.

حديث رقم (4)

اخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمقتل الحسين وأول من بكاه

{ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، حَدَّثَنَا شُرَيْبُ بْنُ مُدْرِكٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُجَيْمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ سَارَ مَعَ عَلِيٍّ وَكَانَ صَاحِبَ مِطْهَرَتِهِ ، فَلَمَّا حَادَى نَيْنَوَى وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى صِفِّينَ ، فَنادى عَلِيٌّ : اصْبِرْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، اصْبِرْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، بِشَطِّ الْفُرَاتِ قُلْتُ : وَمَاذَا قَالَ ؟ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَاتَ يَوْمٍ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْضَبَكَ أَحَدٌ ، مَا شَأْنُ عَيْنَيْكَ تَفِيضَانِ؟ قَالَ : بَلْ قَامَ مِنْ عِنْدِي جَبْرِيلُ قَبْلُ فَحَدَّثَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ يُقَاتِلُ بِشَطِّ الْفُرَاتِ قَالَ : فَقَالَ : هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ أُشَمَّكَ مِنْ تُرْبَتِهِ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ فَمَدَّ يَدَهُ فَقَبِضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَأَعْطَانِيهَا ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي أَنْ فَاضَتْ }

تخریج الحديث : تفرد الإمام أحمد في رواته⁽²⁷⁾.

ترجمة الرواة :

1 - محمد بن عبيد : هو محمد بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي الكوفي الأحدب ولد سنة (124هـ) ، ثقة حافظ وثقه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، والعجلي ، النسائي الدارقطني وكان حديثه أربعة آلاف يحفظها ، قال علي بن المديني يقول : كان كيساً ، وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث صاحب سنة ، توفي سنة (204هـ)⁽²⁸⁾.

2 - شرحبيل بن مدرك : هو شرحبيل بن مدرك الجعفي الكوفي ثقة ، روى عن عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن نجى الحضرمي ، وأبيه مدرك الجعفي ، روى عنه أبو أسامة حماد بن أسامة ، ومحمد بن عبيد الطنافسي⁽²⁹⁾.

3 - عبد الله بن نجى : هو عبد الله بن نجى الحضرمي ، روى عن أبيه ، وعلي ، وعمار ، وعنه أبو زرعة البجلي والحرث العكلي ، وثقه النسائي⁽³⁰⁾.

4 - أبيه : هو نجى بن سلمة بن جشم بن أسد بن خلبية بن شاجي بن موهب بن أسد بن جعشم بن حريم من حضرموت ، روى عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، روى عنه ابنه عبد الله بن نجى ، والحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)⁽³¹⁾.

الحكم على الحديث : الحديث صحيح لثقة رواه ، واتصال اسناده ، والله أعلم.

شرح الحديث :

ينقل عندما قتل سيد شباب أهل الجنة (عليه السلام) أن السماء مكثت سبع ليال بآيامهن كأنها علقه وعندما أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) من صفين ، فنزل كربلاء ، فصلى صلاة الفجر ، ثم قال : يقتل هنا قوم يدخلون الجنة بغير حساب ، وينقل أيضا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه سار حتى انتهى إلى كربلاء فنزل إلى شجرة فصلى إليها ، فأخذ ترية من الأرض ، فشمها ، ثم قال : واهاً لك ترية ، ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب وحياة الإمام الحسين (عليه السلام) مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخيه الإمام الحسن (عليه السلام) فقد كان في المدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة ، فشهد معه الجمل ثم صفين ثم قتال البغاه الخوارج ، وبقي معه إلى أن قتل ، ثم مع أخيه إلى أن آل الأمر إلى معاوية ، فتحول مع أخيه إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية ، فخرج إلى مكة ، ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب (عليه السلام) ، فأخذ بيعتهم وأرسل إليه فتوجه وعندما مات معاوية ، كان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة ، فأرسل إلى الحسين بن علي (عليه السلام) ليأخذ بيعته ، ليزيد بن معاوية فرفض الإمام (عليه السلام) فخرج من المدينة إلى مكة ، فأتاه رسل أهل الكوفة فقالوا أنا قد حبسنا أنفسنا عليك ، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي ، فاقدم علينا ، وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة ، فبعث الحسين بن علي إلى ابن عمه مسلم بن عقيل ، فقال له : سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلى ، فإن كان حقا قدمت عليهم ، فخرج مسلم حتى أتى المدينة ، فأخذ منها دليلين ، فمرا به في البرية فأصابهم عطش ، فمات أحد الدليلين ، وكتب مسلم إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يستعفيه ، فأبى أن يعفيه وكتب إليه أن امض إلى الكوفة ، فخرج حتى قدمها ، فنزل على رجل من أهلها يقال له : عوسجة ، فلما تحدث أهل الكوفة بقدمه دبوا إليه ، فبايعه منهم اثنا عشر ألفا ، فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية ، يقال له عبيد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي إلى النعمان بن بشير ، فقال له : إنك لضعيف أو مستضعف ، قد فسد البلد فقال له النعمان : لأن أكون ضعيفا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قويا في معصية الله وما كنت لأهتك ستر ستره الله فكتب بقوله إلى يزيد بن معاوية ، فدعا يزيد مولى له يقال له مرجون قد كان يستشيريه ، فأخبره الخبر ، فقال له : أكنت قابلا من معاوية لو كان حيا؟ قال : نعم قال : فأقبل مني إنه ليس

للكوفة إلا عبيد الله بن زياد فولها إياه ، وكان يزيد عليه ساخطا ، وكان قد هم بعزله ، وكان على البصرة فكتب إليه برضاه عنه وأنه قد ولاه الكوفة مع البصرة ، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل ويقتله إن وجدته فأقبل عبيد الله بن زياد في وجوه البصرة حتى قدم الكوفة مثلثا ، فلا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا : وعليك السلام يا ابن رسول الله ، وهم يظنون أنه الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) النزل القصر، فدعا مولى له فأعطاه ثلاث مئة ألف درهم ، وقال : اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايع أهل الكوفة ، فأعلمه أنك رجل من أهل حمص، جئت لهذا الأمر ، وهذا مال تدفعه إليه ليقوى به فخرج الرجل ، فلم يزل يتلطف به ويفرق حتى دل على شيخ يلي البيعة فقال له الشيخ : لقد سرتي لقاءك إياي ولقد ساءني ذلك ، فأما ما سرتي من ذلك فم اهداك الله له وأما ما ساءني فإن أمرنا لم يستحكم بعد، فأدخله على مسلم، فأخذ منه المال وبايعه ورجع إلى عبيد الله فأخبره وتحول مسلم حين قدم عبيد الله من الدار التي كان فيها إلى دار هانئ بن عروة المرادي وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن علي بن عبيد الله بن زياد فقال له : ما بال هانئ بن عروة لم يأتي فيمن أتى؟ قال : فخرج إليه الأشعث في أناس منهم ، فأتوه وهو على باب داره فقالوا له : إن الأمير قد ذكرك واستبطأك فانطلق إليه ، فلم يزالوا به حتى ركب معهم فدخل على عبيد الله بن زياد وعنده شريح القاضي فلما نظر إليه ، قال لشريح : أتت بكائن رجلاه فلما سلم عليه قال له : يا هانئ أين مسلم؟ قال : ما أدري. قال فأمر عبيد الله صاحب الدراهم يخرج إليه ، فلما رآه قطع به وقال : أصلح الله الأمير، والله لو كان تحت قدمي ما رفعته عنه. قال أدنوه إلي قال فأدني ، فضربه بقضيب، فشج حاجبه وأهوى إلى سيف شرطي ليستله فدفع عن ذلك وقال له : قد أحل الله دمك، وأمر به فجلس في جانب القصر فبلغ الخبر إلى مذحج ، فإذا على باب القصر حلبة فسمعها عبيد الله فقال : ما هذا؟ قالوا : مذحج فقال لشريح اخرج إليهم ، فأعلمهم أنني إنما حبسته لأسأله ، وبعث عينا عليه من مواليه يسمع ما يقول ، ومرو بهانئ ، وقال له هانئ : يا شريح : اتق الله ، فإنه قاتلني فخرج شريح حتى وقف على باب القصر فقال : لا بأس عليه ، إنما حبسه الأمير ليسأله فقالوا : صدق ، ليس على صاحبكم بأس قال فتفرقوا وأتى مسلما الخبر ، فنادى بشعاره فاجتمع عليه أربعون ألفا من أهل الكوفة ، فقدم مقدمة ، وهيا ميمنة وميسرة وسار في القلب إلى عبيد الله وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر وسار إليه مسلم وانتهى إلى باب القصر فأشرفوا من فوقه على عشائهم فجعلوا يكلمونهم ويردوهم فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى أمسى في خمس مئة ، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضا ، فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده تردد في الطريق فأتى بابا ، فخرجت إليه امرأة فقال لها : اسقني ماء ، فسقته ماء ، ثم دخلت فمكثت ما شاء الله ثم خرجت، فإذا هو على الباب ، فقالت : يا عبد الله : إن مجلسك مجلس ريبة ، فقم فقال لها : إني مسلم بن عقيل ، فهل عندك مأوى؟ قالت : نعم ، فدخل وكان ابنها مولى ل محمد بن الأشعث فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد بن الأشعث وأخبره الخبر ، فبعث عبيد الله صاحب شرطته ومعه محمد بن الأشعث ، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار فلما رأى ذلك خرج بسيفه ، فقاتلهم ، فأعطاه محمد بن الأشعث الأمان ، فأمكن من يده ، فجاء به إلى عبيد الله فأمر به ، فأصعد إلى أعلى القصر ، فضرب عنقه ، وألقى جثته إلى الناس ، وأمر بهانئ ، فسحب إلى الكناسة فصلب هناك ، فقال شاعرهم في ذلك⁽³²⁾.

فإن كنت لا تدريين ما الموت فانظري ===== إلى هانئ في السوق وابن عقيل⁽³³⁾.

وأقبل الحسين بكتاب مسلم بن عقيل إليه ، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحر بن زيد التميمي فقال له : أين تريد؟ قال : أريد هذا العصر قال له : ارجع ، فإني لم أدع لك خلفي خيرا أرجوه ، فهم أن يرجع ، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا: لا والله لا نرجع حتى نصيب من تأرنا أو نقتل. قال: لا خير في الحياة بعدكم فسار فلقيته أول خيل عبيد الله ، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء ، وأسند ظهره إلى قضبا حتى لا يقاتل إلا من وجه واحد فنزل ، وضرب أبنيته ، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارسا ونخوا من مئة راجل ، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيد الله بن زياد الري وعهد إليه فدعاه ، فقال له اكفني هذا الرجل ، فقال له : اعفني فأبى أن يعفوه ، قال فأنظري الليلة فأخر ، فنظر في أمره ، فلما أصبح غدا إليه راضيا بما أمره ، فتوجه عمر بن سعد إلى الحسين بن علي ، فلما أتاه قال له الحسين ، اختر واحدة من ثلاث : إما أن تدعوني فألحق بالثغور ، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد وإما أن تدعوني فأذهب من حيث جئت فقبل ذلك عمر بن سعد ، وكتب بذلك إلى عبيد الله ، فكتب إليه عبيد الله : لا ولا كرامة ، حتى يضع يده في يدي فقال الحسين (عليه السلام) : لا والله لا يكون ذلك أبدا فقاتله فقتل أصحابه كلهم ، وفيهم بضعة عشر شابا من أهل بيته ، ويحيى سهم فيقع بآبن له صغير في حجره لم يبلغ الستة أشهر ، فجعل يمسح الدم عنه ، ويقول اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم يقتلوننا ، ثم أمر بسرّاويل حبرة ، فشققها ثم لبسها ، ثم خرج بسيفه فقاتل حتى قتل ، وحز رأسه فانطلق به إلى عبيد الله بن زياد فوفده إلى يزيد ومعه الرأس ، فوضع بين يديه وشرح عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى عبيد الله ، ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين إلا غلام ، وكان مريضا مع النساء ، فأمر به عبيد الله ليقتل ، فطرحته زينب بنت علي نفسها عليه ، وقالت لا يقتل حتى تقتلوني فتركه ثم جهزه وحملهم إلى يزيد ، فلما قدموا عليه ، جمع من كان بحضرته من أهل الشام ثم أدخلوا عليه فهنؤوه بالفتح ، فقال رجل منهم ، ونظر إلى وصيفة من بناتهم ، فقال يا أمير المؤمنين هب لي هذه فقالت زينب : لا والله ، ولا كرامة لك ولا له إلا أن يخرج من دين الله ، فأعادها الأزرق ، فقال له يزيد كف وحملهم إلى المدينة ، فلما دخلوا خرجت امرأة من بنات عبد المطلب وأضعة كفها على رأسها تتلقاهم وتبكي وتقول

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ===== ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد معتقدي ===== منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدمي

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ===== أن تخلفوني بشر في ذوي رحمي⁽³⁴⁾.

كان ابن عمر قد قدم على المدينة ، فبلغه أن الحسين قد توجه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ليلتين ، فنهاه فقال هذه كتبهم وبيعتههم فقال : إن الله خير نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وإنكم بضعة منه ، لا يليها أحد منكم ، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم ، فأبى ، فاعتنقه ابن عمر وقال أستودعك الله من قتيل⁽³⁵⁾. وروي إنه لما قتل الإمام الحسين (عليه السلام) أسودت السماء ، وظهرت الكواكب نهارا ، وعندما ستشهد الإمام الحسين (عليه السلام) أنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط وروي أيضا أن قوم من معسكر عمر بن سعد بن أبي وقاص أصابوا إبلا في عسكر الإمام الحسين (عليه السلام) يوم قتل فنحروها وطبخوها ، فصارت مثل العلقم من شدة الحرارة فما استطاعوا أن يسيغوها منها وقال إبراهيم النخعي : ولو كنت ممن قاتل الحسين ثم أدخلت الجنة لاستحييت أن انظر إلى وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقد ناححت الجن على الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) ، وعن أبي رجاء العطاردي قال لا تسبوا أهل هذا البيت ، فإنه كان لنا

جار قدم علينا من الكوفة قال : أما ترون إلى هذا الفاسق ابن الفاسق يقصد الإمام الحسين (عليه السلام) قتله الله ، فرماه الله بكوكبين في عينيه ، فذهب بصره ، وروي إنه من ما من أحد اشترك في قتل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) إلا مات بأسوأ ميتة ، وقيل : لما قتل الإمام الحسين (عليه السلام) بن علي ، سمع مناد ينادي ليلا يسمع صوته ولم ير شخصه

عقرت ثمود ناقة فاستوصلوا ===== وجرت سوانحهم بغير الأسعد

فبنو رسول الله أعظم حرمة ===== وأجل من أم الفضيل المقعد

عجبا لهم لما أتوا لم يمسخوا ===== الله يملئ للطغاة الجحد

وقضى الله عز وجل أن قُتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة (67هـ) ، قتله إبراهيم مالك الأشتر في الحرب وبعث برأسه إلى المختار الثقفي ، ومن ثم إلى علي بن الحسين (عليه السلام)⁽³⁶⁾.

إن ما جرى على الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وما جرى على أهل بيته وأصحابه البررة من بني أمية قد بينه رسول الله (صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم) كما رواه الحاكم حيث قال : {إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتة قتلاً وتشريداً ، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم}⁽³⁷⁾.

وكأنما الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وأهل بيته هم رأس الكفر والإشراك بحث فعلوا بالإمام وأهل بيته ما لم يفعل بكفار قريش ولا بوجد فاصل زماني بعيد بين رسول الله وحفيده الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) فكيف لو كان هنالك فاصلة زمنية بعيدة المدى ما كان فعل يزيد وآل أمية ببني هاشم وعتره الرسول الأكرم (صلوات الله عليه).

حديث رقم (5)

حزن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على مقتل الحسين

{ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فِي الْمَنَامِ يَنْصِفُ النَّهَارَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَعَهُ قَارُورَةٌ فِيهَا دَمٌ يَلْتَقِطُهُ أَوْ يَتَّبِعُ فِيهَا شَيْئًا قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ : دَمُ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ لَمْ أَزَلْ أَتَّبَعُهُ مُنْذُ الْيَوْمِ قَالَ عَمَّارٌ : فَحَفِظْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فَوَجَدْنَاهُ قُتِلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ }

تخريج الحديث : تفرد الإمام أحمد برواته⁽³⁸⁾.

ترجمة الرواة

1 - عبد الرحمن : عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري أبو سعيد البصري الحافظ الإمام العلم ثقة كثير الحديث ، روى عن مالك ، وشعبة حماد بن سلمة ، وآخرين ، وروى عنه ابن المبارك أحمد ، وإسحاق وعلي ويحيى بن معين ، وآخرون ، قال علي بن المديني : لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت بالله إني لم أر أحدا قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي وهو أعلم الناس ، وثقه الدارقطني توفي سنة (198هـ)⁽³⁹⁾.

2 - حماد بن سلمة : هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة مولى ربيعة بن مالك ، روى عن قتادة وابن أبي مليكة ، وثابت ، روى عنه ابن المبارك ، ويحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم ، وثقه يحيى بن معين⁽⁴⁰⁾.

3 - عمار بن أبي عمار : هو عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم ، يعد في المكيين ، سمع عبد الله بن عباس وأبا قتادة ، وأبا هريرة ، روى عنه : عطاء بن أبي رباح ، وشعبة ، وحماد بن سلمة وغيرهم⁽⁴¹⁾.

4 - ابن عباس : صحابي مشهور⁽⁴²⁾.

الحكم على الحديث : الحديث صحيح لثقة رواه ، واتصال اسناده ، والله أعلم.

شرح الحديث : في الحقيقة إن مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) فإن مقتله (عليه السلام) كالتفتت الذي لا يرتق و الثلمة التي لم تسد و الصدع الذي لم يرأب ، إنه جرح الأمة الإسلامية النازف في فلذة كبدها والتي لا تزال تتألم من المرارة و الحسرة واللوعة منه، إنه مقتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في لحظة من أحرج اللحظات وأصعبها على أمة الإسلام والمسلمين والتي أخبر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأمة بما علمه من ربه عز وجل يعتبر استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) نقطة تحول في التاريخ الفكري والعقدي في هذه الأمة ، لأن الحسين ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا الشيء ليس بالسهل على هذه الأمة الذي يتحمل مسؤولية مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) أطراف عديدة في مقدمتهم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان⁽⁴³⁾.

حديث رقم (6)

الإمام الحسين (عليه السلام) الإمتداد الطبيعي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

{ حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حُثَيْمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ ، عَنْ يَعْلَى الْعَامِرِيِّ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى طَعَامٍ دُعُوا لَهُ ، قَالَ : فَاسْتَمَثَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (قَالَ عَفَّانُ : قَالَ وَهَيْبٌ : فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَمَامَ الْقَوْمِ وَحُسَيْنٌ مَعَ غُلَمَانٍ يَلْعَبُ ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَأْخُذَهُ قَالَ : فَطَفِقَ الصَّبِيُّ يَفِرُّ هَاهُنَا مَرَّةً ، وَهَاهُنَا مَرَّةً فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ قَالَ : فَوَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ قَفَاهُ وَالْأُخْرَى تَحْتَ ذَقْنِهِ ، فَوَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ ، فَقَبَّلَهُ وَقَالَ : حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سَبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ }

تخريج الحديث : رواه الإمام أحمد⁽⁴⁴⁾ ، وابن شيبه⁽⁴⁵⁾ ، وابن ماجه⁽⁴⁶⁾ ، والترمذي⁽⁴⁷⁾ ، والطبري⁽⁴⁸⁾ ، والحاكم⁽⁴⁹⁾.

ترجمة الرواة :

1 - عفان : هو عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار أبو عثمان البصري ، روى عن عبد الله بن بكر المزني وشعبة ووهيب بن خالد ، وغيرهم ، وروى عنه البخاري ، وعبد الله الدارمي ، وأحمد بن حنبل ، وآخرون

ثقة متقن متين ، توفي سنة (219هـ)⁽⁵⁰⁾.

2 - وهيب : هو وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي أبو بكر من حفاظ البصرة ، روى عن جعفر الصادق وابن جريح وعمرو بن يحيى المازني ، وغيرهم ، وروى عنه إسماعيل بن علي ، وابن المبارك ، وعفان وغيرهم كان من الثقات ، كثير الحديث حجة توفي سنة (165هـ)⁽⁵¹⁾.

3 - عبد الله بن عثمان بن خثيم : هو عبد الله بن عثمان بن خثيم القاري أبو عثمان روى عن ابن أبي مليكة في دلائل النبوة ، روى عنه يحيى بن سليم ، ثقة ، توفي سنة (132هـ)⁽⁵²⁾.

4 - سعيد بن أبي راشد : له صحبة⁽⁵³⁾.

5 - يعلى العامري : هو يعلى بن مرة صحابي⁽⁵⁴⁾.

الحكم على الحديث : الحديث صحيح لثقة رواه ، واتصال اسناده ، والله أعلم.

شرح الحديث :

في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (حسين مني وأنا من حسين) كأنه (عليه الصلاة والسلام) علم بنور الوحي ما سيحدث بين حفيده سيد شباب أهل الجنة وبين القوم فخصه بالذكر وبين أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمخارطة ، وأكد ذلك بقوله : (أحب الله من أحب حسينا) فإن محبته محبة الرسول ، ومحبة الرسول محبة الله ، وقد بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إن الحسين بن علي (عليه السلام) هو من أولاده ، أكد به وقررها⁽⁵⁵⁾. وكما سمي أولاد نبي الله يعقوب بالأسباط ، فكذلك الحسن والحسين أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك منهم وأولادها أولاده إلى يوم القيامة⁽⁵⁶⁾.

لقد أكد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله (حسين مني ، وأنا من حسين) على وجوب محبة الإمام الحسين وحرمة التعرض له ومخارطته ، بدليل قوله : (أحب الله من أحب حسينا) فإن محبته (عليه السلام) محبة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومحبة الرسول محبة الله عز وجل⁽⁵⁷⁾.

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينطق عن الهوى كما في صريح القرآن الكريم فقوله : (حسين مني وأنا من حسين) إنما هو وحي من الله وهذا مما لا شك فيه⁽⁵⁸⁾. والسبب المقصود به في الحديث الشريف هو الحفيد⁽⁵⁹⁾.

لقد أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : (حسين مني وأنا من حسين) أي بيننا من الاتحاد والاتصال ما يصح أن يقال كل منهما من الآخر وفي قوله (سبط) فائدة وهي الإخبار وبيان أنه حقيق بذلك وأهل له وليس من الأولاد الذين ينفي نسبهم عن الآباء كما قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود : 46]⁽⁶⁰⁾.

- (1) مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى سنة : 241هـ) حققه شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، وآخرون ، إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، 1421هـ ، 2001م : 464/2 ، مسند (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، رقم الحديث (1370).
- (2) ينظر : المعلم بشيوخ البخاري ومسلم : محمد بن إسماعيل بن خلفون (المتوفى سنة : 636هـ) حققه : عادل بن سعد دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة : الأولى : 183 - 184 ، رقم الترجمة (157) ، وينظر : تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (673 - 748 هـ) ، حققه غنيم عباس غنيم ، مجدي السيد أمين ، الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى ، 1425 هـ ، 2004 م 292/3 ، رقم الترجمة (2022).
- (3) ينظر : سير أعلام النبلاء : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة : 748هـ) حققه مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ، 1405 هـ 1985 م : 310 / 8 - 312 ، رقم الترجمة (82).
- (4) ينظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة : 748هـ) حققه علي محمد البحاي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان الطبعة : الأولى ، 1382هـ ، 1963م : 484/2 - 485 ، رقم الترجمة (4536).
- (5) ينظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة : 748هـ) حققه : الدكتور بشار عوَّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي الطبعة : الأولى 2003 م 994/2 ، رقم الترجمة (134).
- (6) ينظر : معجم الصحابة : عبد الباقي بن قانع البغدادي (المتوفى سنة : 351هـ) ، حققه صلاح بن سالم المصري ، مكتبة الغريب الأثرية - المدينة المنورة الطبعة : الأولى 1418 : 259/2 ، رقم الترجمة (775).
- (7) ينظر : إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع : أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ (المتوفى سنة : 845هـ) ، حققه : محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى 1420هـ ، 1999م : 275/2.
- (8) مسند الإمام أحمد : 285/21 ، مسند (انس بن مالك) ، رقم الحديث (13748).
- (9) صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري ، حققه : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ، 1422هـ : 26/5 ، كتاب (أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) ، باب (مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما) ، رقم الحديث (3748).

- (10) ينظر : الجرح والتعديل : عبد الرحمن بن محمد ، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى سنة : 327هـ) طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت الطبعة : الأولى ، 1271هـ ، 1952م ، وينظر تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى سنة : 852هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة الأولى ، 1326هـ : 141/5 - 143 ، رقم الترجمة (246).
- (11) ينظر : إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال : مغلاطي بن قليج المصري (المتوفى سنة : 762هـ) ، حققه أبو عبد الرحمن عادل بن محمد ، أبو محمد أسامة بن إبراهيم الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى 1422هـ ، 2001م : 114/1 - 139 ، رقم الترجمة (143) ، وينظر : غاية النهاية في طبقات القراء : محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى سنة : 833هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ 112/1 ، رقم الترجمة (515).
- (12) ينظر : تهذيب الأسماء واللغات : محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى سنة : 676هـ) عنيته بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان : 164 / 1 - 165 ، رقم الترجمة (125).
- (13) ينظر : التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح : سليمان بن خلف الأندلسي (المتوفى سنة : 474هـ) ، حققه : د. أبو لبابة حسين ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى 1406 هـ 1986 م : 458/1 ، رقم الترجمة (197).
- (14) ينظر : رجال صحيح مسلم : أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم (المتوفى سنة : 428هـ) حققه : عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1407 : 178/2 - 179 ، رقم الترجمة (1440).
- (15) ينظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة : علي بن أبي الكرم ابن الأثير (المتوفى سنة : 630هـ) حققه علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، سنة النشر 1415هـ ، 1994 م 294/1 ، رقم الترجمة (258).
- (16) ينظر : الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري : أحمد بن إسماعيل (المتوفى سنة : 893هـ) حققه أحمد عزو عناية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1429 هـ ، 2008 م : 491 / 6
- (17) ينظر : ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري : أحمد بن محمد شهاب (المتوفى سنة : 923هـ) المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، الطبعة السابعة ، 1323 هـ : 134 / 6
- (18) ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري : محمود بن أحمد العيني (المتوفى سنة : 855هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت : 240 - 241 ، وينظر : فيض الباري على صحيح البخاري محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري (المتوفى سنة : 1353هـ) ، حققه : محمد بدر عالم الميرتقي أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل (جمع الأمالي وحررها

ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري) دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1426 هـ ، 2005 م : 491/4.

(19) مسند الإمام أحمد بن حنبل : 172/21 ، مسند (انس بن مالك) ، رقم الحديث (13539).

(20) ينظر : صفحة (5).

(21) ينظر : صفحة (5).

(22) ينظر : مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار : محمود بن أحمد العيني (المتوفى سنة : 855هـ) حققه : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان الطبعة : الأولى ، 1427 هـ 2006 م : 99/3 ، رقم الترجمة (2419).

(23) ينظر : تاريخ الثقات : أحمد بن عبد الله العجلي الكوفي (المتوفى سنة : 261هـ) ، دار الباز ، الطبعة الأولى 1405هـ ، 1984م : 353 ، رقم الترجمة (1213) ، وينظر : الثقات لابن حبان : محمد بن حبان أبو حاتم (المتوفى سنة : 354 هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1419 هـ ، 1998 م : 2.

(24) تاريخ إربل : المبارك بن أحمد بن المبارك ، المعروف بابن المستوفي (المتوفى سنة : 637هـ) ، حققه سامي بن سيد خماس الصقار ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، عام النشر : 1980 م : 268/2 رقم الترجمة (8).

(25) صفحة (6).

(26) ينظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان : عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (المتوفى سنة : 768هـ) ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1417 هـ ، 1997 م : 106 / 111.

(27) مسند الإمام أحمد : 77/2 ، مسند (علي بن أبي طالب) ، رقم الحديث (648).

(28) ينظر : قبول الأخبار ومعرفة الرجال : عبد الله بن أحمد بن محمود (المتوفى سنة : 319 هـ) حققه : أبو عمرو الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ 2000 م : 406/1 ، رقم الترجمة (75).

(29) ينظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 428/12 ، رقم الترجمة (2720) ، وينظر : تقريب التهذيب أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى سنة : 852 هـ) حققه : أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني ، دار العاصمة : 434 ، رقم الترجمة (2770).

- (30) ينظر : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة : 748هـ) ، حققه : محمد عوامة أحمد الخطيب ، دار القبلية للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن جدة ، الطبعة : الأولى ، 1413هـ ، 1992 م : 603/1 ، رقم الترجمة (3021).
- (31) ينظر : المنهل العذب المورد شرح سنن الإمام أبي داود : محمود محمد خطاب ، عني بتحقيقه وتصحيحه أمين محمود محمد خطاب ، مطبعة الاستقامة ، مصر ، الطبعة : الأولى ، 1353 هـ : 310/9 - 312.
- (32) المؤلف والمختلف : علي بن عمر الدارقطني (المتوفى سنة : 385هـ) ، حققه : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1406هـ ، 1986م : 312/1.
- (33) ينظر : شرح نقائض جرير والفرزدق : أبو عبيدة معمر بن المثنى (برواية البيهقي عن السكري عن ابن حبيب عنه) ، حققه : محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات ، الطبعة الثانية ، 1998م : 424/2.
- (34) ينظر : البدء والتاريخ : المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى سنة : 355هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد : 12/6.
- (35) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل : أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (المتوفى سنة : 571 هـ) ، حققه : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري دار الفكر ، سنة النشر : 1995 ، بيروت : 202/14 ، وينظر : النظرات الوقادة في خروج الحسين بن علي رضي الله عنه واستشهاده : مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني ، مطابع بهادر ، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى ، 1430 هـ : 31.
- (36) ينظر : كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري : محمد الحضر بن سيد عبد الله الشنقيطي (المتوفى سنة : 1354هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1415هـ ، 1995م : 183/5 - 191 وينظر : المنهل العذب المورد شرح سنن الإمام أبي داود : محمود محمد خطاب السبكي ، عني بتحقيقه وتصحيحه : أمين محمود ، مطبعة الاستقامة ، مصر الطبعة : الأولى ، 1351 ، 1353 هـ : 310/9 - 312.
- (37) المستدرك على الصحيحين : الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي المعروف بابن البيع (المتوفى سنة : 405هـ) ، حققه : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة : الأولى ، 1411 - 1990 : 534/4 ، باب (أما حديث أبي عوانة) ، رقم الحديث (8500).
- (38) مسند الإمام أحمد : 59/4 ، مسند (عبد الله بن عباس بن عبد المطلب) ، رقم الحديث (2165).
- (39) ينظر : تهذيب التهذيب : 279/6 - 281 ، رقم الترجمة (552) ، وينظر : موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلمه : مجموعة من المؤلفين (الدكتور محمد مهدي المسلمي - أشرف منصور عبد الرحمن - عصام عبد الهادي محمود - أحمد عبد الرزاق عيد - أيمن إبراهيم الزامل - محمود محمد خليل) الطبعة الأولى ، 2001 م ، عالم الكتب للنشر والتوزيع - بيروت : 406/2 - 407 ، رقم الترجمة (2137).

- (40) ينظر : الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (المتوفى سنة : 1396هـ) دار العلم للملايين ، الطبعة : الخامسة عشر 2002 م : 272/2 ، وينظر : موسوعة أفعال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلمه ، جمع وترتيب : السيد أبو المعاطي النوري ، أحمد عبد الرزاق عيد محمود محمد خليل ، دار النشر عالم الكتب ، الطبعة : الأولى ، 1417 هـ 1997 م : 297/1 - 301 ، رقم الترجمة (615).
- (41) ينظر : تلخيص المتشابه في الرسم : أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى سنة : 463هـ) ، حققه سكينه الشهابي ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ، الطبعة : الأولى ، 1985 م : 673/2.
- (42) ينظر : معرفة الصحابة : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى سنة : 430هـ) ، حققه : عادل بن يوسف العازي ، دار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة : الأولى 1419 هـ ، 1998 م : 1699/3.
- (43) ينظر : استشهاد الحسين (رضوان الله عليه) بين الحقائق والأوهام : علي محمد محمد الصلّابي المصدر: الشاملة الذهبية 51: - 56.
- (44) مسند الإمام أحمد بن حنبل : 102/29 ، مسند الشاميين ، حديث يعلى بن مرة الثقفي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) رقم الحديث (17561).
- (45) مسند ابن أبي شيبة : ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد العبسي (المتوفى سنة : 235هـ) ، حققه عادل بن يوسف العازي و أحمد بن فريد المزيدي ، دار الوطن - الرياض ، الطبعة : الأولى ، 1997 م : 307/2 ، رقم الحديث (807).
- (46) سنن ابن ماجه : ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى سنة : 273هـ) ، حققه : شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله ، دار الرسالة العالمية ، الطبعة : الأولى 1430 هـ ، 2009 م : 101/1 ، رقم الحديث (143).
- (47) سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أبو عيسى (المتوفى سنة : 279هـ) ، تحقيق وتعليق وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، الطبعة الثانية ، 1395 هـ - 1975 م : 658/5 ، رقم الحديث (3775).
- (48) المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (المتوفى سنة : 360هـ) ، حققه : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية : 33/3.
- (49) المستدرك على الصحيحين : 194/3 ، رقم الحديث (4820).
- (50) سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (المتوفى سنة : 275هـ) ، حققه : محمد علي قاسم العمري ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، السعودية الطبعة : الأولى ، 1403 هـ ، 1983 م : 236 وينظر : الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات : بركات بن أحمد بن

محمد الخطيب ، أبو البركات ، زين الدين ابن الكيال (المتوفى سنة : 929هـ) حققه عبد القيوم عبد رب النبي ، دار المأمون . بيروت الطبعة : الأولى ، 1981م : 389 – 390 ، رقم الترجمة (31).

(51) ينظر : التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى سنة : 774هـ) ، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن الطبعة: الأولى ، 1432 هـ ، 2011 م 144/2 ، رقم الترجمة (1102) ، وينظر : تهذيب التهذيب 169/11 – 170 ، رقم الترجمة (291).

(52) الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى سنة : 230هـ) ، حققه إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى 1968م : 487/5 ، وينظر : رجال صحيح مسلم : أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم ، أبو بكر ابن منجويه (المتوفى سنة : 428هـ) ، حققه : عبد الله الليثي ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة : الأولى 1407 : 377/1 ، رقم الترجمة (827).

(53) ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (المتوفى سنة : 852 هـ) ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1412 هـ حققه : علي محمد البحايي : 102/3 ، رقم الترجمة (3257).

(54) ينظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى سنة : 463 هـ) ، حققه : علي محمد معوض – عادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية الطبعة : الأولى ، 1415 : 149/4 ، رقم الترجمة (2848).

(55) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) : شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ) ، حققه : د. عبد الحميد هندواي ، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة : الأولى ، 1417 هـ ، 1997 م : 3914/12.

(56) المفاتيح في شرح المصابيح : الحسين بن محمود بن الحسن المظهري (المتوفى سنة : 727 هـ) تحقيق ودراسة : لجنة مختصة من المحققين بإشراف : نور الدين طالب ، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية ، الطبعة : الأولى ، 1433 هـ ، 2012 م : 328/6.

(57) ينظر : مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه : محمد بن علي بن آدم ، دار المغني، الرياض – السعودية ، الطبعة : الأولى ، 1427 هـ ، 2006 م 339/3 – 340.

(58) ينظر : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى سنة : 1353هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت : 190/10.

(59) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن سلطان محمد القاري (المتوفى سنة : 1014هـ) دار الفكر بيروت ، لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1422 هـ 2002م : 3981/9.

(60) ينظر : حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه : محمد بن عبد السندي (المتوفى سنة : 1138هـ) ، دار الجليل - بيروت ، نفس صفحات دار الفكر الطبعة ، الثانية : 65/1.

الخاتمة وأهم النتائج

بعد هذه الوريقات التي بذلت فيها جهدي المقل نصل إلى أهم النتائج المرجوة من هذا البحث الذي تناولت في هذا البحث الأحاديث التي تختص بسيد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مسند الإمام أحمد حيث يعد مسند الإمام أحمد من أمهات كتب السنة المطهرة وأوسعها جمعا وقد احتوى على عدد من الأحاديث الواردة في فضائل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وجاء هذا البحث لجمع هذه الاحاديث ودراسة أسانيدھا ومتونها وبيان ما تدل عليه من مكانة للإمام الحسين (عليه السلام) عند رسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعند السلف ونخلص من هذا البحث بنتائج نرجو بها رضا الله سبحانه.

- 1 - من حيث الكم والتوزيع فقد بلغ عدد الأحاديث في مسند الأمام أحمد والتي تختص بالإمام الحسين ما يقرب الـ (30) حديثا تناولت (6) أحاديث منها وتركت البقية برجاء ان يتناولها غيري من الباحثين.
- 2 - في هذا البحث إظهار الفضائل والمناقب من خلال بيان فضل ومكانة سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) عند جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
- 3 - بيان علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالغيب حيث أخبر عن مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وما يجري عليه من بعد مقتله وكيف أخبر أم سلمة بذلك وهذا كله قد أخبره الله به عن طريق الوحي الأمين جبرائيل وكل ما قاله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تحقق وهذا دليل على صدق نبوته (صلوات الله عليه).
- 4 - دلت الأحاديث التي تناولها البحث على تأكيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على محبته للإمام الحسين (عليه السلام) وكذلك تؤكد الأحاديث على عدم إيذاء الإمام الحسين (عليه السلام) وعلينا نحن كمسلمين أن نحذوا حذو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في محبته للحسين وآل الحسين (عليهم السلام).
- 5 - إن الأحاديث التي وردت في البحث كلها أحاديث صحيحة لا غبار عليها كون هذه الأحاديث منقول من كبار الصحابة وأمهات المؤمنين وكبار التابعين والثقات من بعدهم.
- 6 - الذي ينظر إلى متون الأحاديث يجدها متفقة مع أصول الشريعة الغراء ولا يوجد فيه أي غلو أو إنحراف أو مخالف للعقيدة الإسلامية الحق وبيان روح الوسطية والاعتدال فيها.
- 7 - إظهار محبة الإمام أحمد بن حنبل حبه للإمام الحسين (عليه السلام) وآل بيت الرسول (صلوات الله عليه) من خلال نقله للأحاديث والروايات التي تختص بهم (عليهم السلام).

هذه النقاط هي عصارة جهدي المتواضع والبسيط الذي لا يرتقي مع مقام الإمام الحسين (عليه السلام) ولكن نسأل الله العلي القدير أن يتقبل منا هذا الجهد القاصر وأن يحشرنا مع الإمام الحسين وجده وأبيه وأمه وأخيه وبنيه (عليهم السلام) ومن الله التوفيق.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- 1 - استشهاد الحسين (رضوان الله عليه) بين الحقائق والأوهام : علي محمد محمد الصَّلَائي عدد الأجزاء : 1 المصدر: الشاملة الذهبية
- 2 - ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري : أحمد بن محمد شهاب الدين (المتوفى سنة : 923هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، الطبعة السابعة ، 1323 هـ.
- 3 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى سنة : 463 هـ) ، حققه : علي محمد معوض - عادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية الطبعة : الأولى 1415 هـ.
- 4 - أسد الغابة في معرفة الصحابة : علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير (المتوفى سنة : 630 هـ) حققه علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، سنة النشر 1415 هـ 1994 م.
- 5 - الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ابن حجر (المتوفى سنة : 852 هـ) دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1412 هـ ، حققه : علي محمد الجاوي.
- 6 - الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي (المتوفى سنة : 1396 هـ) دار العلم للملايين ، الطبعة : الخامسة عشر 2002 م.
- 7 - إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال : مغلاطي بن قليج بن عبد الله البكجري (المتوفى سنة : 762 هـ) حققه أبو عبد الرحمن عادل بن محمد ، أبو محمد أسامة بن إبراهيم ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر الطبعة : الأولى 1422 هـ ، 2001 م
- 8 - إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع : أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس المقرئ (المتوفى سنة : 845 هـ) ، حققه : محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ ، 1999 م.
- 9 - البدء والتاريخ : المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى سنة : 355 هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد.
- 10 - تاريخ إربل : المبارك بن أحمد بن المبارك المعروف بابن المستوفي (المتوفى سنة : 637 هـ) ، حققه : سامي بن سيد خماس الصقار ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر، العراق ، عام النشر: 1980 م.

- 11 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة : 748هـ) حققه : الدكتور بشار عوَّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي الطبعة : الأولى ، 2003
- 12 - تاريخ الثقات : أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (المتوفى سنة : 261هـ) ، دار الباز الطبعة : الطبعة الأولى 1405هـ ، 1984م.
- 13 - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل : علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (المتوفى سنة : 571 هـ) ، حققه : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري دار الفكر ، سنة النشر: 1995 ، بيروت.
- 14 - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : محمد عبد الرحمن المباركفوري (المتوفى سنة 1353هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- 15 - التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح : سليمان بن خلف الأندلسي (المتوفى سنة : 474هـ) حققه : د.أبو لبابة حسين ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الأولى 1406 هـ 1986م.
- 16 - تقريب التهذيب : أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى سنة : 852 هـ) حققه أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني ، دار العاصمة.
- 17 - تهذيب التهذيب : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى سنة : 852هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة الأولى ، 1326هـ.
- 18 - التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى سنة : 774هـ) ، دراسة وتحقيق : د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، اليمن ، الطبعة : الأولى ، 1432 هـ ، 2011م.
- 19 - تلخيص المتشابه في الرسم : أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى سنة : 463هـ) ، حققه سكينه الشهابي ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ، الطبعة : الأولى ، 1985م.
- 20 - تهذيب الأسماء واللغات : محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى سنة : 676هـ) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية دار الكتب العلمية ، لبنان
- 21 - الثقات لابن حبان : محمد بن حبان أبو حاتم (المتوفى سنة : 354 هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى 1419 هـ ، 1998م.
- 22 - الجرح والتعديل : عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (المتوفى سنة : 327هـ) ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بيدر آباد الدكن - الهند ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت الطبعة : الأولى ، 1271هـ 1952م.

- 23 - حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه : محمد بن عبد الهادي السندي (المتوفى سنة : 1138هـ) دار الجيل - بيروت، بدون طبعة ، (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة - الثانية).
- 24 - رجال صحيح مسلم : أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم (المتوفى سنة : 428هـ) ، حققه : عبد الله الليثي دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1407.
- 25 - رجال صحيح مسلم : أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم ، ابن مَنجُوويه (المتوفى سنة : 428هـ) ، حققه عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1407.
- 26 - سنن ابن ماجه : ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - محمد بن يزيد القزويني (المتوفى سنة : 273هـ) حققه : شعيب الأرناؤوط ، عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله ، دار الرسالة العالمية الطبعة الأولى ، 1430هـ ، 2009م.
- 27 - سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي ، (المتوفى سنة : 279هـ) ، تحقيق وتعليق وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1395 هـ ، 1975م.
- 28 - سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل : سليمان بن الأشعث بن إسحاق السَّجِسْتَانِي (المتوفى سنة : 275هـ) ، حققه : محمد علي قاسم العمري عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى ، 1403هـ ، 1983م.
- 29 - سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى : 748هـ) حققه مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ 1985م.
- 30 - شرح الطبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) : شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ) ، حققه : د. عبد الحميد هندراوي ، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) الطبعة الأولى ، 1417 هـ ، 1997م.
- 31 - شرح نقائض جرير والفرزدق : أبو عبيدة معمر بن المثنى (برواية اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه) حققه : محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص ، الجمع الثقافي ، الإمارات ، الطبعة الثانية 1998م.
- 32 - صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري ، حققه : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة ، الأولى ، 1422هـ : 33 ، وينظر الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (المتوفى سنة : 230هـ) ، حققه : إحسان عباس دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1968م
- 34 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري : محمود بن أحمد بدر الدين العيني (المتوفى سنة : 855هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

- 35 - غاية النهاية في طبقات القراء : محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى سنة : 833هـ) ، مكتبة ابن تيمية الطبعة : عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ.
- 36 - فيض الباري على صحيح البخاري محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري (المتوفى سنة : 1353هـ) حققه محمد بدر عالم الميرتحي أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري) ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1426هـ ، 2005 م.
- 37 - قبول الأخبار ومعرفة الرجال : عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي (المتوفى سنة : 319 هـ) ، حققه : أبو عمرو الحسيني بن عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1421 هـ 2000 م.
- 38 - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى سنة : 748هـ) ، حققه محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب ، دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن ، جدة الطبعة : الأولى 1413 هـ ، 1992م.
- 39 - الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات : بركات بن أحمد بن محمد الخطيب (المتوفى سنة : 929هـ) حققه : عبد القيوم عبد رب النبي ، دار المأمون . بيروت الطبعة : الأولى 1981م.
- 40 - الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري : أحمد بن إسماعيل الحنفي (المتوفى سنة : 893 هـ) حققه الشيخ أحمد عزو عناية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1429 هـ ، 2008 م.
- 41 - كوثر المعاني الداراري في كشف خبايا صحيح البخاري : محمد الحضر بن سيد عبد الله بن أحمد الشنقيطي (المتوفى سنة : 1354هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1415هـ ، 1995م.
- 42 - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان : أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (المتوفى سنة : 768هـ) ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1417هـ ، 1997م.
- 43 - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن (سلطان) محمد ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى سنة : 1014هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1422هـ ، 2002م.
- 44 - المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى سنة : 405هـ) ، حققه : مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1411 - 1990.
- 45 - مسند ابن أبي شيبة : أبو بكر بن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى سنة : 235هـ) ، حققه : عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي ، دار الوطن - الرياض الطبعة : الأولى ، 1997م.

- 46 - مسند الإمام أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى سنة : 241هـ) حققه شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، وآخرون ، إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، 1421هـ ، 2001م.
- 47 - مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه : محمد بن علي بن آدم بن موسى ، دار المغني، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، 1427 هـ ، 2006م.
- 48 - معجم الصحابة : عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق البغدادي (المتوفى سنة : 351هـ) حققه : صلاح بن سالم المصراي ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، 1418.
- 49 - المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (المتوفى سنة : 360هـ) ، حققه : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية.
- 50 - معرفة الصحابة : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى سنة : 430هـ) ، حققه : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة : الأولى 1419هـ ، 1998م.
- 51 - المعلم بشيوخ البخاري ومسلم : محمد بن إسماعيل بن خلفون (المتوفى سنة : 636هـ) ، حققه أبو عبد الرحمن عادل بن سعد دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة : الأولى : 183 - 184 ، رقم الترجمة (157) تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (673 - 748 هـ) ، حققه غنيم عباس غنيم - مجدي السيد أمين ، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى ، 1425هـ ، 2004م.
- 52 - مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار : محمود بن أحمد العيني (المتوفى سنة : 855هـ) ، حققه محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة : الأولى ، 2006م.
- 53 - المفاتيح في شرح المصابيح : الحسين بن محمود بن الحسن المشهور بالمظهري (المتوفى سنة : 727 هـ) تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف : نور الدين طالب ، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية ، الطبعة : الأولى ، 1433هـ ، 2012م.
- 54 - المنهل العذب المورد شرح سنن الإمام أبي داود : محمود محمد خطاب السبكي ، عني بتحقيقه وتصحيحه أمين محمود محمد خطاب ، مطبعة الاستقامة، القاهرة مصر ، الطبعة : الأولى.
- 55 - المنهل العذب المورد شرح سنن الإمام أبي داود : محمود محمد خطاب السبكي ، عني بتحقيقه وتصحيحه أمين محمود محمد خطاب الناشر: مطبعة الاستقامة، القاهرة - مصر الطبعة : الأولى ، 1351 1353هـ.
- 56 - المؤلف والمختلف : علي بن عمر الدارقطني (المتوفى سنة : 385هـ) ، حققه : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1406هـ ، 1986م.

- 57 - موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله : مجموعة من المؤلفين (الدكتور محمد مهدي المسلمي - أشرف منصور عبد الرحمن - عصام عبد الهادي محمود - أحمد عبد الرزاق عيد ، أيمن إبراهيم الزامل - محمود محمد خليل) ، الطبعة : الأولى ، 2001 م ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، لبنان.
- 58 - موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله ، جمع وترتيب : السيد أبو المعاطي النوري أحمد عبد الرزاق عيد ، محمود محمد خليل ، دار النشر : عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، 1997م.
- 59 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة : 748هـ) حققه علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان الطبعة : الأولى ، 1382هـ ، 1963م.
- 60 - النظرات الوقادة في خروج الحسين بن علي (رضي الله عنه) واستشهاده : مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني ، مطابع بمادر، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، 1430هـ.



القضاء والقدر عند الشيعة الإمامية

م.م زهراء أحمد حسن الياس

بحث مقدم الى مديرية تربية بغداد الرصافة الثالثة

Zoznes1@gmail.com

2026/2025

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

القضاء والقدر عند الشيعة الإمامية

م.م زهراء أحمد حسن الياس

بحث مقدم الى مديرية تربية بغداد الرصافة الثالثة

Zoznes1@gmail.com

2026/2025

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد المنان، ذو النعم والإحسان واشهد أن محمد عبده ورسوله الداعي الى الإيمان، الذي جاءنا بالحق والبرهان، فمحا به عبادة الاوثان، وأكرمه بالقران المعجزة المستمرة على تعاقب الأزمان، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على الحبيب المصطفى الأمين وآله الهداة الميامين وصحبهم المتقين وبعد :

تناولت الشيعة الإمامية موضوع القضاء والقدر بمنهج وسطي يجمع بين النصوص الشرعية والعقل بعيدا عن الإفراط والتفريط وقد قامت الدراسة على مقدمة ومبحثين احتوى المبحث الاول على مطلبين ، الاول تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحا والثاني القضاء والقدر في الفكر الامامي وأقسامه والادلة عليه .

ملخص

يؤمن الشيعة الإمامية بأن الله عز وجل قدر الاشياء بعلمه وحكمته، وأن القضاء هو ابرامها ووقوعها، فضلا عن ابطال الشيعة الإمامية الجبر والتفويض بل اعتمدوا مبدأ "الأمر بين الأمرين". يثبت البحث أن الله تعالى قدر الأشياء وحدد معالمها، مع إعطاء الإنسان الإرادة والاختيار ليتحمل مسؤولية أفعاله، مما يؤكد تمام العدل والحكمة الإلهية في الثواب والعقاب.

الكلمات المفتاحية: القضاء . القدر . الشيعة الإمامية.

Summary

Imami Shiites believe that God Almighty has predestined things according to His knowledge and wisdom, and that divine decree is their execution and occurrence. In addition, Imami Shiites reject both predestination and complete delegation to God, instead following the principle of 'the matter is between two matters.' The research shows that God has predestined things and outlined their features, while giving humans will and choice so they can be responsible for their actions, which confirms complete divine justice and wisdom in reward and punishment .

Keywords: Divine Decree – Predestination – Imami Shiites.

المبحث الاول

تعريف القضاء والقدر لغة واصلاحا

أولاً : القضاء لغة

القضاء لغة يأتي بعدة معاني ، منها :

الحكم والفصل

الانتهاء والانتهاء

الامر والالزام

قال تعالى (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)⁽¹⁾ أي أمر وألزم

ثانياً القضاء اصلاحا

هو حكم الله تعالى وارادته الازلية المتعلقة بوقوع لاشياء على وجه الحتم والابرام⁽²⁾.

ثانياً : القدر لغة

قال صاحب كتاب العين: عن القدر القضاء الموفق يقال قدره الله تقديرًا وإذا وافق الشيء شيئاً قيل جاء على قدره.

وقال الراغب الاصفهاني القدر والتقدير تبين كمية الشيء، يقال قَدَرْتَهُ وقدرته، وقَدَرَهُ بالتشديد إعطاء القدرة

والقدر: وقت الشيء المقدر له، والمكان المقدر له) "قال تعالى (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

مَعْلُومٍ" سورة الحجر (الآية 21) :

وقال صحاب المصباح: (القدر بالفتح القضاء الذي يقدره الله تعالى، وإذا وافق الشيء الشيء قيل: جاء على قدر

بالفتح).

والعلاقة بينه وبين التعريف الاصطلاحي أن أهل اللغة لا يميزون بين القدر والقضاء تمييزاً بيناً كما هو واضح، كذلك

هناك علاقة مع المعنى الاصطلاحي للقدر، وهو أن كلاهما يتعلق بتقدير الأمور وتديرها.

التقدير

التحديد والقياس

بيان مقدار الشيء⁽³⁾.

قال تعالى (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)⁽⁴⁾

القدر هو تعلق الإرادة الذاتية بالاشياء في أوقاتها الخاصة، فتعلق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن

القدر. والقدر هو خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحداً بعد واحد، مطابقاً للقضاء، والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا

يزال. كذا في تعريفات الجرجاني.

القدر يشير إلى مسار محدد مسبقاً من الأحداث. ويمكن أن ينظر إليه على أنه المستقبل الموعود سلفاً، وهو مفهوم يقوم على

الإعتقاد بأن هناك ترتيب ثابت للطبيعة في الكون.

(1) سورة الاسراء الاية 23

(2) الالهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل/شرح تجريد الاعتقاد

(3) لسان العرب / مفردات القرآن

(4) سورة القمر الاية 49

القدر يمكن أن يُنظر إليه على أنه تسلسل مُحدد من الأحداث التي لا مفر منها وغير قابلة للتغيير، أو أن الأفراد يُمكنهم إختيار قَدَرهم من خلال إختيار مسارات مُختلفة طوال حياتهم.

يتحدث الموت: كان هُنَاكَ تاجر في بغداد أرسل خادمه إلى السوق لشراء بعض المؤن وبعد بعض الوقت عاد الخادم وهو يرتجف، وقال: "يا سيدي، عندما كُنْتُ في السوق كانت تُزاحمني امرأة في الحشد وعندما إلتفتُ رأيت أنه كان الموت الذي كان يُزاحمني. لقد نظر إليّ بِحدة؛ الآن، ناولني حصانك، وسأهرب بعيداً عن هذه المدينة، وأتجنب قدري. سأذهب إلى سامراء، وهناك لن يجدي الموت". التاجر قدم له حصانه، وامتنطاه الخادم وقام بأسرع ما يُمكن بالهروب. قام التاجر بالذهاب إلى السوق ورآني واقفاً في مكان مزدحم فجاء إليّ وقال لي: "لماذا نظرت هذه النظرة المخيفة إلى خادمي عندما رأيته هذا الصباح؟" فقلتُ "هذه لم تكن نظرة تهديد، لقد تفاجئتُ لمقابلته في بغداد، بينما كان لي موعد معه الليلة في مدينة سامراء.

يعتقد البعض أن قدر المرء يمكن التحقق منه عن طريق التنبؤ أو يعلن كنبوءة لنبي أو التبصير. في اعتقاد كثير من الثقافات، لا يُمكن معرفة القدر إلا عن طريق وسيط روحي أو قديس أو متنبئ.

في الديانة المسيحية، المصير مُشابه للخلاص أو العناية الإلهية. وهناك العديد من التصاميم من مصير في الكنائس المختلفة. في الديانة الكاثوليكية، الإيمان ضروري للخلاص، ولكنه يتطلب نفس الوقت الخيرية. في الديانة الكالفينية، الإيمان ضروري للخلاص ولكن أعمال لا تعتبر مفيدة للخلاص، بل هي ثمرة الإيمان وردت بها. الخلاص بالنعمة، لخدمة، إلى الحب والشهادة. وهناك أيضاً مسألة الأقدار.

في الديانة الأرثوذكسية، المذهب الرسمي هو شبه بلجن، التي تولي اهتماماً كبيراً في الأشغال. في الإسلام، القدر، هو الإعتقاد أن الله قد قدر وحدد ما سيحدث في جميع الأزمنة والأمكنة، وذلك يتعارض مع مصير الإرادة الحرة. ومصير مُستقبل الإنسان مُتعلق فقط بالقدر. هذا المصير هو نتيجة القدر في مُعتقد الإسلام.

على الرغم من أن كلا الكلمتين يُخلط بينهما في كثير من الحالات، القضاء والقدر يُمكن التمييز بينهما. حديثاً عُرف القضاء كقوة أو وكالة تُحدد سلفاً ترتيب مسار الأحداث. كما يُحدد القضاء الأحداث كأوامر أو «حتميات». القضاء يُستخدم في ما يتعلق بنهاية الأحداث كما حدثت، اما القدر هو ما ستؤول إليه النهاية المتوقعة في المستقبل لتصبح حتمية الحدوث. في الميثولوجيا الكلاسيكية الأوروبية، هناك ثلاثة آلهة لا تعترف بالقضاء. «القضاء» المعروف باسم Moirae في الأساطير اليونانية، و Parcae في الأساطير الرومانية، و Norns في الميثولوجيا الإسكندنافية، يحددوا أحداث العالم من خلال الدوران الغامض للخيوط التي تُمثل مصير إنسان واحد.

القضاء لا يتضمن أي إختيار، وينتهي بالموت. القضاء هو النتيجة التي تُحددها وكالة خارجية مسؤولة عن شخص أو كيان، ولكن مع القدر الكيان يشارك في تحقيق نتيجة مُرتبطة إرتباطاً مُباشراً بنفسها. المشاركة تحدث عمداً. «القضاء» و«القدر» استخدموا بنفس المعنى في الماضي على حد سواء، وكلاهما كان يعني الحظ، وكان يشمل هذا مجموع الأحداث التي أدت إلى التوصل إلى هذه النتيجة في الوقت الراهن (على سبيل المثال «كان قدرها أن تكون قائدة» و«كان قضائها أن تكون قائدة»)

القدر اصلاحا :

هو تقدير الله تعالى للأشياء قبل حدوثها من حيث الزمان والمكان والصفات والمقادير.

اي انه مرحلة التخطيط والتحديد قبل تحقق الشيء في الواقع.⁽¹⁾

(1) التوحيد.

- اختلفت عبارات العلماء رحمهم الله تعالى في تعريف القدر، وكان هذا الاختلاف على النحو الآتي:
- (1) هو: إيجاد الأشياء على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها، وهو قول الأشاعرة⁽¹⁾
 - (2) هو: تحديده تعالى أزلا كل مخلوق خده الذي يوجد به من حسن، وقبح، ونفع، وضرر، وما يحويه من زمان ومكان، وما يترتب عليه من طاعة، وعصيان ولواب وعقاب، وغفران، وهو قول الماتريدية⁽²⁾.
 - (3) هو: توجيه الأسباب الكلية بحركتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المحدودة بالمقدرة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص⁽³⁾، وهو قول الإمام الغزالي⁽⁴⁾.
 - (4) هو: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحداً بعد واحد⁽⁵⁾، وهو قول الجرجاني، وقال الإمام بدر الدين العيني⁽⁶⁾: (هو الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات⁽⁷⁾ على سبيل التفصيل في الإنزال)⁽⁸⁾.
 - (5) هو: الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات⁽⁹⁾ على سبيل التفصيل في الإنزال⁽¹⁰⁾، وقال الجرجاني: (خروج الممكنات من العدم إلى وهو قول الإمام بدر الدين العيني الوجود، واحداً بعد واحد)⁽¹¹⁾. فالظاهر كما قاله الإماء الألوسي من أن الراجح من هذه التعاريف هو تعريف الأشاعرة⁽¹²⁾.
- فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر فمنهم من عرفهما مجتمعين، وجعلهما شيئاً واحداً، ومنهم من عرف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر فقالوا:
- القدر: هو علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل.
- والقضاء: هو إيجاد الله للأشياء حسب علمه وإرادته.
- وسئل الإمام أحمد عن القدر؟ فقال: القدر: قدرة الرحمن، وقد أخذ هذا من قول الله تعالى: قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ [آل عمران: 154].

(1) ينظر: الكليات، لأبي البقاء الحنفي، ص 706.

(2) هداية المرید لجوهرة التوحيد، لبرهان الدين اللقاني، ص 631.

(3) المقصد الاسنى، للإمام الغزالي، ص 93.

(4) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الإمام الجليل أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام، ولد سنة (450هـ) له تصانيف كثيرة منها الوجيز واحياء علوم الدين والمنحول وغيرها توفي (505) ينظر اسير اعلاء النبلاء للذهبي 322 / 19، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، 6 / 191، والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب لابن الملقن، ص 116.

(5) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني 304 / 22.

(6) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف ابن محمود العنتاني الحنفي العلامة قاضي القضاة بدر الدين العيني ولد سنة (762) اخذ عن جبريل بن صالح البغدادي، والجمال يوسف الملطي، والعلاء السرياني، وغيرهم له من المصنفات عمدة القاري في شرح البخاري، والبنية في شرح الهداية، والمفاصد النحوية، وغيرهم توفي سنة (855) ينظر: بغية الوعاة للسيوطي 2 / 275.

(7) أي لتلك الكليات التي اشرنا اليها في تعريف القضاء.

(8) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، 304 / 22.

(9) أي: لتلك الكليات التي اشرنا اليها في تعريف القضاء.

(10) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني 304 / 22.

(11) ينظر: روح المعاني، للألوسي 11 / 206.

(12) ينظر: روح المعاني، للألوسي، 11 / 206.

وقال الطحاوي : وكل شيء يجري بتقدير الله ومشيتته، ومشيتته تنفذ، لا مشيئة للعباد.. إلا ما شاء، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره.

والإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب:

- 1- الإيمان بعلم الله القدر.
 - 2- الإيمان بكتابة ذلك في اللوح المحفوظ.
 - 3- الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.
 - 4- الإيمان بإيجاد الله لكل المخلوقات، وأنه الخالق، وكل ما سواه مخلوق.
- هذا ما يحتاج إليه المسلم في عقيدة القضاء والقدر.
- أما الخوض في القدر فلا يجوز، فقد نهي عنه صلى الله عليه وسلم، وقال الطحاوي : وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل.
- والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، وغاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ [الأنبياء: 23].
- فمن فرغ قلبه من هذه العقيدة فهو في هم وضياح في هذه الدنيا، وفي عذاب مهين في الآخرة، نسأل الله العافية.
- والإيمان بالقدر لا يتنافى مع التوكل على الله عز وجل، والأخذ بالأسباب، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، للأعرابي: اعقلها وتوكل على الله. وأمر بالتداوي كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة صحيحة.
- وقال ابن القيم : لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى، والأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله تعالى، والذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج.
- هذه العقيدة في القدر والإيمان به هي التي سكبت في قلوب السلف الصالح والمؤمنين بها السكينة، وأفاضت على نفوسهم الطمأنينة، وربتهم على العزة.... فاشتغلوا بما ينفعهم، وانطلقوا لتبليغ دين الله للبشرية.

الفرق بين القضاء والقدر

القدر: التقدير السابق (مرحلة التخطيط)

القضاء: التنفيذ والابرام (مرحلة الوقوع)

اختلفت عبارات العلماء - رحمهم الله تعالى - في تعريف القضاء على النحو الآتي:

- (1) هو: إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال⁽¹⁾، وهو قول الأشعرية⁽²⁾.
- (2) ونقل عن الأشاعرة أيضاً: إيجاد الأشياء على قدر مخصوص، وكمية معينة من وجوه المصلحة، وغيرها⁽³⁾.
- (3) هو الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأول إلى الأبد⁽⁴⁾، وهو قول الجرجاني⁽¹⁾.

(1) المواقف، للإيجي، 3/ 261

(2) الأشعرية: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري وهذه الطائفة بنت أصولها على الكتاب والسنة والقل الصحيح وهم الغالبون من الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة وسائر الناس ينظر الملل والنحل للشهرستاني 1/ 94، وتحاف السادة المتقين، للمرئضي الزبيدي 10/2.

(3) ينظر المصدر نفسه 11/ 206.

(4) التعريفات للجرجاني، ص 177.

- (4) هو : الفعل مع زيادة إحكام ، وهو قول الماتريدي (2).
 (5) هو : علمه بما ينبغي أن تكون عليه الأشياء، وهو قول الفلاسفة (3).
 (6) هو : الحكم بالشيء، والقطع على ما يليق به، وهو قول الإمامية (4).
 والراجح من ذلك تعريف الأشاعرة؛ لما ذكره الألوسي في "روح المعاني"، إذ قال: (المعنى المشهور للقضاء وهو الإرادة الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه).
 فالرابط بينه وبين الاصطلاح اللغوي: أن كلاهما يتعلق بالتقدير، وفصل الأمر في الأشياء.
 في ضوء ما سبق يتضح من خلال التعريفات أهل اللغة أن القضاء في اللغة ي\ور على المعاني الآتية: الحكم، والفراغ، والتقدير، والقطع، والفصل، والخلق، وفصل الأمر، والأداء، والإنهاء، والصنع وأقرها لقضاء الله سبحانه وتعالى وفصل الأمر.

المبحث الثاني

أدلة القضاء والقدر من الكتاب والسنة وأقوال العلماء وعند الإمامية

الإيمان بالقضاء والقدر: «هذا هو الأصل السادس من أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة التي يجب الإيمان بها.
 والقدر هو أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه، وقدرته، وإرادته هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية . وقيل: «هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها.
 والقضاء والقدر إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا؛ فإذا اجتمعا في نص واحد كان لكل واحد منهما معنى مختلف عن الآخر، وإذا ورد القضاء في نص، والقدر في نص آخر شمل كل واحد منهما الآخر. قال الخطابي: «جماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»
 ومن الأدلة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.
 قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]
 وقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38].

(1) هو علي بن محمد بن علي السيد زين الدين، أبو الحسن الحسيني المعروف بالجرجاني، ويعرف بالسيد الشريف، ول في (تأكو) قرب أستراباد سنة (740) (توفي 816هـ) هو عالم وفيلسوف بارز في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، ودرس في شيراز، ثم فر إلى سمرقند أثناء دخول تيمور، وعاد لاحقاً إلى شيراز حيث أقام حتى وفاته. له نحو خمسين مؤلفاً في مجالات متعددة مثل المنطق، الفلسفة، الفقه، والهيئة، ومن أبرزها كتاب "التعريفات" و"شرح مواقف الإيجي" و"شرح كتاب الجعمني" و"مقاليد العلوم" و"مراتب الموجودات" ينظر طبقات المفسرين للدواودي، 1/ 433، والاعلام للزركلي 7/ 5، ومعجم المفسرين لعادل نويهض 1/ 380.

(2) هداية المرید لجوهرة التوحيد، لبرهان الدين اللقاني، ص 635.

(3) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين الخفاجي، 4/ 162.

(4) ينظر: الكافي للكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران إيران، ط5، 1/ 383.

وقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتُ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: 40].

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ.»

وَعَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ»

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرَصَ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ.»

وكيفية الإيمان بالقضاء والقدر تكون على درجتين:

الأولى: درجة واجبة، وهي الإيمان الإجمالي، ومعناها: أن يؤمن العبد بأن كل ما يحدث في الكون بتقدير الله جل جلاله، وأن الله جل جلاله يعلم كل شيء.

الثانية: درجة مستحبة، وهي الإيمان المفصل، ومعناها: أن يؤمن العبد بمراتب القدر الأربعة التي سيأتي تفصيلها.

دليله من السنة النبوية

دل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر أحاديث كثيرة، منها:

(1) قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما -: قال رسول الله (ﷺ): ((كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز)) (1).

(2) قال عبد الله بن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرضه على الماء)) (63)، قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ، أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له (2).

(3) قال أمير المؤمنين على (الله): قال رسول الله (ﷺ): ((لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: بالله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، والبعث بعد الموت، والقدر)) (3).

(4) قال أبو هريرة (هـ): قال رسول الله (صلى الله عليه واله): ((المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)) (66).

(5) قال ابن الديلمى: وقع في نفسي شيء من القدر، فأتيت زيد بن ثابت، فسألته، فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم، كانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم، ولو كان لك جبل أحد، أو مثل جبل أحد، ذهباً، أنفقت في سبيل الله، ما قبله الله منك

(1) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، برقم 2655، 4/ 2045.

(2) ينظر: شرح صحيح مسلم للأمام النووي، 16/ 203.

(3) سنن ابن ماجه أبواب السنة، باب في القدر، برقم (81)، 1/ 59، قال شعيب الارنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح.

حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنت إن مت على غير هذا، دخلت النار))⁽¹⁾.

(6) عن أبي أيوب الأنصاري (هـ)، أنه قال: يا رسول الله، أيقدر الله على أمر، ثم يعذبني عليه؟ قال: ((نعم وهو غير ظالم لك يا أبا أيوب، فلو كان لك مثل أحد ذهباً تنفقه في سبيل الله، ولم تؤمن بالقدر خيره وشره، لم ينفعك ذلك شيئاً)) (63) .

(7) قال جابر بن عبد الله (الله): قال رسول الله (صلى الله عليه واله): ((لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه)).

(8) قال عبد الله: قالت أم حبيبة - زوج النبي (صلى الله عليه واله): اللهم أمتعني بزوجي رسول الله (ﷺ)، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية قال: فقال النبي (صلى الله عليه واله): ((قد سألت الله لأجل مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئاً قبل حله، أو يؤخر شيئاً عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيراً وأفضل قال: وذكرت عنده القردة، قال مسعر: وأراه قال: والخنازير من مسخ، فقال: ((إن الله لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقباً، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك)) (2) .

(9) قال عبادة بن الصامت (هـ) لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((إن أول ما لم خلق الله العلم، فقال له: أكتب، قال: رب، وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)، يا بني، إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقول: ((من مات على غير هذا فليس مني)) (3).

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

فمن خلال هذه الأحاديث اتفق العلماء على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر إلا ما شددت به القدرية، وقالوا أيضاً: إن الأحاديث المتكلمة عن كتابة القدر المحمولة على كتابة ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى (4).

أقوال العلماء في القضاء والقدر

حصل خلاف بين أهل السنة والجماعة، والمعتزلة في إثبات القضاء والقدر، فالمعتزلة ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد، ويثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال، ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم، بل إلى اختيار العباد وقدرتهم (73).

وأثبت أهل السنة والجماعة الإيمان بها، ودليلهم في ذلك ما تقدم من الآيات، والأحاديث المصروفة بالإيمان بها، وأقوالهم في ذلك كثيرة، منها:

(1) قال خليفة المسلمين عمر بن الخطاب (الله): القدر قدرة الله عز وجل، فمن كذب بالقدر، فقد جحد قدرة الله عز وجل (1).

(1) مسند الامام احمد، من حديث زيد بن ثابت، برقم(21611)، 35/ 486، قال شعيب الارنؤوط، اسناده قوي.

(2) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب بيان ان الاجال والارزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، برقم(2663)، 4/ 2050.

(3) الشريعة، للاجري، 2/ 895، والابانة الكبرى، لابن بطة 131/4.

(4) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، 11/ 489.

- (2) وقال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما : كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك⁽²⁾.
- (3) وقال الحسن البصري : (إنَّ الله خلق خلقاً، فخلقهم بقدر، وقسم الأجل بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر⁽³⁾).
- (4) وقال إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري (78) () : (وأجمعوا على أن جميع ما عليه سائر الخلق من تصرفهم قد قدره الله عز وجل قبل خلقه لهم، وأحصاه في اللوح المحفوظ لهم، وأحاط علمه به وبهم، وأخبر بما يكون منهم، وأن أحداً لا يقدر على تغيير شيء من ذلك، ولا الخروج عما قدره الله تعالى، وسبق علمه به وبما يتصرفون في علمه، وينتهون إلى مقاديره، فمنهم شقى وسعيد)⁽⁴⁾.
- (5) وقال ابن بطال - رحمه الله - في قوله تعالى : بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُذُّوا الْعَادُ وَالْمَا نُفُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ⁽⁵⁾
- (6) ، وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ ، غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ⁽⁶⁾
- (7) (وهذا يقوى ما يذهب إليه أهل السنة : أن القدر هو علم الله وغيبه الذي استأثر به، فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا)⁽⁷⁾ .
- (8) وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى : (واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله - تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها)⁽⁸⁾.
- (9) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله - : (إن الله تعالى علم مقادير الأشياء، وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه، وقدرته، وإرادته.
- هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة، وخيار التابعين إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة) . والخلاصة: أنه قد ظهر من مجموع ما أسلفناه: أن حاصل ما مر من الآيات والأحاديث، وأقوال العلماء، أن هناك فرقاً بين القضاء والقدر، فقوله - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ، وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ⁽⁹⁾

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

(1) الشريعة، للاجري، 2/ 895، والابانة الكبرى، لابن بطة 131/4.

(2) خلق أفعال العباد، للبخاري، ص47.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، 4/ 755.

(4) رسالة الى أهل الثغر بباب الأبواب، لابي الحسن الاشعري، ص151.

(5) سورة الانعام، الآية 28.

(6) سورة الرعد، الآية 17.

(7) سورة الرعد، الآية 8.

(8) سنن ابن ماجه أبواب السنة، باب في القدر، برقم (81)، 1/ 59، قال شعيب الارنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح.

(9) سورة فاطر، الآية 11.

أن معناه: كل من طال عمره أو قصر فهو مكتوب في الكتاب، وأن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ وَقَضَىٰ أَحْجَلًا وَأَجَلًا مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْتُرُونَ﴾⁽¹⁾

أن الأجل المسمى عنده هو الأجل الذي قضاه، وأن قوله تعالى: قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلًا مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْتُرُونَ على عمومته، حتى في الشقاوة والسعادة والأجل والرزق والخلق، لكن باعتبار متعلق الكتابة والعلم؛ لأن من المشاهد أن الشخص يكون كافراً، وذلك مكتوب في اللوح المحفوظ؛ لأنه من جملة الحوادث، ثم يُسلم، ومسلماً ثم يكفر، وفقيراً ثم يستغني، وعكسه⁽²⁾.

ولا ريب أن كل ذلك حوادث، والحوادث كلها مكتوبة في اللوح المحفوظ، فبالضرورة حصل الخو والإثبات، وأن علم الله تعالى بذلك أزلي، لا يتغير ولا يتبدل؛ فقد ثبت بالدلائل القطعية أن الله عالم بالأجل والأرزاق وغيرها -⁽³⁾. فإذا علم الله أن زيداً يموت في وقت معين استحال أن يموت قبله أو بعده، فلا يتغير علمه تعالى بذلك، وأن المعلوم هو الذي يتغير ويتبدل على وفق علمه، وينتقل من حال إلى حال، وذلك معلوم بضرورة المشاهدة، وأنه لا يحو شيئاً ولا ثبت شيئاً إلى ما سبق علمه به، وأن صلة الرحم - ونحوه مما قدر طول العمر بسببه - يزيد في في الأجل في أن الدعاء المقدر دفع البلاء به يدفعه⁽⁴⁾.

أدلة القضاء والقدر عند الشيعة الإمامية

يُعد القضاء عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) منصباً إلهياً يختص بالحاكم الشرعي (المجتهد). ويُشترط في القاضي العدالة، العلم بالأحكام، والنزاهة. ومن أبرز ملامح منهجهم القضائي، فصل النزاعات بدقة، رفض التحاكم لغير القاضي الشرعي، وإرساء قيم العدل المطلق وحماية حقوق الأفراد. يتميز النظام القضائي عند أئمة أهل البيت بعدة أصول وقواعد أساسية، أبرزها:

1. شروط القضاء يؤكد الأئمة (عليهم السلام) وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على ضرورة توفر شروط صارمة لمن يتصدى للقضاء، أهمها: الاجتهاد: حصروا صلاحية القضاء بالمجتهد الجامع للشرائط القادر على استنباط الأحكام. النزاهة: أن يكون القاضي ممن "لا يزدهيه إطرأ ولا يستميله إغراء"، لضمان عدم التأثر بالضغط أو المغريات. العدالة والإيمان: يُشترط التزام القاضي بأصول العقيدة وتطبيق أحكام الشريعة دون تمييز.
2. حرمة التحاكم لقضاة الجور شدد الأئمة على تحريم الترافع إلى قضاة غير شرعيين أو حكام لا يحكمون بما أنزل الله (المعروفين بقضاة الجور)، واعتبروا الرضا بحكمهم مشاركة في الإثم، إلا في حالات الخوف الشديد والتقية حفاظاً على النفس.
3. الفرق بين القضاء والإفتاء يُعرّف القضاء (الحكم بين المتنازعين وإنشاء الحقوق وإلزام الخصوم) بأنه يختلف عن الإفتاء (الإخبار بالحكم الكلي دون التدخل في النزاع الشخصي). ولذلك، فإن القضاء ملزم لطرفي النزاع ولا بد فيه من تنفيذ الحكم.
4. نماذج من قضاء الإمام علي (عليه السلام) اشتهر الإمام علي بفصل أعقد الخصومات، ومن أشهر قضاياها التاريخية: قصة المرأتين والطفل: عندما تنازعت امرأتان على طفل رضيع ولم تملك أي

(1) سورة الانعام، الآية 2.

(2) ينظر: تحاف ذوي الالباب، لمرعى بن يوسف بن ابي بكر بن احمد الكرمي المقدسي الحنبلي (1033)، تحقيق حازم خنفر، منشورات كل السلفيين، ط 1، 2012، ص 95.

(3) ينظر، تحاف ذوي الالباب، للكرمي، ص 95.

(4) المصدر السابق نفسه، ص 95.

منهما بينة (دليلاً)، قضى الإمام بأن يُقسم الطفل بينهما بالسلفة الشهيرة بإحضار المنشار. فبكت إحداها وتنازلت عن حقها لإنقاذ حياة الطفل، فاستدل الإمام بيكائها وشفقتها على أمها الأم الحقيقية وقضى لها به.

يُعرّف القضاء والقدر في فكر أهل البيت (عليهم السلام) بأنهما تدبير الله وحكمته المطلقة. فالقدر هو التقدير والهندسة الإلهية للأشياء (وضع الحدود والخصائص)، بينما القضاء هو الإبرام والإنفاذ والتحقق العيني. ويرفض الأئمة فكرة "الجبر المطلق" الذي يسقط مسؤولية الإنسان، مؤكداً على مبدأ "الأمر بين الأمرين". يتميز هذا المفهوم بالتوازن العميق، ويتضح جلياً في أقوال المعصومين (عليهم السلام): حقيقة القضاء والقدر في كلمات الأئمة (عليهم السلام) تعريف الإمام الرضا (عليه السلام): سئل عن القدر والقضاء فقال: «الْقَدَرُ هِيَ الْهَنْدَسَةُ، وَوَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ، وَالْقَضَاءُ هُوَ الْإِثْرُ الْوَاقِعُ الْعَيْنِ». نفى الجبر وإثبات الاختيار (الإمام علي عليه السلام): حين سأله رجل من أهل الشام إن كان مسيرهم بـ "قضاء وقدر"، فرد عليه الإمام موضحاً أن القضاء والقدر لا يعينان الجبر، حيث قال: «طَوَيْتُكَ. لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَا زَمًا، وَقَدَرًا حَاتِمًا. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ... إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيرًا، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا». تأثير الدعاء والعمل (الإمام الصادق عليه السلام): يوضح أن القضاء منه ما هو "مبرم محتوم" لا يتغير، ومنه ما هو "معلق" قابل للتغيير بفعل العبد كالصدقة والدعاء وصلة الرحم، إذ قال: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَدَرَهُ، فَإِذَا قَدَرَهُ قَضَاهُ، فَإِذَا قَضَاهُ أَمَضَاهُ». الرضا بالقضاء والتسليم الدعوة الأساسية في فكر الأئمة هي الرضا بالقدر، فمنه سبحانه يأتي الداء والدواء، والتسليم يمنح النفس الطمأنينة. قول الإمام الرضا (عليه السلام): «ثَمَانِيَةُ أَشْيَاءَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ: النَّوْمُ، وَالْيَقَظَةُ، وَالْقُوَّةُ، وَالضَّعْفُ، وَالصَّحَّةُ، وَالْمَرَضُ، وَالْمَوْتُ، وَالْحَيَاةُ».

رواية مدرسة أهل البيت (عليهم السلام):

روى الكليني عن صالح التلي، قال: سألت أبا عبد الله: هل للعباد من الاستطاعة شيء؟ قال: فقال لي: (إذا فعلوا الفعل، كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم، قال: قلت: وما هي؟ قال: الآلة، مثل الزاني، إذا زنى كان مستطيعاً للزنا حين زنى، ولو أنه ترك الزنا ولم يزن، كان مستطيعاً لتركه إذا تركه..⁽¹⁾).

وروى الصدوق بسنده، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: ذكر عنده الجبر والتفويض، فقال: (ألا أعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا تُخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه؟ قلنا: إن رأيت ذلك، فقال: إن الله عز وجل لم يُطع بإكراده، ولم يُعص بعلبه، ولم يُهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادراً ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه⁽²⁾).

وعن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: (ابن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء وتقول، وتقوي أديت إلي فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك أتي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني⁽³⁾).

(1) الكافي كتاب التوحيد، باب الاستطاعة حديث 3.

(2) التوحيد، الشيخ الصدوق، 361، باب 59.

(3) بحار الانوار، ج 5، ص 56.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام، وقد سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: (لا حول ولا قوة إلا بالله): إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنَا، فَمَتَى مَلَكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كُلَّفْنَا، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِفَهُ عَنَّا^(١).

روي أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَقَالَ: (مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلَوْمَ الْعَبْدَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْهُ، وَمَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَلَوْمَ الْعَبْدَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ: لَمْ عَصَيْتَ؟ لَمْ فَسَقْتَ؟ لَمْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ لَمْ زَنِيتَ؟ فَهَذَا فِعْلُ الْعَبْدِ، وَلَا يَقُولُ لَهُ: لَمْ مَرَضْتَ؟ لَمْ قَصُرْتَ؟ لَمْ إِبْيَضْتَ؟ لَمْ إِسْوَدَدْتَ؟ لِأَنَّهُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢)).

روي أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ سَأَلَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ الْخَلْقُ مَجْبُورُونَ؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُجِبَرَ خَلْقُهُ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ، قَالَ: فَمُطْلَقُونَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَحْكَمُ مِنْ أَنْ يُهْمَلَ عَبْدُهُ وَيَكُلَّهُ إِلَى نَفْسِهِ^(٣).

روى الكليني عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَا: (إِنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يُجِبَرَ خَلْقُهُ عَلَى الذُّنُوبِ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُرِيدَ أَمْرًا فَلَا يَكُونُ، قَالَ: فَسُئِلَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هَلْ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ مَنْزِلَةٌ ثَالِثَةٌ؟ قَالَا: نَعَمْ أَوْسَعُ مِنْ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^(٤)).

روي أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الْعَالِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَلَيْسَ أَنَا مُسْتَطِيعٌ لِمَا كُفِّلْتُ؟ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الْإِسْطَاعَةُ عِنْدَكَ؟ قَالَ: الْقُوَّةُ عَلَى الْعَمَلِ، قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ أُعْطِيتَ الْقُوَّةَ إِنْ أُعْطِيتَ الْمَعُونَةَ، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: فَمَا الْمَعُونَةُ؟ قَالَ: التَّوْفِيقُ، قَالَ: فَلَمْ يُعْطَ التَّوْفِيقُ؟ قَالَ: لَوْ كُنْتَ مُوَفَّقًا كُنْتَ عَامِلًا، وَقَدْ يَكُونُ الْكَافِرُ أَقْوَى مِنْكَ وَلَا يُعْطَى التَّوْفِيقُ فَلَا يَكُونُ عَامِلًا، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحْبِرْنِي عَنْكَ، مَنْ خَلَقَ فِيكَ الْقُوَّةَ؟ قَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ الْعَالِمُ: هَلْ تَسْتَطِيعُ بِتِلْكَ الْقُوَّةِ دَفْعَ الضَّرِّ عَنْ نَفْسِكَ وَأَخْذَ النَّفْعِ إِلَيْهَا بِغَيْرِ الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَمْ تَتَحَلَّ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ؟ ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَوْلِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ)^(٥).

وأمير المؤمنين عليه السلام حين سألَهُ عَبَّايَةُ بْنُ رَبِيعٍ الْأَسَدِيَّ، عَنِ الْإِسْطَاعَةِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَمْلِكُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ مَعَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ عَبَّايَةُ بْنُ رَبِيعٍ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ يَا عَبَّايَةُ؟ قَالَ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ قُلْتَ تَمْلِكُهَا مَعَ اللَّهِ قَتَلْتُكَ، وَإِنْ قُلْتَ تَمْلِكُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَتَلْتُكَ، قَالَ: وَمَا أَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: تَقُولُ: تَمْلِكُهَا بِاللَّهِ الَّذِي يَمْلِكُهَا مِنْ دُونِكَ، فَإِنْ مَلَكَهَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ عَطَائِهِ، وَإِنْ سَلَبَهَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ بَلَائِهِ، وَهُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَكَ، وَالْمَالِكُ لِمَا عَلَيْهِ أَقْدَرُكَ، أَمَا سَمِعْتَ النَّاسَ يَسْأَلُونَ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ حَيْثُ يَقُولُونَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: وَمَا تَأْوِيلُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ لَنَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ إِلَّا بِعَصْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ، قَالَ: فَوُثِبَ الرَّجُلُ وَقَبِلَ يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ^(٦).

عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: سَأَلَ الزَّنْدِيقُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: أَحْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَيْفَ لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مُطِيعِينَ مُوَحَّدِينَ، وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ قَادِرًا؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ خَلَقَهُمْ مُطِيعِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ثَوَابٌ؛ لِأَنَّ الطَّاعَةَ إِذَا مَا كَانَتْ فَعَلَهُمْ لَمْ تَكُنْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَكِنْ خَلَقَ خَلْقَهُ فَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِرُسُلِهِ، وَقَطَعَ عُذْرَهُمْ بِكُتُبِهِ، لِيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يُطِيعُونَ وَيَعْصُونَ، وَيَسْتَوْجِبُونَ بِطَاعَتِهِمْ لَهُ الثَّوَابَ، وَمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ الْعِقَابَ، قَالَ (الزَّنْدِيقُ): فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنَ الْعَبْدِ هُوَ فَعْلُهُ، وَالْعَمَلُ الشَّرُّ مِنَ الْعَبْدِ هُوَ فَعْلُهُ؟ قَالَ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ، الْعَبْدُ يَفْعَلُهُ وَاللَّهُ بِهِ أَمَرَهُ، وَالْعَمَلُ الشَّرُّ، الْعَبْدُ يَفْعَلُهُ وَاللَّهُ

(١) نخب البلاغة، حكمة 404.

(٢) بحار الانوار، ج 5، ص 59.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكافي، ج 1، ص 259.

(٥) بحار الانوار، ج 5، ص 42.

(٦) بحار الانوار، ج 5، ص 85.

عنه نهاء؛ قال: أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه؟ قال: نعم، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير، قدر بها على الشر الذي نهاء عنه، قال: فإلى العبد من الأمر شيء؟ قال: ما نهاء الله عن شيء إلا وقد علم أنه يطيق تركه، ولا أمره بشيء إلا وقد علم أنه يستطيع فعله، لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون، قال: فمن خلقه الله كافراً يستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجة؟ قال عليه السلام: إن الله خلق خلقه جميعاً مسلمين، أمرهم ونهائهم، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعل العبد، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً، إنه إنما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجة من الله، فعرض عليه الحق فجحده، فبإنكاره الحق صار كافراً، قال الزنديق: فيجوز أن يُقدّر على العبد الشر، ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعمل له ويُعذّبه عليه؟ قال عليه السلام: إنه لا يليق بعبد الله ورأفته أن يُقدّر على العبد الشر ويُريده منه، ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أخذه، والإنزاع عما لا يقدر على تركه، ثم يُعذّبه على ترك أمره الذي علم أنه لا يستطيع أخذه⁽¹⁾.

وقد روي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه سُئل عن أفعال العباد، أهى مخلوقة لله تعالى؟ فقال عليه السلام: لو كان خالقها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾، ولم يُرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم، وكتاب الله تعالى المقدّم على الأحاديث والروايات، وإليه يُتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحق دون ما سواه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾⁽³⁾، فخبّر بأن كل شيء خلقه فهو حسنٌ غير قبيح، فلو كانت القبائح من خلقه لما حكم بحسن جميع ما خلق، وقال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ﴾⁽⁴⁾، فنفى التفاوت عن خلقه، وقد ثبت أن الكفر والكذب مُتفاوت في نفسه، والمتضاد من الكلام مُتفاوت، فكيف يجوز أن يُطلقوا على الله تعالى أنه خالق لأفعال العباد، وفي أفعال العباد من التفاوت ما ذكرناه؟⁽⁵⁾.

روي أن الحجاج بن يوسف، كتب إلى الحسن البصري وإلى عمرو بن عبيد وإلى واصل بن عطاء وإلى عامر الشعبي، أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر، فكتب إليه الحسن البصري: إن أحسن ما انتهى إلي ما سمعت أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: أنظر أن الذي هناك دهاك؟ وإنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذلك، وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لو كان الزور في الأصل محتوماً كان المزور في القصاص مظلوماً، وكتب إليه واصل بن عطاء: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أيدللك على الطريق وأخذ عليك المضيق؟ وكتب إليه الشعبي: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كل ما استغفرت الله منه فهو منك، وكل ما حمدت الله عليه فهو منه، فلمّا وصلت كتبهم إلى الحجاج ووقف عليها قال: لقد أخذوها من عين صافية⁽⁶⁾.

ويطول بنا الحديث، في ذكر روائع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبين مفاخر علومهم، فكل ما تمّ ذكره من روايات لا يحتاج إلى شرح أو توضيح لكونه ينسجم مع فطرة الإنسان وعقله ممّا يدل على أن أهل البيت (عليهم السلام) هم حُجج الله على العباد ولا طريق لمعرفة الحق إلا منهم وعن طريقهم.

(1) بحار الانوار ج5، ص18.

(2) سورة التوبة، الآية 3.

(3) سورة السجدة، الآية 7.

(4) سورة الملك، الآية 3.

(5) بحار الانوار، ج5، ص20.

(6) بحار الانوار، ج5، ص59.

نتائج البحث:

يمكن تلخيص نتائج البحث في النقاط التالية:

1. من نتائج البحث ان الشيعة الامامية اعتمدت مبدأ الأمر بين الأمرين: المبدأ الأساسي الذي يرفض الجبر المطلق (سلب إرادة الإنسان) والتفويض المطلق (استقلال الإنسان التام عن القدرة الإلهية).
2. يتضح أن القدر كـ "هندسة": يُمثل التقدير الإلهي وبيان مقادير الأشياء وخصائصها وحدودها قبل إيجادها.
3. أظهرت النتائج ان القضاء كـ "إبرام": يُمثل مرحلة الإتمام والحكم النهائي وإظهار ما قُدر في الوجود الخارجي.
4. وتوضح النتائج أن الإرادة الإنسانية: أفعال العباد مقدورة لله من حيث التمكين والمعونة (القدرة)، ولكنها اختيارية للعبد من حيث الفعل والترك، لقوله تعالى: ﴿لِيُحْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾. التوفيق والخذلان: الله يوفق العباد للطاعة ويهديهم، ويخذل (يترك) من يختار المعصية بسوء اختياره، وليس ظلماً للعبد.
5. من نتائج البحث نفي الظلم والعنصرية: تنزيه الله عن الظلم في أفعاله، وأن التكاليف الشرعية مبنية على قدرة الإنسان واستطاعته (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها).

قائمة المصادر:

1. د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، تحقيق: 1413هـ.
2. سنن ابن ماجه ، لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ - 2009م
3. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت 275هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ - 2009م
4. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (ت 279هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998م.
5. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط3، 1405هـ - 1985م
6. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت 418هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة السعودية، 8، 1423هـ - 2003م
7. الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى البغدادي (ت 360هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن - الرياض السعودية، ط2، 1420هـ - 1999م
8. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
9. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ)،
10. طبقات الشافعيين، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم د. محمد زينهم محمد عزب مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ - 1993.
11. طبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: 945هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية - بيروت.

12. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت 804هـ)، تحقيق: أيمن نصر الأزهرى، وسيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1417هـ - 1997م
13. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد بن عبد الحي الكنوي الهندي، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - مصر
14. القضاء والقدر، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، ط1، 1421هـ - 2000م
15. قضاء والقدر، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، ط1، 1421هـ - 2000م
16. لسان العرب، المحمد بن مكرم بن علي أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ .
17. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (ت 807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي القدسي، القاهرة، 1414هـ - 1994م.
18. مجمل اللغة، لابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبي الحسين (ت 395هـ)، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.
19. المختص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1417هـ - 1996م.
20. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م
21. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل على العدل إلى رسول الله، المسلم بن الحجاج أبو الحسن المشيرى النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
22. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبي حاتم الدارمي البستي (ت 354هـ)، تحقيق: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط1، 1411هـ - 1991م.
23. المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (ت 360هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين القاهرة.
24. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (ت 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط2.
25. معجم المفسرين لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت. لبنان، ط3، 1409هـ - 1988م
26. المغرب، لناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي أبي الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطري (ت 610هـ)، دار الكتاب العربي بدون طبعة وبدون تاريخ.
27. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي دار القلم الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412هـ

28. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت 324هـ)، عن بتصحيحه: هلموت ريتز دار فرانز شتاين بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط3، 1400هـ - 1980م.
29. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابري، الجفان والجابري قبرص، ط1، 1407-1987.
30. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت 548هـ)، مؤسسة الحلبي، د.ط، د.ت.
31. المواقف لعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي (ت 756هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل لبنان بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م.
32. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبي المحاسن، جمال الدين (ت 874هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.



الوحي والايحاء في القرآن الكريم

دراسة في المفهوم والاستعمال

**A Study of :Divine Revelation and Suggestion in the Holy Quran
Concept ana Usage**

تقدم به

م .م عماد عزيز ناصر

الاختصاص/ علوم القرآن والحديث الشريف

متوسطة سيد البلغاء للبنين / مديرية تربية النجف الأشرف

رقم الهاتف 07803180025

البريد الالكتروني emadalsaide55@gmail.com

2026.1448

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

الوحي والايحاء في القرآن الكريم دراسة في المفهوم والاستعمال
Divine Revelation and Suggestion in the Holy Quran:
A Study of Concept and Usage

تقدم به

م. م. عماد عزيز ناصر

الاختصاص / علوم القرآن والحديث الشريف

متوسطة سيد البلغاء للبنين / مديرية تربية النجف الأشرف

رقم الهاتف 07803180025

البريد الإلكتروني emadalsaide55@gmail.com

الملخص

يرتكز البحث على محاولة فهم مفهوم الاتصال الإلهي بالبشر. يُعرّف الوحي بأنه إعلام الله لأنبيائه بطريقة خفية وسريعة، بينما الإيحاء هو إلقاء المعنى في القلب أو الإلهام العام. يهدف البحث لإثبات حقيقة النبوة، والفرق بين الإلهام البشري والتلقي الإلهي المعصوم.

أما الجانب الثاني هو الإيحاء، لإيحاء: الإلهام، أو الإشارة السريعة. ويأتي في القرآن بمعانٍ متعددة كإلهام الفطرة (مثل إيحاء الله لأم موسى) أو تسخير الكون.

تم استعراض طرق نزول الوحي الإلهي للرسول وفقاً للآيات القرآنية، وتشمل: الرؤيا الصادقة: وهي بداية الوحي كما حدث مع النبي محمد ﷺ. النفث في الروح: إلقاء الملك (جبريل عليه السلام) العلم والمعاني في قلب النبي مباشرة. التكليم من وراء حجاب: كما حدث مع نبي الله موسى عليه السلام. بواسطة الملك: نزول الوحي بالقرآن الكريم بواسطة الروح الأمين، وما جاء في كتاب الله تعالى في قصة النبي إبراهيم ونوح ولوط وعيسى والسيدة مريم العذراء

وجميع الانبياء فالتواصل معهم من قبل الوحي المرسل وكما وضحت سورة النجم المباركة.

الكلمات المفتاحية: الوحي، الإيحاء، الانبياء، الإيحاء للمخلوقات، الإلهام، النفث في الروح

Abstract

This research summarizes the concept of divine communication with humanity. Revelation is defined as God's communication to His prophets in a subtle and swift manner, while inspiration is the implantation of meaning in the heart or general inspiration. The research aims to establish the reality of prophethood and the difference between human inspiration and infallible divine reception. The second aspect is inspiration, which is defined as inspiration or a swift indication. It appears in the Quran with multiple meanings, such as the inspiration of innate nature (like God's inspiration to Moses' mother) or the subjugation of the universe. The methods of divine revelation to the prophets, according to Quranic verses, are reviewed. These include: True visions: the beginning of

revelation, as happened with the Prophet Muhammad (peace be upon him). Inspiration: the angel Gabriel (peace be upon him) directly implanting knowledge and meanings in the Prophet's heart. Speaking from behind a veil: as happened with the Prophet Moses (peace be upon him). By the angel: The revelation of the Holy Quran by the trustworthy spirit, and what is mentioned in the Book of God Almighty in the stories of the Prophets Abraham, Noah, Lot, Jesus, and the Virgin Mary, and all the prophets, regarding communication with them through the sent revelation, as explained in the blessed Surah An-Najm.

Keywords: Revelation, inspiration, prophets, inspiration to creation, divine inspiration, divine inspiration

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خصّ الإنسان بالعقل، وكرّمه بحمل رسالاته، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين. تُعد دراسة الوحي والإيحاء من أهم المباحث العقدية والفلسفية التي شغلت الفكر الإنساني؛ لكونهما يمثلان نقطة الوصل وجسر الاتصال بين عالم الغيب الإلهي وعالم الشهادة البشري. الوحي في جوهره هو اصطفاء إلهي واختيار من الله - عز وجل - لعباده الأنبياء والرسل، لإبلاغ رسالته وتوجيه البشرية نحو طريق الهداية والنور. أما الإيحاء فيشترك مع الوحي في أصل المعنى اللغوي الدال على الخفاء والسرعة، ولكنه يتسع ليشمل معاني الإلهام وإلقاء الفكرة في القلب أو العقل، كما ورد في القرآن الكريم في إيحاء الله - تعالى - لأم موسى، أو إيحائه لغير الأنبياء من المخلوقات، وهو يمثل حالة من التجلي الباطني والسكينة التي يودعها الله في خلقه. تبرز أهمية هذا البحث في محاولة استجلاء المفاهيم الحقيقية للوحي والإيحاء، وتوضيح الفرق الدقيق بينهما، والرد على الشبهات التي قد يثيرها بعض المشككين حول طبيعة التلقي النبوي. إن الوحي ليس مجرد حالة نفسية أو إلهام بشري، بل هو حقيقة موضوعية وكلام إلهي منزل يعلو على مدارك العقل المحدودة، ويهدف إلى هداية الإنسان وإصلاح حياته في الدنيا والآخرة. وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى محاور رئيسية، نستعرض فيها المفهوم اللغوي والاصطلاحي للوحي والإيحاء، ومراتبهما، وكيفية تلقي الأنبياء له، لنخلص في النهاية إلى بيان أثر الوحي في بناء الحضارة الإنسانية وتزكية النفوس. نسأل الله العليّ القدير أن يوفقنا في تقديم هذه الدراسة بأسلوب علمي رصين، وأن تكون إضافة معرفية تسهم في جلاء الحقيقة. والحمد لله الذي وفقنا لهذا. : يُعدّ بحث الوحي والإيحاء ركيزة أساسية لفهم الأديان وإثبات مصدرها الإلهي. فهو يمثل حلقة الوصال بين الخالق وأهمية البحث:

والمخلوق، ويوفر الإجابات العميقة حول غاية الوجود، ويثبت مصداقية الرسالات السماوية، كما يساهم في فهم الجوانب النفسية واللغوية في حياة الإنسان أهمية البحث: البحث في مفهومي الوحي والإيحاء يمثل حجر الزاوية لفهم الرسالات السماوية، إثبات النبوة، وتعميق الوعي الإنساني بالمعرفة. فهو يفسر كيفية تواصل الخالق مع البشر، ويضع أسس التشريع، ويكشف عن أسرار النفس البشرية في تلقي الإلهام والحقيقة الاشكالية:

تتمثل مشكلة البحث في الوحي والإيحاء في محاولات فصل الوحي عن مصدره الإلهي، وإرجاعه إلى ظواهر بشرية كالإيحاء النفسي، أو اللاوعي، أو العبقرية. ويسعى البحث في هذا المجال لتفنيد هذه الشبهات وإثبات الحقيقة الموضوعية للوحي كإعلام

إلهي مُنَزَّل من الغيب المفهوم الإسلامي: الوحي هو كلام الله تعالى الذي يُلقيه إلى أنبيائه ورسله بواسطة الملك (جبريل) أو بغير واسطة، وهو حقيقة خارجية يقينية.

المبحث الأول: الوحي والايحاء في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف الوحي:

تعريف الوحي لغة: جاء مفهوم الوحي في معاجم اللغة : (الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقىته إلى غيرك . يقال : أوحيت إليه الكلام وأوحيت . ووحى وحيا أوحى أيضا أي كتب) ⁽¹⁾ .

والوحي : المكتوب والكتاب أيضا ،(وعلى ذلك جمعوا فقالوا وحي مثل حلي وحلي ; قال لبيد : فمدافع الريان عري رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها) ⁽²⁾ أي الرسالة او الإشارة .

والوحي في اللغة يشمل عدة معان منها: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والالهام ويقال أوحى إليه أي القى إليه كلاما خفيا. كما يستخدم لفظ الوحي بمعنى الكتب أيضا. (وأصل الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمرٌ وحيٌّ (أي سريع)، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة) ⁽³⁾. وقد وجاء في معجم مقاييس اللغة (الوحي: يدلّ على إلقاء علم في إخفاء أو غيره، والوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكلّ ما ألقىته إلى غيرك حتّى علّمه فهو وحي) ⁽⁴⁾.

وأما ما جاء في الاصطلاح لتعريف الوحي وأشكاله :

عرّف الشيخ الطوسي الوحي بأنّه: (البيان الذي ليس بإيضاح، نحو الإشارة والدلالة، لأنّ كلام الملك كان للرسول صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الوجه) ⁽⁵⁾ وفي موضع آخر قال بأنّ: (الإيحاء إلقاء المعنى في النفس على وجه يخفى، وهو ما يجيء به من دون أن يرى ذلك غيره من الخلق) ⁽⁶⁾، وهذا وجه آخر الاشكال الوحي المنزل الذي يبين شكل من أشكال الوحي التي ستتطرق لشرحها في بحثنا هذا لكي تكون الصورة واضحة من خلال الايات القرآنية والاحاديث الشريفة واهل اللغة ومعانيه ،

(هو إلقاء المعارف والاحكام من قبل الله تعالى على عباده لهدايتهم ويكون ذلك عن طريق الانبياء (عليهم السلام) ⁽⁷⁾ ، فما جاء في الكتب السماوية من احكام فقيّة وتشريعية وغيرها من احكام تفصيلية هي احكام نقلية ثابت من قبل الباري عز وجل الى أنبيائه بشكل قطعي

المطلب الثاني: الايحاء

تعريف الايحاء لغة:

الإيحاء في اللغة: (الإشارة، والكلام الخفي، وكل ما ألقىته الى غيرك. يقال أوحى إليه إيحاء، أي كلمه بكلام يخفيه عن غيره، وأوحى ربك الى النحل أي أمرها أمر إلهام، وأوحى اليهم أي أشار اليهم، وأوحى اليه كلمته، ويوحى بعضهم الى بعض زحرف القول غرورا، معناه يسرّ بعضهم الى بعض. وفي تعريفات الجرجاني: الإيحاء هو إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة) ⁽⁸⁾ أذن هو الاشارة أو الحركة التي يؤديها الشخص دون النطق بكلمة مثل شرطي المرور حين يشير بيديه بالتوقف أو فتح السير أمام العجلات لتنظيم حركة المرور، أو حركة حكم المباريات الرياضية، أو قائد فرقة الاوكسترا بدون أن ينطق بكلمة واحدة، ولكن نجد موضوع الايحاء من خلال الحركات والاشارة واضح ومفهوم عند المتلقي. الايحاء اسم يدل على ما يحدث في الذهن من فكر أو تصور بتأثير عامل خارجي. فالإيحاء إذن إلا إذا أثار شخص، بكلامه أو فعله، في ذهن شخص آخر، فكرة تؤثر في نفسه وتبدل مشاعره وسلوكه. ولولا هذه الفكرة التي جيء بها اليه من خارج لما تبدل مجرى تصورات ولا تغير سياق فعله. ولكلمة ايحاء بهذا

المعنى مفهومان مختلفان: (الأول، أن الفكرة الموحى بها تتولد في الذهن بتأثير عامل خارجي (كلمة أو إشارة أو حركة) لا بتأثير عامل داخلي، والثاني، أن هذه الفكرة الخارجية تطعم ذهن الموحى إليه، فتحركه، وتثير فيه فاعلية نفسية جديدة)⁽⁹⁾. لإيحاء في كتاب الكافي، وخاصة في سياق المذهب الشيعي، يشير إلى الأحاديث والتعاليم التي يتلقاها الأئمة (عليهم السلام) من الله تعالى بطرق غير مادية أو مباشرة، مثل الإلهام أو التفهيم الخاص. (هذا الإيحاء يختلف عن الوحي الذي يختص بالأنبياء، حيث أن الأئمة لا يتلقون تشريعاً جديداً، بل يفهمون ويطبقون الشريعة بشكل أعمق وأكمل، ويوجهون الناس نحوها)⁽¹⁰⁾. (يفرق الشيعة بين الإيحاء الذي يتلقاه الأئمة والوحي الذي يختص بالأنبياء، فالوحي هو تلقي تشريع جديد، بينما الإيحاء هو فهم عميق للشريعة)⁽¹¹⁾.

وربما يستخدم الإيحاء كعملية نفسية يتم من خلالها التأثير على معتقدات أو سلوكيات شخص ما، وهذا ما يمكنه بالافكار الضالة التي يروج لها من قبل الكثير من الفئات الضالة والمنحرفة عن طريق الاسلام، حيث يوحون بأبحاث وأدلة ما أنزل بها الله من سلطان، فتكون جناية على المجتمع بترويح الى أفكار مسمومة تقدم أركان مجتمعات كاملة، إيحاء قد يثير استجابات معينة في نفس الشخص الموحى إليه، دون أن يكون هناك تفكير واعى من جانبه. وهذا الإيحاء ما يسمى غسيل الدماغ بالمعتقدات أو الحركات الضالة، وهي ما يروج لها بين الشباب، باعتبارهم الارض الخصبة.

المبحث الثاني: صورة الوحي

المطلب الاول: صور الوحي وكيفية

نقل العلامة المجلسي نقلاً عن الإمام الصادق (عليه السلام): أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) سئل عن لفظ الوحي في القرآن فأجاب: (منه وحي النبوة، ومنه وحي الإلهام، ومنه وحي الإشارة، ومنه وحي أمر، ومنه وحي كذب، ومنه وحي تقدير، ومنه وحي خبر، ومنه وحي الرسالة)⁽¹²⁾.

فأما معنى وحي النبوة والرسالة هو ما جاء قوله تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً)⁽¹³⁾ وما جاء في "تفسير الميزان" للعلامة الطباطبائي (يوضح أن الله تعالى أوحى إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بنفس الطريقة التي أوحى بها إلى النبي نوح والأنبياء من بعده، مما يعني أن الوحي هو سنة إلهية واحدة لا تختلف في جوهرها)⁽¹⁴⁾. وأما وحي الإلهام فقوله عز وجل (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)⁽¹⁵⁾، فنجد في قوله تعالى إشارة إلى الوحي عن طريق الإلهام والتطبيع على صيغة عمل ثابت بذاته تمثلت بالقدرة الإلهية في العمل الدأوب، وكذلك ما نجده في آية آخرتني الإلهام الفكري (النحل: 68) ومثله: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ)⁽¹⁶⁾، فالحل ما يأتي الانسان في المنام حين يكون الامر جلل وتكون فيه الحلول قليلة، والله تعالى مطلع على السرائر فيلهم عباد المؤمنين عن طريق الإلهام الفكري او في المنام، ولو أردنا بالاية التي التي تكملها نجد الجواب على صدق الإلهام والإيحاء وهاتف الوحي الصادق وأما وحي الإشارة فقوله (ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)⁽¹⁷⁾، فلاية توضح اطمئني على وليدك فإنا رادوه اليك، والجانب الاخر العظيم هو البشارة بأن ولدك هذا، الله تعالى حافظه وجاعله من النبيين والمرسلين فمن يبشر بهذا العطاء العظيم، حتما يكون بلسان وحي صادق اليقين بما بشر الله به عباد المخلصين، وأما وحي الإشارة والنفث في الروح قوله عز وجل: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً)⁽¹⁸⁾، أي أشار إليهم لقوله تعالى: (أَلَا تَتَكَلَّمُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزَ)⁽¹⁹⁾. فهذا التفصيل جاء عن طريق الإيحاء من قبل الوحي بأمر الله تعالى ودليلك الآ تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا أو إشارة لهم بذكر الله تعالى والتسبيح بكرة وعشيا. وأما وحي التقدير فقوله تعالى: (وَأَوْحَى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

بِمَصَابِيحٍ وَحَفَظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (20) , وجاء في تفسير الطبري، (قوله: (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) قال: ما أمر الله به وأمراده (21) .

وأوحى في كل سماء أمرها " قيل: المراد بأمر السماء ما تستعد له أو تقتضيه الحكمة فيها من وجود ملك أو كوكب وما أشبه ذلك، والوحي هو الخلق والايجاد، والجملة معطوفة على قوله: " قضاها " مقيدة بالوقت المذكور للمعطوف عليه، والمعنى وخلق في كل سماء ما فيها من الملائكة والكواكب وغيرها (22) . فهنا يتبين إن الوحي هو الخلق والايجاد بالوجود من العدم وما جاء في الذكر الحكيم (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (23) ، وهذا الوحي الالهي لمخلوقاته.

وأما وحي الأمر فقوله سبحانه: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُلِي) (24) , وجاء في تفسير ابن كثير (المراد بهذا الوحي وحي إلهام ، كما قال : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) (25) وإذ أوحيت { أي واذكر إذ أوحيت { إلى الخوارجين { أي ألهمتهم . وقيل: ألقيت إليهم بالآيات التي أريتهم إياها (26) ، مما تقدم في الآيات القرآنية الكريمة يتبين إن الوحي والايحاء للحواريين هو الإلهام الرباني والأمر بالاختبار لنفوسهم وقوة مناعة إيمانهم حتى يكون الإلام بذات الإيحاء بالاستعداد النفسي بمواجهة حمل الرسالة وتصديق نبيهم والله تعالى هو أعلم بعباده في تحمل أعباء الرسالات الالهية .

وأما وحي الكذب فقوله عز وجل: (شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) (27) وجاء في تفسير الطبري يقول: (وكما ابتليناك، يا محمد، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول، ليصدوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك وبما جئتهم به من عند ربك (28) وهذا الإيحاء هو كلام الفتن والتخريب بتشويه حقائق التنزيل بآيات الله تعالى ، ونجد هذا الإيحاء بصور مختلفة يمارسها المشركين واليهود في فجر الدعوة الإسلامية وبدائياتها وكيف مورسة كل أنواع الصد والخذلان للرسول محمد ﷺ وأتباعه من المؤمنين وكيف حيكت حولهم المؤامرات والدسائس، وكان هذا من خلال الإيحاء بين شياطين الانس والجن في سبيل الوقف ضد الرسالة السماوية وهذا شكل من اشكال الوحي الشيطاني للانسان الى يومنا هذا، بأن يوحى اليه سهولة المعاصي وإرتكاب الذنوب والجرائم البشعة قوله تعالى (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) (29) (الأز والهر بمعنى واحد وهو التحريك بشدة وإزعاج والمراد تهيج الشياطين إياهم إلى الشر والفساد وتخريضهم على اتباع الباطل وإضلالهم بالتزلزل عن الثبات والاستقامة على الحق) (30) .

معنى وحي الخبر

وأما (وحي الخبر) (31) فقوله سبحانه: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (32) في الكافي عن الصادق عليه السلام ((إن الأئمة في كتاب الله عز وجل إمامان قال الله تبارك وتعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لا بأمر الناس يقدمون ما أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم قال وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار يقدمون أمرهم قبل أمر الله)) (33) (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (34) أما المراد من أئمة الهدى، وأئمة الضلال فمعلوم (أن أئمة الهدى والحق هم الذين اجتباهم الله واختارهم في كل زمان لهداية أهله، أنبياء كانوا كإبراهيم الخليل ومحمد الحبيب (صلى الله عليه وآله) أو غير أنبياء كأوصياء الأنبياء السابقين، وكأئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه وآله) وهم جميعاً يدعون الناس إلى الهدى بأمر الله لا بأمرهم ويقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، ويؤيدهم الله سبحانه بالمعجزات وخوارق العادات التي يجريها على أيديهم لتكون دليلاً على صدقهم) (35) ، ومن المعلوم أن الله سبحانه قادر على عدم تمكينهم من السلطة والحكم ولكن قد يمتكّن ويقي أناساً على ذلك، وقد يحول بين بعضهم وبين ما يريدون، وذلك كله اختباراً لعباده وامتحاناً لهم ليرى ويشاهد من يتبع الحق وأهله ومن يتبع الباطل وأهله) (36) .

الوحي عند أهل البيت U:

أما أئمة أهل بيت النبوة فهم الأئمة الهداة بأمر الله تعالى باعتبارات كثيرة منها ، ما لم يثبت خطأهم أو تجاوزهم في شرع الله تعالى بذاتهم أو بحق غيرهم، وهذا ما شهد به تاريخ المؤرخين والمعاصرين لهم في زمانهم في الاحكام او القضاء أو نقل الحديث النبوي الشريف حيث يقول الامام الصادق U ((سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله قول الله عز وجل)) (37)، وقد جاء في تركيتم بحديث رسول الله P عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: ((سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله اني مخلص فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي من العترة؟ فقال: انا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه)) (38)

وجاء في حديث الامام الباقر أبا جعفر عليه السلام يقول: ((نحن اثنا عشر إماما من آل محمد كلهم محدثون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب منهم)) (39)، وهذا دليل قوله تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (40)، فلا نستكثر على أهل بيت النبوة الايحاء من خلال الوحي ان كان في في المنام أو النفث في الروح أو الالهام في النفس والعقل فالذي أوحى لام موسى والنحل والسماء والارض هو قادر بالايعاء لعباده المخلصين المعصومين U ، وأما عن الوحي إلى الأئمة (عليهم السلام) أو نزول جبرئيل (عليه السلام) عليهم نقول: ورد في الأخبار الصحيحة أن أئمة أهل البيت (عليه السلام) : ((علماء صادقون مفهمون محدثون)) (41)، وقد جاءت هذه الروايات بحق أهل البيت عن رسول الله ﷺ متواترة في جميع المصادر الإسلامية.

المطلب الثاني: الوحي ونزوله على الانبياء

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (42) . هذه الآية توضح الطرق التي يتلقى بها البشر كلام الله، بما في ذلك الوحي المباشر، ومن وراء حجاب، وعن طريق رسول (ملك) ومن الوحي ما يرسل الله تعالى من يشاء ممن اصطفاه من ملائكته ، فيكلمون أنبياءه من الناس (43) (ومن الوحي ما يرسل به من يشاء ، فيوحون به وحيا في قلوب من يشاء من رسله) (44) .

وقد جاء في الذكر الحكيم الوحي في مواطن عدّة وبصور مختلفة، وتكون حسب حاجة ومناسبة النزول وسبب نزولها على الانبياء، يقول تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (45)

نزول الرسل والوحي على النبي إبراهيم U

بشارة الله تعالى الى أنبياءه عن طريق الوحي المباشر وتمثلهم بالإنسان لكي تصل الصورة والرسالة والتعليمات بشكل مباشر بدون حجاب حسب مقتضيات الامر الالهي، يقول تعالى (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (69) فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط (70) وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (71) قالت ياويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب (72) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (73)) (46) . وهذا الامر يبين إن الوحي أو الملائكة المرسلين يأتون الانبياء بالهيئة التي يأمرهم بها الله تعالى بتحسيد البشر أو أي خلق يشاء، والحوار المباشر وليس النفث في الروح، وما بينا حسب مقتضيات الامر المبعوث به، وكذلك ما نجده في حدود الآيات الكريمة من سورة

ان الملائكة المبعوثين، مازال أمامهم مهمة أخرى في نفس الوقت الذي جاءوا به الى النبي ابراهيم، انهم مبعوثين الى النبي لوط من اجل مهمة اكبر وهي انزال غضب الله تعالى على قوم النبي لوط، يقول تعالى ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (47) اذا لم يستجيبوا الى أمر الله تعالى، وحين وصلوا الى قري سدوم، وصل الخبر الى قوم لوط فجاءوه يطلبون ضيفه لرجسهم ورذيلتهم التي اعتادوا عليها فما كان جواب النبي (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) (48)، فان قوم لوط قد رأوا رسل الله الذين أوحوا له مباشرة ما عليه فعله، لا تخف يا نبي الله فإن الله تعالى مطلع على سرائر القوم وأفعالهم ونياتهم (فجاء لوط إلى أهله - وكانت منهم - فقال لها: إنه قد جاء أضياف في هذه الليلة فاكتمى عليهم حتى أعفو عنك إلى هذا الوقت، قالت: أفعل، وكانت العلامة بينها وبين قومها إذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخن فوق السطح وإذا كان بالليل توقد النار، فلما دخل جبرئيل والملائكة معه بيت لوط عليه السلام وثبت امرأته على السطح فأوقدت نارا فعلموا أهل القرية) (49)، دليلنا في الآية الكريمة تجسد الوحي بميثة البشر وقد رآه النبي وبناته وزوجته التي حل بها عذاب الله لمخالفتها تعاليم الله تعالى وجزء من قومه فخاطبه جبرائيل بكلاما عظيما (قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبتها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) (50) خطاب الله تعالى الى النبي موسى:

أول نزول للوحي على النبي موسى عليه السلام حدث في «الوادي المقدس طوى» بجبل الشريعة في سيناء بمصر، حيث كلمه الله مباشرة دون واسطة جبريل، بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ (51). يذكر القرآن أن موسى كان عائداً إلى مصر برفقة عائلته عندما رأى ناراً، ثم تلقى الوحي ليبدأ تكليفه بالرسالة. وعندما خاطب الله تعالى موسى ع بقوله "يا موسى إني أنا ربك" أدرك موسى أن المتكلم هو الله تعالى اليه بلا واسطة، مما يدل على خصوصية التكلم التي انفرد بها موسى من بين الانبياء تعالى وقد صرح تعالى بقوله: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ (52)، أن لا واسطة بينه تعالى وبين من يكلمه من حجاب أو رسول إذا كان تكليم وحي وإذ لم يكن هناك أي واسطة مفروضة لم يجد الموحى إليه مكلما لنفسه ولا توهمه إلا الله ولم يجد الكلام إلا كلامه ولو احتمل أن يكون المتكلم غيره أو الكلام كلام غيره لم يكن تكليما ليس بين الإنسان وبين ربه غيره (53)، فنجد إن الله تعالى هو قادر ويُقدر ما يشاء بمخلوقاته، فحينما يرسل الوحي برسالته أو ينفض في روعه وفهمه، وأحيانا يكون حلمًا في المنام وحين تقتضي المصلحة الالهية يأتي الكلام صريحا واضحا بينه وبين أنبيائه وهذا ما جاء في عدة موضع في القرآن الكريم يقول تعالى (وكلم الله موسى تكليما) (54)، بدون اي واسطة بينه وبين عبده، وهذا ما تميز به النبي موسى ﷺ عن غيره من الانبياء في مواضع عدة في القرآن الكريم

قوله تعالى: (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) (55) (الاختيار مأخوذ من الخير، وحقيقته أن يتردد أمر الفاعل مثلا بين أفعال يجب أن يرجح واحدا منها ليفعله فيميز ما هو خيرها ثم يبيّن على كونه خيرا من غيره فيفعله، دائما لغاية هو غرض الفاعل من فعله) (56). فالاستماع للوحي هو الارسال من قبل الله تعالى لاكمال تعاليم الشريعة السمحاء وما تقتضيه المصلحة العام والخاصة والاحداث والعلاجات. رغم إن النبي موسى تميّز بأنه كان يكلم الله تعالى مباشرة الا إنه كان يرسل اليه الوحي لأتمام الرسالة. نزول الوحي على السيدة مريم العذراء

من القصص القرآنية قصة السيدة مريم العذراء ونزول الوحي عليها وكيفية الإحياء بالعمل والعبادة والتوجه الخالص لله تعالى، فمنذ أن نذرتموها أمها حنة محررة لخدمة بيت الله، يقول تعالى (إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (57)، ومن منزلتها العظيمة عند الله تعالى، كلما دخل عليها كافلها نبي الله زكريا وجد عندها رزقها وكان فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف الشتاء في الصيف، فكان يتعجب منها، وتقول هذا من عند الله والله يرزق من يشاء بدون حساب خدمة الملائكة لها بأمر الله تعالى وهذه من بشارات الملائكة للسيدة مريم العذراء وقد جاء في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (58) وكذلك في سورة آل عمران ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (59)، فهذا خطاب صريح بين الملائكة والسيدة مريم وواضح إنه بالشخص مثل الملائكة الذين جاءوا إلى النبي إبراهيم ولم يكن رؤيا أو مناما أو نفاثا في الروح وإنما حديث صريحا (وإن كانوا قد جاؤوا جميعاً لتبليغ الرسالة من عند الله تعالى إليها إلا أن الغرض من بعثهم جميعاً هو التكريم للسيدة مريم والتنويه على أمها ذات مقام وحظوة عند ربها كما هو ديدن العقلاء عندما يروم أحدهم من ذوي الوجاهة أن يبعث برسالة إلى رجل محظي عنده أو صاحب وجاهة ومقام فإنه يبعث الرسالة إليه ضمن وفد من خاصته، وقد يبعث لهذه الغاية عدداً من أبنائه تعبيراً عن إجلاله للمرسل إليه، وقد يكون الغرض هو بعث الاطمئنان في نفس المرسل إليه، وقد يكون الغرض هو التعبير عن أهمية المضمون الذي اشتملت عليه الرسالة) (60)، نعم فإن الامر عظيم بولادة نبي الله بمعجزة لم يسبقه بها أحد من العالمين، ونجد التصريح والرؤيا للروح جبرائيل أمين الله تعالى يتجلى بشراً أمام السيد العذراء يقول تعالى في سورة مريم: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (61) ويقول تعالى أيضاً في نفس السورة: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ﴾ (62). هنا تمثل الأمين جبرائيل بشراً سوياً ليبلغ رسالة الله تعالى بشكل صريح بدون أي وسائط، تتسائل السيدة العذراء كيف يكون لي طفلاً ولم يمسسني بشراً الجواب العظيم. كذلك هو الله. رفعت الأقلام وجفت الصحف، يقول تعالى (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فُسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (63)، فهنا كانت صورة الوحي بأن يتمثل بشراً، حسب مقتضيات الامر الالهي والله هو أعلم بمخلوقاته، وجاء في تفسير الطبري (فتشبه لها في صورة آدمي سوي الخلق منهم، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق) (64). وقيل (هو جبريل وأضيف الروح إلى الله تعالى تخصيصاً وكرامة. والظاهر أنه جبريل عليه السلام، لقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ أي تمثّل المَلَكُ لَهَا بَشَرًا) (65).

فنجد الصورة واضحة بأن الملك الأمين جبرائيل تمثل بشراً سوياً بأمر الله تعالى حسب مقتضيات الامر الالهي بالدليل الثابت والقاطع، وفي بعض الأحيان وحسب ما يقتضيه الامر تتحدث الملائكة مع السيدة مريم أو احد الانبياء مما وردة قصصهم في القرآن الكريم أو يكون همسا في الاذن مع اليقين أو هو نفاثاً في الروح أو الالهام الالهي لمن يشاء من مخلوقاته وقد ذكرنا الهام إلى موسى وإلى النحل وإلى فاطمة أم الامام علي (ع) حين فتح لها جدار الكعبة ودخلت داخلها لولادة ولي الله وخليفة رسوله قال الحاكم في المستدرك على الصحيحين حديث 6098: (فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة) (66). قال العلامة البدخشي في مفتاح النجا الصفحة 20 (مخطوط): (قال: ثم إنه لم يولد في بيت الحرام أحد سواه قبله ولا بعده، وهي فضيلة خصه الله بها) (67). ومنهم الشريف علي فكري الحسيني قال: ولد بمكة داخل البيت الحرام في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد النبي (صل الله عليه واله)، وشب في بيت رسول الله (صل الله عليه واله) متحلياً بمكارم الأخلاق، مقتدياً به في أقواله وأفعاله، فنشأ عفاً للسان، قوي العزيمة، طاهر العقيدة، لم يتدنس بدنس

الجاهلية ، ولم يعبد وثناً قط ، ولم يسجد لصنم ، ولذا قيل : علي كرم الله وجهه⁽⁶⁸⁾ . فالله تعالى يخص خلقه بالوحي أو الإيحاء بما يشاء .

المطلب الثالث: نزول الوحي على سيد المرسلين P

لعل أروع ما تمثلت به السيرة النبوية الشريفة، هي مرحلة نزول الوحي على رسول الله وكيفية نزول الوحي بداية، حين تلقى أولى الكلمات من لدن الحكيم العزيز على يد الملك جبرائيل في غار حراء حين تمثله بشراً سوياً وقال له: اقرأ باسم ربك الذي خلق (اقرأ باسم ربك الذي خلق (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5))⁽⁶⁹⁾، فصورة الوحي واضحة بالتمثل الكامل بالصورة والصوت، وجاء عن الإمام أبي جعفر عليه السلام ((قال: نزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد اقرأ قال وما اقرأ؟))⁽⁷⁰⁾ ، وفي كثير من المناسبات تكرر نزول الوحي بشخصه على رسول الله P وحسب المناسبات وهي ما نسميه أسباب النزول أو الحوادث والوقائع التي تستدعي الوقوف عليها أو التحذير منها ، (ولم يكن الوحي هو الطريقة التي تلقى بها خاتم الأنبياء وحده كلمات الله، بل هو الطريقة العامة لاتصال الأنبياء بالله، وتلقيهم الكتب السماوية منه تعالى، كما حدث الله بذلك رسوله)⁽⁷¹⁾ وكذلك نجد في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ...﴾⁽⁷²⁾ .

وحيث نبحث في الآيات القرآنية الكريمة عن تمثل الوحي بصورة عند رسول الله P نجد في بداية سورة النجم المباركة تتجلى صورة واضحة عن تجليات الوحي وكيفية بصور مبهرة عظيمة تمثل الصور الالهية بتمجيده. وقد ورد في سورة النجم وصف لتجلي الوحي على النبي ﷺ حيث يقول تعالى (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (9) فَأَحْيَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَبْرِئُ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15) إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (17) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (18))⁽⁷³⁾، وهذه الآية تؤكد عصمة النبي في تبليغ الوحي. العظمة لله تعالى يقسم بالنجم، ويقسم بما يشاء من مخلوقاته، ما ضل صاحبكم عن طريق الصواب ابداً حاشاك يا رسول الإنسانية بكل ما نسبته قريش اليك من اتهامات باطلة ولم تغو بكل مغرياتهم التي قدموها اليك وما فعلوا بصاحبك من أعمال تندأ لها جبين الإنسانية من قتل وتهمج وتنكيل، وما نطق من هواء أو أجهاداً من نفسه وأنما الحق أنه وحيا يوحى بالحق من لدن ملك مقتدر، عن الصادق عليه السلام ((إن رضى الناس لا يملك والستهم لا تضبط وكيف تسلمون مما لم يسلم منه انبياء الله ورسله وحجج الله الم ينسبوا نبيناً محمداً صلى الله عليه وآله ينطق عن الهوى في ابن عمه علي عليه السلام حتى كذبهم الله فقال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى))⁽⁷⁴⁾ . فكان الرسول P يتحرك وينطق بكلام حدده الله تعالى بتعاليم السماء التي كانت تنزل عليه عن طريق الوحي الامين ، إن هو الا وحياً يوحى، (قوله تعالى: " علمه شديد القوى " ضمير " للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو للقرآن بما هو وحي أو لمطلق الوحي والمفعول الآخر لعلمه محذوف على أي حال والتقدير علم النبي الوحي أو علم القرآن أو الوحي إياه والمراد بشديد القوى - على ما قالوا - جبريل وقد وصفه الله بالقوة في قوله " (ذي قوة عند ذي العرش مكين) ⁽⁷⁵⁾، وقيل: المراد به هو الله سبحانه)⁽⁷⁶⁾ . وكان للنبي محمد ﷺ مناسبات كثيرة بنزول الوحي وتمثله بهيئة البشر او اي خلق يشاء الله تعالى (قيل للصادق عليه السلام): كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما ينزع به الشيطان؟ فقال(عليه السلام): إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه

بعينه⁽⁷⁷⁾. ويوضح الرسول ﷺ أحوال الوحي وكيفية (سئل النبي صلى الله عليه وآله): كيف يأتيك الوحي؟ فقال صلى الله عليه وآله: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. نزوله عليه))⁽⁷⁸⁾ وهذا ما وضعه رسول الله ووصف به الوحي وحالات الظهور والتبليغ. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁽⁷⁹⁾ وكذلك حيث قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾⁽⁸⁰⁾ وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾⁽⁸¹⁾ وقال تعالى: ﴿مَّا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁸²⁾ (9) والايات الثلاث الأخيرة تفيد بأن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله رسالة عامة وعالمية الى يوم القيامة.

ء يسببوني غير هذه الصورة لن يكون نبياً للناس كافة، وللعالمين جميعاً. ولن يكون نذيراً لقومه ولمن بلغه نداؤه.

هذا وقد صرح النبي صلى الله عليه وآله نفسه في أحاديث كثيرة بهذا الموضوع وهو الصادق المصدق.

اهم نتائج البحث:

1. الوحي هو إعلام الله تعالى لأنبيائه ورسله بأحكام الدين والشرع، ويكون بطريقة خفية وسريعة وخارجة عن المألوف البشري..
2. الوحي هو العملية الإلهية الخاصة لنقل الرسالة والشرائع لأنبياء، سواء بصوت أو بواسطة ملك. أما الإيحاء فهو مصطلح عام يدل على إلقاء المعنى في النفس خفية، وقد يشمل الإلهام الفطري للبشر، أو الإشارات، أو حتى التأثير النفسي.
3. وحي الأنبياء هو وسيلة الاتصال الإلهية بنقل الرسائل والشرائع من الله إلى عباده. ويُعرف اصطلاحاً بأنه إعلام الله تعالى لأنبيائه ورسله بأمر أو تشريع أو توجيه، سواء كان بواسطة ملك (مثل جبريل عليه السلام) أو بغير واسطة.
4. وحي الأنبياء هو وسيلة الاتصال الإلهية بنقل الرسائل والشرائع من الله إلى عباده. ويُعرف اصطلاحاً بأنه إعلام الله تعالى لأنبيائه ورسله بأمر أو تشريع أو توجيه، سواء كان بواسطة ملك (مثل جبريل عليه السلام) أو بغير واسطة.
5. إيحاء الله تعالى لمخلوقاته هو أمره، أو إلهامه، أو تسخير وتوجيهه لها للقيام بوظائفها الحياتية والتعبدية. وردت كلمة "الوحي" ومشتقاتها في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة تتجاوز الرسالة السماوية الموجهة للأنبياء، لتشمل كل مخلوق في هذا الكون.
6. الإلهام الفطري للحيوانات: إرشاد الله للحيوانات وهدايتها بغريزتها لما فيه حفظ حياتها وبقائها، مثل إيحاء الله للنحل ببناء الخلايا واتخاذ الجبال بيوتاً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾⁽⁸¹⁾.
7. تسخير الجماد والطبيعة: توجيه المخلوقات غير العاقلة لتنفيذ أمره الكوني؛ كالأرض والسماء التي أمرت بالانتماء لأمره، كما في قوله جل وعلا: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁽⁸²⁾.
8. الإيحاء لغير الأنبياء من البشر قد يُلهم الله بعض الصالحين ويقذف في قلوبهم الطمأنينة أو يوجههم لما فيه الخير والنفع.

الخاتمة

يُعد الوحي في جوهره اتصالاً غيبياً من الخالق بالبشر، والحد الفاصل بين الإيمان المنطلق من التسليم المطلق، والمعرفة المادية المجردة. أما الإيحاء فهو المفهوم الأعم الذي يتضمن الإلهام، أو الإشارة السريعة، أو الخاطرة الصادقة. تتبلور أهمية الوحي والإيحاء في النقاط التالية: أساس الرسالات: الوحي التشريعي هو النور الذي يربط الأرض بالسماء ويحفظ قيم الأنبياء للبشر، ليكون المرجع الأساسي لهداية الإنسان وإخراجه من ظلمات الجهل إلى نور الحقيقة.

أساس الرسالات: الوحي التشريعي هو النور الذي يربط الأرض بالسماء ويحفظ قيم الأنبياء للبشر، ليكون المرجع الأساسي لهداية الإنسان وإخراجه من ظلمات الجهل إلى نور الحقيقة. الإيحاء العام: يتسع ليشمل الإلهام والرؤى الصادقة التي يمنحها الله لمن يشاء من عباده، كالفراشة، والتحديث، ومضات الإبداع والتفكير. خاتمة الوحي: تكللت هذه المسيرة بالوحي الخالد على خاتم الأنبياء

محمد ﷺ، والذي ترك للبشرية دستوراً شاملاً ومحفوظاً، معلناً انقطاع الوحي التشريعي بوفاة ﷺ والاكتفاء بما بُلِّغ. الارتقاء بالإنسان: الإيمان بالوحي يصنع إنساناً حضارياً متصلاً بضميره، يسعى للخير والإخاء والمحبة استلهاماً من التعاليم الإلهية.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: تحقيق الدكتور: محمد عوض مرعب - الأنسة: فاطمة محمد أصلان الناشر: دار إحياء التراث العربي - لبنان
3. ابن كثير: تفسير ابن كثير/ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين/ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان/ طبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
4. ابن منظور/ معجم لسان العرب/ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١ هـ)/ الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين/ الناشر: دار صادر - بيروت/ الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
5. الاجري/ كتاب الشريعة/ أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآخري البغدادي (ت ٣٦٠ هـ) لمحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي/ ناشر: دار الوطن - الرياض/ الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
6. الاصفهاني/ مفردات الالفاظ/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)/ المحقق: صفوان عدنان الداودي/ الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت/ الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
7. البغدادي/ الاختبار والامان/ وُلد عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧ - ٦٢٩ هـ / ١١٦٢ - ١٢٣١ م)/ الناشر: المكتب المصري الحديث الطبعة الأولى ١٩٧٧ • قطع وسط طويل • هارد كوفر • 740
8. جميل صليبة/ المعجم الفلسفي/ دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة. 1982. Addeddate: 2022-08-12 ... 18:49:26; Identifier: SAL1982ARENLA
9. الصدوق/ عيون أخبار الرضا/ الشيخ الصدوق. الموضوع: الحديث الشريف. الناشر: منشورات جهان. عدد الصفحات: 320.
10. الطباطبائي محمد حسين/ تفسير الميزان/ الموضوع: القرآن وعلومه • مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع • الصفحات: ٤٤٨... الاجزاء عشرون.
11. الطبري / أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) تفسير الطبري/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠/ عدد الأجزاء: ٢٤
12. الطبرسي/ تفسير مجمع البيان/ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المعروف بأمين الإسلام) المتوفى سنة 548 هـ. 10 أجزاء مطبوعة في مجلدات/ الناشر: دار المرتضى
13. الطوسي / التبيان في تفسير القرآن/ تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي 385 - 460 هـ تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي المجلد الأول دار إحياء التراث العربي ..
14. علي فكري/ أحسن القصص/ الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ; الصفحات: 558.
15. الفيض الكاشاني / تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي. الكاشاني/ الطبعة الثانية 1416 المطبعة: مؤسسة الهادي - قم

...

16. القرطبي / تفسير الجامع لأحكام القرآن . القرطبي/تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة/الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
17. القمي علي ابن ابراهيم/ تفسير القمي/الناشر: دار السرور. عدد الصفحات: 452. عدد الزيارات: 12,158.
18. الكليني /اصول الكافي/ محمد بن يعقوب الكليني /الناشر: منشورات الفجر/ اريخ الاصدار: 1428هـ / 2007م
19. المجلسي محمد باقر / بحار الانوار/ الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. تاريخ الاصدار: 1429هـ / 2008م. 26855.
20. محمد باقر/ علوم القرآن/ مجمع الفكر الاسلامي 22 علوم القرآن تأليف السيد محمد باقر مكتبة صحراء النجف
21. النعماني / تفسير النعماني/مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم
21. النيسابوري الحاكم / المستدرك على الصحيحين/ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري/ دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠
- المخطوطات والبحوث
1. البدخشي / مفتاح النجا/ مفتاح النجا في مناقب آل العبا/ الميرزا محمد بن رستم بن قباد الحارثي البدخشي (من أعلام الهند في القرن الثاني عشر)
2. مؤسسة اموزش / أمام خميني/ مؤسسه در 15 رشته از علوم انسانی و اسلامی در مقاطع کارشناسی، ارشد و دکتری با مجوز وزارت علوم دوره های آموزشی برگزار می کند و به فعالیتهای پژوهشی ...3. محمد صنقور / شبهات مسیحیه 2013 / مقال/ شبهات مسیحیه حول القرآن- ج2. تنزيل (MB 8.2) قراءة. المؤلف: الشيخ محمد صنقور علي البحراني. المحقق: التصنيف: القرآن وعلومه.
- (¹) ابن منظور: لسان العرب : 175 / 15
- (²) المصدر نفسه
- (³) لأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة "وحي"، ص 858. نقلاً عن: مركز نون للتأليف والترجمة، دروس في علوم القرآن، ص 55
- (⁴) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 6، مادة "وحي"، ص 93.
- (⁵) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج 4، ص 142
- (⁶) المصدر نفسه
- (⁷) مؤسسه آموزشی پژوهشی امام خمینی (ره) الجزء : 60 صفحة : 17
- (⁸) جميل صليبه /المعجم الفلسفي /1/ 181
- (⁹) المصدر نفسه
- (¹⁰) ينظر الكليني /أصول الكافي / 8 / 521
- (¹¹) المصدر نفسه
- (¹²) النعماني / تفسير النعماني /ينظر بحار الانوار للمجلسي /26/ 84
- (¹³) سورة النساء/ 163
- (¹⁴) محمد حسين الطباطبائي/ تفسير الميزان / مجلد 18 : 38
- (¹⁵) سورة النحل/ 68

- (¹⁶) سورة القصص / 7
- (¹⁷) سورة القصص / 7
- (¹⁸) سورة مريم / 11
- (¹⁹) سورة ال عمران / 41
- (²⁰) سورة فصلت / 12
- (²¹) الطبري / تفسير الطبري / 478
- (²²) محمد حسين الطباطبائي / تفسير الميزان / 17 / 367
- (²³) سورة يس / 82
- (²⁴) سورة المائدة / 111
- (²⁵) ابن كثير / تفسير ابن كثير / 126
- (²⁶) الطبرسي / تفسير مجمع البيان / 3 / 125
- (²⁷) سورة الانعام / 112
- (²⁸) الطبري / تفسير الطبري / 142
- (²⁹) سورة مريم / 83
- (³⁰) محمد حسين الطباطبائي / تفسير الميزان / 14 / 109
- (³¹) مركز الابحاث العقائدية / شبكة نت
- (³²) سورة السجدة / 24
- (³³) الفيض الكاشاني / تفسير الصافي / 3 / 347
- (³⁴) سورة الانبياء / 74
- (³⁵) الخطيب عبد اللطيف البغدادي / اختبار والامتحان - مفصلاً في (الحقائق الكونية) ج 2 من أوله إلى ص 133.
- (³⁶) المصدر نفسه
- (³⁷) الكليني / الكافي / 1 / 53
- (³⁸) الصدوق / عيون أخبار الرضا / 2 / 60
- (³⁹) المصدر نفسه
- (⁴⁰) سورة الانبياء / 74
- (⁴¹) مركز الابحاث العقائدية / شبكة نت / ينظر الكافي 1: 271 باب ان الأئمة (عليهم السلام)
- (⁴²) سورة الشورى / 51
- (⁴³) الاجري / كتاب الشريعة / 67
- (⁴⁴) مؤسسه آموزشی پژوهشی امام خمینی (ره) الجزء : 60 صفحة : 17
- (⁴⁵) سورة النساء / 163
- (⁴⁶) سورة هود / 69 / 70 / 71 / 72 / 73
- (⁴⁷) سورة الحجر / 58
- (⁴⁸) سورة هود / 78
- (⁴⁹) المجلسي / بحار الانوار / 12 / 157
- (⁵⁰) سورة هود / 81

- (⁵¹) سورة طه / 12
- (⁵²) سورة الشورى / 51
- (⁵³) الطباطبائي/تفسير الميزان / 14 / 73
- (⁵⁴) سورة النساء / 164
- (⁵⁵) سورة طه / 13
- (⁵⁶) الطباطبائي محمد حسين/تفسير الميزان/ 14 / 73
- (⁵⁷) سورة القصص / 22
- (⁵⁸) سورة آل عمران / 42
- (⁵⁹) سورة آل عمران / 45
- (⁶⁰) محمد صنفور / شبهات مسيحية / مقالة شبكة النت 2013
- (⁶¹) سورة مريم / 17
- (⁶²) سورة مريم / 20
- (⁶³) سورة يس / 82/83
- (⁶⁴) الطبرسي / جامع البيان / 103 / 11
- (⁶⁵) القرطبي / تفسير القرطبي / 17 / 19
- (⁶⁶) الحاكم النيسابوري / المستدرک علی الصحیحین / 3 / 132
- (⁶⁷) البدخشي / مفتاح النجا (مخطوط) / 20
- (⁶⁸) علي فكري الحسيني القاهري / أحسن القصص / 3 / 178 ط بيروت
- (⁶⁹) سورة العلق / 5
- (⁷⁰) علي بن ابراهيم القمي / تفسير القمي / 2 / 430
- (⁷¹) محمد باقر الحكيم / علوم القرآن / 25
- (⁷²) سورة النساء / 163
- (⁷³) سورة النجم / 18.1
- (⁷⁴) الفيض الكاشاني / تفسير الصافي في كلام الله الوافي / 1 / 193
- (⁷⁵) سورة التكويد / 20
- (⁷⁶) السيد محمد حسين الطباطبائي / تفسري الميزان / 19 / 27
- (4) تفسير العياشي/ المجلسي: بحار الانوار/ 18 / 262
- (5) المجلسي / بحار الأنوار: ج ٨ / 261.260
- (6) سورة الاحزاب / 40
- (7) سورة الفرقان / 1
- (8) سورة الانعام/ 19
- (9) سورة سبأ / 28
- (⁸¹) سورة النحل / 68
- (2) سورة فصلت / 12

دور التربية في تهذيب الانفعالات وتعزيز التفكير السليم

دراسة تأصيلية تحليلية في ضوء الكتاب والسنة

The Role of Education in Regulating Emotions and Promoting Sound Thinking:

An Analytical, Foundational Study in Light of the Qur'an and the Sunnah

إعداد:

إيمان فايز سنكري

Iman Fayez Sankari

طرابلس - لبنان

هاتف: 0096171014318

البريد الإلكتروني: iman_sankari@hotmail.com

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

دور التربية في تهذيب الانفعالات وتعزيز التفكير السليم دراسة تأصيلية تحليلية في ضوء الكتاب والسنة
The Role of Education in Regulating Emotions and Promoting Sound Thinking:
An Analytical, Foundational Study in Light of the Qur'an and the Sunnah

إعداد:

إيمان فايز سنكري

Iman Fayez Sankari

طرابلس - لبنان

هاتف: 0096171014318

البريد الإلكتروني: iman_sankari@hotmail.com

ملخص البحث

تنمية المجتمع مرهونة بمدى تطور الوعي المجتمعي، الذي يتأثر بدوره بوعي العنصر البشري، القائم على أسس تربوية ومنهجية راسخة. إذ تمثل التربية الأساس المحوري في استقامة المسار الفكري والسلوكي للأفراد، لما لها من أهمية بالغة في بناء المفاهيم وغرس القيم.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على العلاقة الوثيقة بين التربية وبناء الفكر السليم، وبيان أثر هذه العلاقة في توجيه الانفعالات وضبطها. كما يتناول البحث الدور الأساسي الذي يؤديه التوجيه القرآني والسنة النبوية في ترسيخ البناء العقدي والقيمي لدى الفرد منذ نشأته، مع التأكيد على أهمية الحاضن الأول للطفل قبل خروجه إلى الحياة، والمتمثل في الأم، التي تُعدّ اللبنة الأولى والدعامة الأساسية في تشكيل فكر الطفل وبناء شخصيته.

وإنّ كثرة المؤثرين في المجال التربوي في العصر الراهن، سببها تعدّد المرجعيات التي توجه فكر الإنسان، ممّا أوقع التربية في ارتباك شديد، وذلك لضعف الوعي لدى من يتولّون مسؤولية التنشئة، ممن يفتقرون إلى الأسس العلمية والمعرفية المستمدة من الكتاب والسنة. ومن هذا المنطلق، يسعى البحث إلى إبراز المبادئ والاسس التربوية الأصيلة، التي من شأنها الإسهام في إنشاء مجتمع صالح ومصلح، قائم على وعي متين وتوجيه قيم راسخ.

الكلمات المفتاحية للبحث: التربية، التفكير، الانفعالات

Abstract

Community development is contingent upon the advancement of societal awareness, which is itself influenced by the awareness of the human element, an awareness built upon solid educational and methodological foundations. Education represents the central pillar in guiding individuals' intellectual and behavioral pathways, given its crucial role in shaping concepts and instilling values.

This research aims to shed light on the close relationship between education and the development of sound thinking, as well as to demonstrate the impact of this relationship on directing and regulating emotions. The study also addresses the fundamental role played by Quranic guidance and the Prophetic

Sunnah in establishing the doctrinal and value-based foundations of the individual from early childhood. It emphasizes the importance of the child's initial nurturing environment before entering the world, represented by the mother, who constitutes the first building block and the essential foundation in forming the child's thinking and shaping their personality.

The abundance of influencers in the educational sphere today stems from the multitude of reference points that shape human thinking. This has caused significant confusion in the educational process due to the lack of awareness among those responsible for upbringing, individuals who often lack the scientific and knowledge-based foundations derived from the Qur'an and Sunnah. From this standpoint, the research seeks to highlight the authentic educational principles and foundations that contribute to building a righteous and reform-oriented society, grounded in strong awareness and firm value-based guidance.

Keywords: education, emotions, thinking, integrative relationship

مقدمة

تميّز الإنسان عن سائر المخلوقات بصفات ربّانية، لا تُعدّ ولا تُحصى، كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، "فقد فضّل الله جلّ جلاله الإنسان على سائر الكائنات بمزايا خلقية طبيعية ذاتية، من أبرزها: العقل، والنطق، والقدرة على الكتابة، وحسن الصورة، وامتداد القامة. ومن خلال هذه الخصائص، حوّل الله جلّ جلاله بعقله وفهمه، اكتساب العقائد الحقّة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة. فكان التكريم في الخلقة، والتفضيل في القدرة على الإدراك والعمل"¹.

وقد منّ الله جلّ جلاله على الإنسان بالإرادة، والعزيمة، والعقل، والتفاعل، وهي عناصر جعلته مؤهلاً للتكليف الشرعي، وحملت مسؤولية الأمانة التي عُرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها. كما سخّر له أصنافاً متعددة من وسائل النقل والمراكب، وأرزاقاً متنوعة، تيسيراً لمعاشه وبلوغاً للغاية التي خلق من أجلها، وهي عبادة الله بإخلاص، ومجاهدة الهوى حتى يبلغ درجة التقوى.

ولهذا كان الإنسان مسؤولاً عما استخلفه الله جلّ جلاله فيه، وبأن رسول الله ﷺ مسؤولية الفرد في رعاية من وُكِّل إليه أمرهم، بقوله ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"²، فالنبي ﷺ خير قدوة في رعاية أبناء الرعية وتأديبهم، حيث أسهم بأسلوبه

¹ الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1401هـ، 1981م، (ج21/ص: 17)، (بتصرف).

² عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م، (67) كتاب النكاح، (91) باب: المرأة راعية في بيت زوجها، رقم الحديث: 5200، (ص: 930).

التربوي في تهذيب انفعالاتهم، وتعزيز الفكر السليم في نفوسهم، فاستقامت أفكارهم، وحسنت أفعالهم، وبلغوا بذلك أعظم المراتب في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية للبحث: التربية، التفكير، الانفعالات

تعريف التربية: تُعرّف التربية بأنها عملية شاملة تُعنى بتنمية الفرد ورعايته وإصلاحه، وذلك من خلال توفير رعاية متكاملة تُلبّي حاجاته الجسدية، والنفسية، والأخلاقية، والاجتماعية. وسيتم تناول هذه الجوانب بشيء من التفصيل في المبحث الأول من هذا البحث.

تعريف التفكير لغة: فُكِّرَ في، يُفَكِّر، تفكيراً، فهو مُفَكِّرٌ، والمفعول مُفَكَّرٌ فيه، فُكِّرَ الشَّخصُ: مارس نشاطه الذهني، فُكِّرَ في الأمر: تفكَّرَ فيه، تأمَّلَه، أعمل العقل فيه ليصل إلى نتيجة أو حل أو قرار، أو اهتمَّ به. تفكير مفرد، مصدر فُكِّرَ، فُكِّرَ في، ما يقابل الوجدان والتزوع¹. وأمّا المعنى اصطلاحاً: الفُكْرُ مقلوب عن الفكرك لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها²، وحركة النفس نحو المبادئ والرجوع عنها إلى المطالب³، وهو جولان الخاطر في النفس⁴، وهو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة⁵.

إذاً يُعد التفكير نشاطاً ذهنياً، يتطلب التأمل، وبذل جهد عقلي منظم، بهدف الوصول إلى حقيقة يسعى الفرد إلى إدراكها واستكشافها.

تعريف الانفعالات:

لغة: يُشتق لفظ (فعل) الفاء والعين واللام، من أصل صحيح يدلُّ على إحداث شيء من عمل وغيره⁶، فالفعل بالكسر، يُعبر عن حركة الإنسان، أو كناية عن كُلِّ عَمَلٍ مُتَعَدٍّ⁷. أمّا (المِنْفَعِل) مفرد، وهو اسم فاعل من (انفعل)، انفعل به، انفعل على، ويُراد به استجابة الكائن الحي لمثير خارجي⁸، ويُطلق الانفعل الشديد على ما يدلُّ على تأثير شديد⁹. اصطلاحاً: الانفعل يقصد به التأثير وقبول الأثر¹⁰، هو الهيئة الحاصلة للمتأثر عن غيره بسبب التأثير أو لا¹¹.

وعند الحكماء هو التأثير، والانفعاليات عندهم هي الكيفيات المحسوسة الراسخة كصفرة الذهب، والانفعالات هي الكيفيات المحسوسة غير الراسخة كصفرة الوجه¹². ويُستعمل الفعل في وصف الحسن منه والقبيح، قال تعالى ﴿مِ مِ مِ﴾ [الأنبياء: 73]، وقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ أَلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: 19]، يعني قتل

¹ مختار عمر، أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م، (ج3/ص: 1733).

² الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم - دمشق، 1430هـ - 2009م، كتاب الفاء مادة: فكر، (ص: 643).

³ الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ - 1998، فصل الفاء، مادة الفكر، (ص: 697).

⁴ المناوي، عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، باب الفاء، فصل الكاف، (ص: 263)، مصدر سابق.

⁵ الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ - 2005م، (ج4/ص: 425).

⁶ ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، كتاب الفاء، باب الفاء والعين وما يثلثهما، مادة: فعل، (ج4/ص: 511).

⁷ الفيروزبادي، القاموس المحيطة، دار الحديث - القاهرة، 1429هـ - 2008م، باب حرف الفاء، مادة فعل، (ص: 1255).

⁸ مختار عمر، أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة ف ع ل، (ج3/ص: 1727)، مصدر سابق.

⁹ مختار عمر، أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، (8/135)، المصدر نفسه. (بتصرف)

¹⁰ الكوفي، الكليات، فصل الفاء، مادة الفاعل، (ص: 683)، مصدر سابق. (بتصرف)

¹¹ الجرجاني، علي بن محمد، معجم التعريفات، دار الفضيلة، باب الفاء، الفاء مع العين، (ص: 141).

¹² التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، (ج1/ص: 284).

النفس¹، ويُعرّف "المُفْعِلُ" أنه الذي يُلاحظ فيه قبول الفعل في نفسه، ويقال لما لا يقصِدُ الفاعلُ إيجاده وإن تَوَلَّدَ عنه، كخُمرة اللون من خجل يعتري من رؤية إنسانٍ، أو الطرب الحاصل عن الغناء، أو تحرك العاشق لرؤية معشوقه. وقد قيل إنَّ لكلَّ فعلٍ انفعالاً، باستثناء الإبداع الإلهي الذي هو إيجادٌ من عدمٍ، لا في عرضٍ وفي جوهر، بل هو إيجاد الجوهر نفسه².

فالنفس البشرية عُرضةٌ لانفعالاتٍ طارئة، والفعل الإنساني انعكاس لها. وتمتد آثار هذه الانفعالات إلى الجانبين النفسي والجسدي، مما يساهم في ظهور أعراض أو تفاقم أمراض مجودة لدى الفرد. وتظهر الانفعالات في صورٍ حسيةٍ أو معنوية، كما تُحدثُ المثيرات الخارجية حالاتٍ انفعاليةً يصعب كبسها، وتتفاوت شدتها بحسب قوة تأثيرها.

أهمية البحث

يُشير علماء المستقبل إلى أنَّ معارف البشرية تتضاعف كلَّ ثلاث إلى خمس سنوات³، مما يفرض تحديات متزايدة على الجيل المعاصر في سعيه لتجاوز العقبات ومواجهة مظاهر الاختلاط الثقافي. من هنا تبرز الحاجة إلى وضع خارطة طريق واضحة تُبَيِّنُ معالم النجاة للهوية الإسلامية، من خلال استنباط الأساليب والتقنيات المستمدة من الكتاب والسنة، وتحديد معايير الصواب والخطأ، بما يساهم في توضيح المسار وتقويم الحياة في ضوء القيم الإسلامية الأصيلة.

سبب اختيار البحث

التربية عنصرٌ محوريٌّ في تشكيل شخصية الإنسان وبناء منظومته الفكرية والسلوكية، إذ يتعدى حصر أثرها أو حده ضمن نطاق معيَّن، لما لها من تأثير واسع النطاق، يمتد إلى مختلف جوانب حياة الفرد. وهذا التأثير غير مرهون بمرحلة عمرية محددة، أو بطبقة بيئية معينة، أو بوظيفة اجتماعية مخصصة، بل يتعلّق بكامل مسيرة الإنسان على اختلاف مراحلها وظروفها. لا ينحصر دور المربي بشخصٍ محدد، بل هو يشمل مختلف الفاعلين في البيئة التربوية. فقد يتمثل في الوالدين باعتبارهما النواة الأولى للتنشئة، أو في المعلمين بوصفهم وسطاء معرفيين وتربويين، كما يشمل الأفراد المحيطين الذين يحدثون تأثيراً بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في تشكيل الخبرات النفسية والسلوكية للمترى.

ومن الملاحظ أنَّ المجتمع يعاني من أُمّية في قراءة تربية الله تعالى وفهمها وإدراكها، هذه التربية التي تُعدّ خارطة تحمل ملامح الفلاح الدنيوي والأخروي، في ضوء الكتاب والسنة، اللذين يُنشِئان لمن اعتصم بهما، أُسساً متينةً، وفكراً سليماً، وأخلاقاً فاضلةً، وسلوكاً قويمًا، وعلاقات متّزنة، وأهدافاً سامية، وقيماً رشيدة.

وانطلاقاً من ذلك، تبرز أهمية البحث في توحيد المرجعية التربوية، والتمسك بالمنهج الإلهي والتوجيه النبوي، كما قال تعالى فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الزخرف: 43]، وقوله تعالى لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ [الحديد: 25]، وبذلك يتضح الاتجاه، وتُفهم تربية الله تعالى، فيُتَيَقَّن من سلامة النتائج، وجوانبها الإيجابية، ويتحقّق التوازن، والاستقامة في المترى، لأنّ تعدد مصادر التربية واختلاف مرجعياتها يؤديان إلى حالة من الارتباك الفكري والنفسي، ممّا يُفضي إلى اضطراب في التصوّرات والانفعالات، وتخبّط في مسار الحياة.

¹ الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ج4/ص: 167).

² الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، كتاب الفاء، مادة فعل، (ص: 641)، مصدر سابق. (بتصرف)

³ جروان، فتحي، تعليم التفكير، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1999م، (ص: ذ).

فرضية البحث

تفترض هذه الدراسة أنَّ تعدّد مصادر التربية واختلاف مرجعياتها، غير المرتكزة على المنهجية الربانية الحقة، يؤدّيان إلى ارتفاع مستوى الاضطراب الفكري والنفسي والانفعالي لدى الفرد، كما يسهمان في حدوث اختلال في وضوح النظام الذي يحكم حياة المسلم، سواء في ممارساته العملية أو في طبيعته الاجتماعية.

مشكلة البحث

يواجه المربّون تحديات غير مسبقة في ظل التوسع المتسارع في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، التي أصبحت في متناول الصغير والكبير على حدٍ سواء. وقد أدّى هذا الانفتاح إلى اختلاط الصالح بالطالح، وانتشار المفاهيم المغلوطة، وتشويه الحقائق، وترويج القيم المنحطّة والعقائد الفاسدة. ونتيجة لذلك، شهدت المفاهيم الدينية وأصولها لدى متابعي هذه الوسائل حالةً من التشوّه، الأمر الذي أسهم في اضطراب العقيدة، وإضعاف الشعور بالأمن النفسي، والانحراف عن أنماط التفكير السوي، وزعزعة الأسس القيمية التي تركز عليها الهوية الدينية. كما أفضى ذلك إلى بروز انفعالات غير منضبطة وغير مألوفة مقارنةً بالعصور السابقة، وإلى تفكك ملحوظ في العلاقات الاجتماعية.

الدراسات السابقة

عند مراجعة الدراسات ذات الصلة، في موضوع التربية ودورها في تهذيب الانفعالات وتعزيز التفكير السليم، تبين وجود عدد من الدراسات التي تناولت موضوع دور التربية من زوايا متعددة، ومن أبرزها ما يلي:

1- دراسة بعنوان: " دور التربية في تعديل بعض السلوكيات الخاطئة "، نُشرت في مجلة كلية التربية - جامعة الأزهر، عام 2017م، للباحث عبد الفتاح أحمد شحاته أحمد، أستاذ التربية الإسلامية المساعد - بقسم التربية الإسلامية، كلية التربية - جامعة الأزهر. تناولت الدراسة السلوكيات الخاطئة في تربية الأبناء في العلاقات الزوجية، وركزت على كيفية تعديل هذه السلوكيات في ضوء المنظور الإسلامي. وقد بيّنت الدراسة أهمية التوجيه التربوي المبني على القيم الدينية في تصحيح الانحرافات السلوكية داخل الأسرة.

2- دراسة بعنوان: " دور معلم التربية الإسلامية في تنمية مقومات الهوية الإسلامية لدى الطلبة في ظل مهارات القرن الحادي والعشرين بدولة الكويت "، نُشرت في المجلة التربوية، قسم التربية، عام 2022م، للباحث معالي محمد العبد الهادي، كلية التربية، جامعة الكويت - الكويت، والباحثة جاسمية محمد شمس الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت - الكويت. هدفت الدراسة إلى التعرف على دور معلم التربية الإسلامية في تعزيز الهوية الإسلامية لدى الطلبة، وذلك في سياق التغيرات المتسارعة ومتطلبات مهارات القرن الحادي والعشرين، مع التركيز على البيئة التعليمية في دولة الكويت.

3- دراسة بعنوان: " دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة على منظومة القيم الأخلاقية لدى الشباب "، نُشرت في مجلة كلية التربية، جامعة بنها - كلية التربية، عام 2015م، للباحثة عالية محمد تراب الخياط. هدفت الدراسة إلى إبراز أهم التحديات التربوية والاجتماعية المعاصرة التي تواجه منظومة القيم لدى فئة الشباب، كما سعت إلى توضيح الدور الوقائي والعلاجي للتربية الإسلامية في مواجهة هذه التحديات، مؤكدة أهمية تعزيز المناعة القيمية لدى الشباب من خلال الخطاب التربوي الإسلامي.

4- دراسة بعنوان: " دور التربية الإسلامية في تنمية القيم التربوية لدى تلميذات المرحلة الابتدائية بدولة الكويت"، نُشرت في المجلة التربوية، جامعة المنصورة- كلية التربية، عام 2022م، للباحثة حصة علي إبراهيم المناع. تناولت الدراسة دور التربية الإسلامية في تنمية القيم التربوية لدى تلميذات المرحلة الابتدائية في دولة الكويت. يسهم هذا البحث في إثراء الدراسات السابقة من خلال إبراز مفهوم التكامل التربوي بين التربية الروحية والتربية الفكرية، باعتبارهما ركيزتين أساسيتين في بناء الشخصية المتكاملة، نفسياً وروحياً وجسدياً، والقائمة على التوازن والاعتدال، والقادرة على إدراك الحقائق، وعلى التفاعل المنسجم مع معطيات الواقع المعاصر.

منهج البحث

اعتمد البحث منهجاً تأصيلياً يقوم على الاستقراء والتتبع في مصادره الأساسية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مع عزو الآيات إلى مواضعها في السور وذكر أرقامها، والاستدلال بالأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وتحليلها، بالرجوع إلى شروح العلماء المتقدمين في تفسير الآيات والأحاديث. ويهدف هذا المنهج إلى تأصيل أهمية التربية والتفكير، وتوضيح دورهما في تهذيب الانفعالات، وبيان سبل تقويمهما. كما استعان البحث بكتب التربية والدراسات المتخصصة لتوظيفها في خدمة البحث.

خطة البحث:

تمهيد وتحت مبحثان وخاتمة

المبحث الأول: الأبعاد التربوية لتهذيب الانفعالات

وتحت ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التربية لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: الأساليب التربوية لتهذيب الانفعال

المطلب الثالث: التوجيهات القرآنية والنبوية لتهذيب الانفعالات

المبحث الثاني: العلاقة التكاملية بين تهذيب الانفعالات وصحة التفكير

وتحت ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التفكير السليم في الإسلام.

المطلب الثاني: أثر التفكير السليم في توجيه السلوك

المطلب الثالث: أساليب التفكير السليم وتعزيز تهذيب الانفعالات

الخاتمة: تتضمن أبرز النتائج والتوصيات

دور التربية في تهذيب الانفعالات وتعزيز التفكير السليم

دراسة تأصيلية تحليلية في ضوء الكتاب والسنة

تمهيد

القرآن الكريم منهج متكامل على جميع الأصعدة، كما أنه يضع أسساً تربويةً صالحةً لمختلف مراحل حياة الإنسان في كل الأزمنة، قال تعالى: **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** [البقرة: 119]، أي: "بالأمر الكامل الذي يطابقه الواقع في كل جزئية يجبر بها"¹. وقد تضمن القرآن قواعد تشمل كل ما يهمّ العباد ليقيسوا عليها أفعالهم، وهذا فضل الله ﷻ عليهم ليغنيهم به عن غيره، وليدفع عنهم الشك والحيرة من أمورهم. فيمتثلوا ثقةً بأنفسهم لكونهم على الصراط المستقيم، متمسكين بحبل الله المتين،

¹ البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (ج2/ص: 136).

قال تعالى [المائدة: 48]، لذلك إنَّ الاستغناء بالقرآن هو الضمانة الحقيقية كمرجع للإنسان، لسلامة مضمونه لأنه كلامُ الربِّ ﷺ، العليم بما تُخفيه الصدور وما يُخفى على البشر. وتشير نصوص القرآن الكريم على أنَّ السعادة من نتائج العقل والبصيرة وأنَّ الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة وإهمال العقل وانطفاء نور البصيرة¹.

وإنَّ استخلاص القواعد التربوية من سيرة رسول الله محمد ﷺ يُمثِّل منهجاً علمياً مؤصلاً. فسيرته ﷺ تُعدُّ نموذجاً تطبيقياً راسخاً ومصدراً تربوياً موثقاً، لا يصدر عن اجتهادٍ بشريٍّ محضٍ، بل يستمدُّ أصالته من الوحي الإلهي الهادي إلى سواء السبيل، قال تعالى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ [النجم: 3-4]. حمل ﷺ إلى الإنسانية منهجاً تربوياً متكاملًا، على الرغم من نشأته يتيماً وفقد أمه في السابعة من عمره، غير أنَّ تلك الابتلاءات لم تقف حائلاً أمام بلوغه أسمى مراتب الكمال الإنساني. وصرَّح رسول الله ﷺ بأنَّ التربية والتعليم ركُنٌ أساسيٌّ في رسالته بقوله ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَنِي مُعْتَنًا، وَلَا مُتَعَتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا]²، هذا يُبرز مركزية المسؤولية. ويمتاز المنهج النبوي بتكامله بين الجوانب الروحية والعقلية والسلوكية، مما يجعله إطاراً تربوياً صالحاً لكل زمان ومكان، كما يشكل حصناً حصيناً من الفتن والانزلاق فيها، لمن لم يُعرض عن أمر الرسول ﷺ، قال ﷺ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُنُوا لِلَّهِ غُلَامًا وَرَبِّكُمْ أَرْذَلًا** [النور: 63].

لذا فإنَّ دراسة القواعد التربوية المستمدة من السيرة النبوية لا تُعدُّ مجرد بحثٍ علمي، بل تتمثِّل استنارة بمنهج رباني، ومدخلاً معرفياً لفهم الأسس التي أسهمت في بناء الجيل الأول، وتشكيل نموذج حضاري إسلامي أضاء العالم، ولا يزال أثره ممتداً إلى عصرنا الحاضر، قال رسول الله ﷺ: [إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبُهُنَّ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا]⁴.

¹ عمارة البقاعي، محمد، مَقُومَاتُ الْأَمْنِ الاجتماعي في الإسلام، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط1، 1430هـ - 2009م (ص: 38).
² ابن الحجاج، مسلم، صحيح مسلم، دار طيبة، الرياض، ط1، 1427هـ - 2006م، (18) كتاب الطلاق، (4) باب بيان أن تحيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، رقم الحديث: 1478، (ص: 680). شرح الحديث: (إن الله لم يبعثني معنًا) أي شقاء على عباده (ولا متعنتًا) بتشديد النون مكسورة أي طالب للنعوت وهو العسر والمشقة (ولكن بعثني معلماً) بكسر اللام مشددة (ميسراً) من اليسر قال الحرالي: وهو حصول الشيء عفواً بلا كلفة، وهذا قاله لعائشة رضي الله عنها لما أمره الله بتحخير نسائه فبدأ بها فخيرها فاختارته وقال يا رسول الله لا تقل إني اخترتك. يُنظر: المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2، 1391هـ - 1972م، (ج2/ص: 254).
³ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُنُوا لِلَّهِ غُلَامًا وَرَبِّكُمْ أَرْذَلًا** [النور: 63] أي: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُنُوا لِلَّهِ غُلَامًا وَرَبِّكُمْ أَرْذَلًا** أي يوقع الحذر **كُنُوا لِلَّهِ غُلَامًا وَرَبِّكُمْ أَرْذَلًا** أي يوقعون مخالفته بالذهاب مجاوزين معرضين **كُنُوا لِلَّهِ غُلَامًا وَرَبِّكُمْ أَرْذَلًا** أي أمر رسول الله ﷺ، إلى خلافه **كُنُوا لِلَّهِ غُلَامًا وَرَبِّكُمْ أَرْذَلًا** أي شيء يخالفهم في الدنيا فيحيل أمورهم إلى غير الحالة المحبوبة التي كانوا عليها **كُنُوا لِلَّهِ غُلَامًا وَرَبِّكُمْ أَرْذَلًا** في الآخرة، وهذا يدل على أن الأمر للوجوب حتى يصرف عنه صارف، لترتيب العقاب على الإخلال به، لأن التحذير من العقاب إنما يكون بعد قيام المقتضي لنزول العذاب. انظر: البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر، (ج13/ص: 326)، مصدر سابق.

⁴ صحيح البخاري، (81) كتاب الرقاق، (26) باب الانتهاء عن المعاصي، رقم الحديث: 6483، (ص: 1613)، مصدر سابق. شرح الحديث: هذه أمثال ضربها النبي ﷺ لأمته لينبههم بها على استشعار الحذر، خوف التورط في محارم الله والوقوع في معاصيه، ومثل لهم ذلك بما عاينوه وشاهدوه من أمور الدنيا؛ ليقرب ذلك من أفهامهم، ويكون أبلغ في موعظتهم، فمثل ﷺ اتباع الشهوات المؤدية إلى النار بوقوع الفرائض في النار؛ لأن الفرائض من شأنه اتباع ضوء النار حتى يقع فيها، فكذلك مُتَّبِعُ شهوته يؤوُلُ به ذلك إلى العذاب، وشبه جهل راكب الشهوات بجهل الفرائض؛ لأنها لا تظن أن النار تحرقها حتى تقتحم فيها. يُنظر: ابن بطال، علي بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري ابن بطال، مكتبة الرشد، السعودية - الرياض، (ج10/ص: 194).

والنصوص الشرعية أظهرت أنَّ التربية متعلقة بالرعاية والتنمية، وقيل "زبا الشَّيْءُ إِذَا انْتَفَع"³، كما أنَّ فيها مشقَّةً وتعباً وتكللها الشفقة، ففي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ﴾ [النساء: 1]، يرام في الآية إلى "كفالة الصَّيِّ وَتَدْبِيرُ شُؤْنِهِ"⁴، وفي قوله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدَيْنِ إِذَا تَمَاتَا﴾ [النساء: 8]، أي نمائي⁵، فالتربية تعد تكملة للوجود، والرحمة هي حفظٌ للوجود لاجتناب انتهاكه، وكلاهما يقتضيان شكر الوالدين عليهما، والدعاء لهما بالرحمة، فجمع بين قيامهم بالتربية والرعاية والحفظ بهذا الشكر⁶. وقد أثبت التقدُّم العلمي والتَّقني أنَّه لا يمكن أن يلغى دور التربية ولا أن يُحُلَّ محلَّها، إذ يُشير الواقع إلى تفاقم المؤثرات السَلْبِيَّة على المجتمعات، والانحدار القِيَمِي والأخلاقِي والدِّيَنِي بين الأفراد. والعلاقة بين المربي والمتربي هي علاقة تأثُّر وتأثير، فتساهم التربية في نمو الشخصية، وبناء الثقة فيها، أو تحطيمها، وبناء الشك بقدراتها.

ومن الأقوال الماثورة التي تُبرز مكانة التربية، وتحلّي دور العلماء في ترسيخ مبادئها، ما "روي عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: الناسُ ثلاثة: عالمٌ ربّانيٌّ ومتعلّمٌ على سبيل النّجاة، وهَجْجٌ رِزاعِ أتباع كل ناعق. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ عند وفاة عبد الله بن عباس عليه السلام: اليوم مات ربّانيّ هذه الأمة،" ⁸ فكلّمة "ربّانيّ" منسوبةٌ إلى الرّبّ بزيادة الألفِ والتّونِ للمبالغة، وقيلَ هُي مشتقة من الرّبِّ بمعنى التّربيّة، لأنّ العلماء كانوا يُرَبُّون المتعلّمين بدءاً بصغار العُلُوم قَبْلَ كِبَارِها، ويعرّف العالم الرّبّانيُّ بأنه الراسخُ في العِلْمِ والدين، أو الَّذي يَطْلُب بعِلْمه وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقيلَ هو العالمِ العَامِلِ المُعَلِّمِ." ⁹ فيستنبط من هذه الأقوال الماثورة. أنَّ عِلْمَ الرّباني العميق واتصافه بالحكمة جعلاه في أعلى مراتب العلم والتربية الناضجة، لجمعه بين المعرفة الراسخة والهداية للحق، لذا قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَهْتَدِي لِرَبِّهِمْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ﴾ [آل عمران: 79]، مؤكداً أنَّ المرء

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

⁹الجزري، مجد الدين، (ابن الأثير)، النهاية في غريب الحديث والأثر، الأعمال الكاملة، ط3، حرف (الراء)، باب (الراء مع الباء)، (ص: 335).

المطلب الثاني: الأساليب التربوية لتهديب الانفعال

ومن الركائز التربوية الرئيسة في تهذيب الانفعال، سعة الصدر، وهي من آثار الحكمة التي يكتسبها الإنسان. إذ تتجلى فيها المرونة عند المتخلّق بما، وقبول الاختلاف والمخالفة، حتى في الأمور التي قد لا تستسيغها النفس، فضلاً عن استقبال الأحداث برحابة نفس وقبول ورضا. وينبع هذا التّوجه، من الإيمان بأنّ ما يصيب الإنسان يقع بعلم الله وتقديره، وأنّ أقداره كلّها خير، وأنّها صادرة عن حكمةٍ إلهيةٍ. فينبغي تربية النفس على التيسير ونبد الشدّة، والتحليّ بصفة السّماحة، لتُنمّي قدرة الفرد على ضبط انفعالاته عند مواجهته لما يكره أو عند تعدّر تحقيق ما يرجوه من لذات، فيتجاوز عن أخطاء الآخرين، ويغلب على تعامله اللين والعفّة، فيُساهم في تعزيز التماسك الاجتماعي، وهذا كله سببٌ لنيل رحمة الله ﷻ، لقول رسول الله ﷺ "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"².

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

⁶ حنبله المیدانی، عبد الرحمن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (ج2/ص: 122)، مصدر سابق، (بتصرف)

أَمَّا النَّسْوَةُ، فَقَدْ نَطَقْنَ بِقَوْلِهِنَّ - حَاشَ لِلَّهِ - وَهِيَ عِبَارَةٌ تَدُلُّ عَلَى "تَسْلُلِ شَيْءٍ مِنْ دِيَانَاتِ التَّوْحِيدِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ"³، يُؤَكِّدُ ذَلِكَ أَنَّ اللِّسَانَ، كَمَا الْجِسْمَ، يَتَفَاعَلُ وَيَنْفَعِلُ، بَلْ يُعَدُّ مِنَ أخطر أعضاء جسم الإنسان أثراً عند الانفعال، لما يترتب عليه من آثار سلباً أو إيجاباً، على الناطق والسماع، بحسب ما يقتضيه المقام. إِنَّ تَهْدِيبَ الانفعال في الكتاب والسنة لا يقتصر على ضبط أساليب التعامل بين الناس فحسب، بل يشمل تهذيب اللسان وضبط الألفاظ، لما في ذلك من حفظ المشاعر.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿كَذُو وُو وُو وُو وُو وُو وُو وُو وُو﴾⁴ [البقرة: 104]، حيث دلَّت الآية على أهمية مراعاة الألفاظ، وتجنب العبارات التي قد تتضمن إجحاءً بالانتقص أو الإهانة، لما قد يترتب عليها من آثار سلبية، مع الحث على اختيار الألفاظ اللينة التي تُحدث أثراً إيجابياً في المتلقِّي. وقد تأكَّد هذا المعنى في السنة النبوية من خلال توجيه النبي ﷺ إلى كفِّ الأذى اللفظي والفعلية عن المسلمين، وعُدَّ ذلك من خصال كمال الإسلام، فقال ﷺ: «[الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ]⁵»، وبذلك يتبيَّن أنَّ الخطاب الشرعي قد أولى عناية كبيرة بضبط الانفعال اللفظي، لما له من دور في تحقيق التوازن النفسي والسلوكي.

مجلة دراسات العلوم
4/ : 1985، المجلد 1 (ق ف)

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج4/ص: 1985) المصدر نفسه. (بتصرف)

² صحيح البخاري، (97) كتاب التوحيد، (15) باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: 28]، رقم الحديث: (7405)، (ص: 1827)، مصدر سابق.

³ سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج4/ص: 1984)، المصدر نفسه.

٤ ﴿ف﴾ التي تقصدون بها الرعاية والمراقبة لمقصد الخير وخفض الجانب، فاغتمها اليهود لموافقة كلمة سيئة عندهم فصاروا يلوون بها ألسنتهم ويقصدون بها الرعونة وهي إفراط الجهالة فنهاهم عن موافقتهم في القول منعا للصحيح الموافق في الصورة لشبهه من القبيح وعوضهم منها ما لا يتطرق إليه فساد فقال: ﴿ف﴾ فأتبقى المعنى وصرف اللفظ. يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، (ج2/ص: 86)، مصدر سابق.

⁵صحيح البخاري، (2) كتاب الإيمان، (4) باب الْمُؤْمِلُ مَنْ سَلِمَ الْمُؤْمِلُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، رقم الحديث: (10)، (ص: 13)، مصدر سابق.

⁶ چ ژ ژ چ يُقال: ثلاث من الصبر: أن لا تحدّث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكّي نفسك. يُنظر: الطبري، جامع البيان، (ج13/ص: 41). وقد فسر الصبر الجميل بالذي لا يخالطه جزع. والجمال: حسن الشيء في صفات محاسن صفته، فجمال الصبر أحسن أحواله، وهو أن لا يقارنه شيء يقلل خصائص ماهيته. يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج12/ص: 239)، مصدر سابق.

[illegible]

الخلاصة المجتبرة من المواقف المذكورة في هذا المطلب، أنَّها اجتمعت على قيمٍ راسخة تثَّلت في كظم الغيظ، والتحلي بالصبر، والاستعانة بالله تعالى والاعتصام به، غير أنَّها تباينت في أسلوب التعبير عن المشاعر الداخلية، منها ما مال إلى التصريح بها، ومنها ما أثر إضمارها تَغليلاً للمصلحة الراجحة. ويتجلَّى أثر هذا في بناءِ نفسٍ صلبةٍ متماسكةٍ، تستمدُّ قوَّتها من المفاهيم الدينية، فلا تنكسر أمام الأزمات، بل تسمو بهتذيب انفعالاتها وضبط المشاعر الداخلية.

المطلب الأول: مفهوم التفكير السليم في الإسلام.

إنَّ المنهج الرباني منوط بالأسس واللبنات المؤصلة المتكاملة، المصاغة بفكرٍ سليمٍ، تُثمر حلولاً لجميع المشكلات، وتُجيب على جميع التساؤلات، وتضمن للإنسان الاستمرار والقدرة على العطاء، فعقله لا يملك القدرة على استشراف جميع الحوادث أو الإحاطة بمآلاتها عبر الأزمنة المتباعدة. لذا يقوم المنهج الرباني على بناء فكرٍ سليمٍ، لتميُّزه بالشمول والكمال، ولاستناده إلى العلم الإلهي، الذي يورث الطمأنينة في النفس ويدفع الشك والاضطراب. ومن الأمثلة على ذلك قوله **لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَلَا هِيَ تُدْرِكُ الْبَصَرَ** [7]، تتضمن هذه الآية وعداً متحققاً، وفق مشيئة الله تعالى، بنصرة من ينصر دين الله تعالى. ويقع هذا الوعد على وجهٍ يخرق المألوف والأسباب المعتادة، مع ضعف المنصور وقلة إمكانياته. فاستيعاب هذه الحقيقة يسهم في ترسيخ سلامة الفكر. وهذه القاعدة القرآنية تؤسس لمنهج يحرق عقل المسلم من المقاييس المنحرفة، والقنود الفكرية التي تعوق سلامة إدراكه، بما يفضي إلى بناء التفكير على هدي الوحي ونور الله **تَعَالَى**.

إِذَا فَالتَفْكِيرُ السَّالِمُ هُوَ الَّذِي يَسْتَنْدُ فِي أُسُسِهِ وَمَعَايِيرِهِ إِلَى الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، لَا إِلَى التَّحْلِيلَاتِ وَالتَّفْسِيرَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الشَّائِعَةِ بِمَعْزَلٍ عَنْهُ. فَمَصْدَرُ الْمَعْرِفَةِ الْمَوْجَّهَةِ لِلْفِكْرِ هُوَ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: طُحُّوهُ **چ چ چ چ چ**

¹ الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1431هـ - 2010م، (ج12/ص: 444). (بتصرف)

ومن مقتضيات التفكير السليم مراعاة المصالح الاجتماعية عند اتخاذ القرارات التي تمس الأمة، إذ يتطلب ذلك وجود آليات علمية ترصد منظومة القيم السائدة في المجتمع، بما يسهم في تشخيص مواطن الخلل ومعالجتها. ويُعدُّ الانحراف عن التفكير السليم مؤشراً على بداية الانحدار القيمي والفكري للمجتمع، وإهمال معالجته يفضي إلى فساد الفرد، ثم يمتد أثره للمجتمع بأسره.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في دعاء نوح عليه السلام، حين سأل ربه ألا يبقي من قومه ديّاراً، بعد أن استحکم عنادهم وفسادهم في أنفسهم وفي المجتمع، إذ **ثُجِّئُوا ثُبُّوا ثُبُوءًا وَنَدَى بِأَنْفُسِهِمْ أَمْذَقْتُمُوهُمْ** [نوح: 27]، وعلَّل ذلك بأنَّ بقاءهم يؤدي إلى إفساد فكر الأجيال اللاحقة، كما جاء في تفسير ابن كثير "أي: الذين تخلَّقهم بعدهم"¹.

ويستفاد من ذلك أنَّ حماية المجتمع من الانحراف الفكري تستلزم تخطيطاً تربوياً يسعى إلى تنمية التفكير السليم وترسيخه. فالتربية لا تقتصر على رعاية المتربي وتنمية جسده وجوانب من شخصيته، بل تمتد إلى بناء منظومته الفكرية على أسس صحيحة، بما يكسبه القدرة على التفكير السليم، فيرتقى باهتماماته، ويُنَمِّي مهاراته، ويوجّه ميوله، ويُرَسِّخ القدوات الصالحة في نفسه.

¹ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط 1، 1420 هـ - 2000 م، (1924).

المطلب الثاني: أثر التفكير السليم في توجيه السلوك

هناك ارتباط وثيق بين أفكار الفرد وسلوكه، فالسلوك المنحرف يعكس فكراً غير سوي، ولذلك فإن تعديل الأفكار وتصحيحها يسهم في تقويم السلوك، لأن الاضطرابات السلوكية تنشأ من أنماط تفكير خاطئة. وتؤدي المشاعر دوراً وسيطاً بين الأفكار والسلوك، فالأفكار تشكّل المشاعر، والمشاعر تُوجّه السلوك.

يقتضي تغيير التفكير مراجعة الأفكار والقناعات التي تُوجّه سلوك الإنسان، إذ ينطلق هذا التغيير من البناء الداخلي للإنسان قبل أن ينعكس على ممارساته الظاهرة. وما يؤكد هذا المبدأ قوله **﴿ثُمَّ هَدَىٰ لَهُ سُبُلَ الْحَقِّ﴾** [الرعد: 11]، وقد فُسّر التغيير بأنه يشمل ما يكون عليه الإنسان من خير أو شر¹. ويعتمد التحول إلى الخير على الاكتساب المعرفي الصحيح، والبناء الفكري السليم. فالمعرفة الصحيحة لا تتحقق إلا من خلال التدرج في تنمية الفكر السليم، وإتاحة الزمن الكافي لترسيخ المفاهيم، بما يفرضي إلى إيجاد أثر مستدام في السلوك. ويُعد السلوك، المؤشر الظاهر الذي يُجسد أثر التغيير الداخلي في الفكر والقناعات، ويعكس مدى أثر التغيير الفكري لدى الفرد.

والتفكير السليم لا يقتصر أثره على تهذيب الفرد فحسب، بل يمتد لیسهم في تنمية الوعي المجتمعي وترسيخ القيم الإنسانية والحضارية. ويتّضح ذلك في استقرار المجتمع وتماسكه، حيث تمثل عوامل التقدم الحضاري فيه بالالتزام بالقيم، والاهتمام بالعلم والمعرفة، وانخفاض معدلات الفساد، بما يجعل التقدم شاملاً للجوانب المادية والقيمية معاً. وعندما تقتزن هذه المراكز بالمنظومة الشرعية، يتضاعف أثر التقدم ليشمل بناء الإنسان والمجتمع في آن واحد، فتتكوّن بيئة حضارية متوازنة تجمع بين الرقي المادي والنمو الإنساني والأخلاقي. وقد تجلّى هذا الأثر في توجيه السلوك الاجتماعي للأمناء عند استقبالهم للمهاجرين، حيث تأسست العلاقات الاجتماعية على أسس قيمية أصيلة، وفي مقدمتها الأخوة، والإيثار، والتكافل، مما يعكس مبادئ الفكر الشرعي. كما أسهم هذا الفكر السليم في تجاوز مظاهر الصراع والبغضاء والنزاعات القبلية التي كانت سائدة بين الأوس والخزرج، وترسيخ قيم الوحدة والتآلف والتعاون. ويؤكد هذا التحول أن سلامة التفكير تُثمر استقامة السلوك، وأن الفكر المنضبط بالشرع هو أساس لتوجيه السلوك، وتعزيز التماسك الاجتماعي.

ويسهم التفكير السليم أيضاً في بناء الوعي لدى الفرد، وهو أحد المراكز الأساسية له. إذ يمكنه من إدراك الحقائق وتمييزها، وتجنّب من مظاهر العبث والانحراف في السلوك والتفكير. بيّن القرآن الكريم الآثار السلبية المترتبة على غياب الوعي وما يرافقه من اضطراب في التفكير، حيث ينحدر الإنسان إلى سلوكيات معارضة للحق فتختلط عليه الحقائق، **﴿ثُمَّ هَدَىٰ لَهُ سُبُلَ الْحَقِّ﴾** [فصلت: 26]، أظهرت الآية نمط من التفكير العبثي، وهو صرف الناس عن سماع الحق وإدراكه، بإثارة اللغو والتشويش، بقصد تحقيق الغلبة لا الوصول إلى الحقيقة. فهذا السلوك نقيض للتفكير السليم القائم على الوعي والإنصاف والقدرة على التمييز بين الحق والباطل، إذ يجعل الغاية هي الانتصار للرأي والموقف بغض النظر عن مشروعيته أو موافقته للحق.

ويقتضي التفكير السليم إلى التحرر من التعصب والانغلاق الفكري، وبهتئ النفس والعقل لتلقي الحق وقبوله، فيبرز لدى صاحبه قيمة الإنصات الواعي والقدرة على التمييز بين الآراء واختيار أصوبها، **﴿ثُمَّ هَدَىٰ لَهُ سُبُلَ الْحَقِّ﴾** [الزمر: 18]، "هم الذين أوصَلَهُمْ إلى الحق، وهم أصحاب العقول الصحيحة، لأنهم الذين انتفعوا

¹ البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر، (ج10/ص: 292)، مصدر سابق.

² **﴿وَالْعَوَّا﴾** أي: القول الذي لا فائدة فيه، ويُسمّى الكلام الذي لا جدوى له، فَمَعْنَى **﴿وَالْعَوَّا فِيهِ﴾** قُولُوا أَقْوَالاً لَا مَعْنَى لَهَا أَوْ تَكَلَّمُوا كَلَامًا غَيْرَ مُرَادٍ مِنْهُ إِفَادَةً أَوْ الْمَقْصُودُ إِحْدَاثُ أَصْوَاتٍ تَعْمُرُ صَوْتَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج24/ص: 277)، مصدر سابق.

ومن آثار إنشاء الفكر السليم، ترسيخ المفاهيم الثابتة التي جاء بها الإسلام، وفي مقدمتها التصور الصحيح لوظيفة الأسرة وأدوار أفرادها وفق ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية. وقد أبرز القرآن الكريم مكانة الأم ودورها المحوري في رعاية الأبناء وتنشئتهم. فأظهر القرآن الكريم توجيه الله تعالى للأم موسى إلى كيفية التعامل مع ابنها في مرحلة الخطر، بما يكشف عن مسؤوليتها في رعايته وحفظه نفسياً وجسدياً، **ثُمَّ جَاءَ نَارَ ثَدْيِهَا تَذْبُوذًا فَمَا كَانَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ** [قصص:7]. ويُسهّم إدراك الأم لوظيفتها التربوية، بوصفها الحاضنة الأولى للطفل، في القيام بسلوكٍ قويمٍ. فإنَّ استهداف الأسرة يبدأ غالباً بإعادة تشكيل التصورات الفكرية المتعلقة بوظائفها. وذلك من خلال التقليل من قيمة الدور التربوي للأم أو إظهاره وكأنه دور ثانوي لا يحقق للمرأة ذاتها، بما يفضي إلى إضعاف وظيفتها الأسرية في بناء الإنسان وتنشئته تنشئة متوازنة. ولا يفهم من ذلك الدعوة إلى منع المرأة من المشاركة في ميادين العمل أو في الإسهام المجتمعي، فهذا أمر مشروع في أصله وضوابطه. إنّما المقصود أنّ البناء الفكري المتوازن يقتضي عدم إغفال الوظيفة التربوية للأم أو الانتقاص من قيمتها، لما يترتب على تهميشها من آثار تمتد إلى الأسرة والمجتمع، باعتبار الأسرة البيئة الأولى لتكوين الإنسان وتنمية منظومته القيمة والفكرية.

المطلب الثالث: أساليب التفكير السليم وتعزيز تهذيب الانفعالات

¹القنوجي، صديق بن حسن، فتح البيان، المكتبة العصرية، بيروت، 1412هـ - 1992م، (ج12/ص:97).

²البقاعي، نظم الدرر، (ج15/ص: 90)، مصدر سابق.

³ «مَثَلُ الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ مَثَلُ الْكَرَامِ السَّعْمَةِ الْبَرَّةِ» الْمَاهِرُ: الْحَاضِقُ بِالْقِرَاءَةِ. وَقَدْ مَهَّرَ يَمْهَرُ مَهَارَةً. يُنْظَرُ: الْجَزْزِيُّ، مَجْدُ الدِّينِ، ابْنُ الْأَثِيرِ، النِّهَايَةُ فِي

غريب الحديث والأثر، كتاب: حرف الميم، باب: الميم مع الهاء، مادة: مَهَر، الأعمال الكاملة، ط3، (ص: 875).

⁴ صحيح مسلم، (6) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (38) باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه، رقم الحديث: 244، (ص: 359)،

وما يُظهر أنَّ أسلوب التفكير هو أساس التوجه الانفعالي، ما أشار إليه القرآن في قوله ﴿جَآ ب ب ب پچ﴾ [الإسراء:76]، أي: "يستخفونك بكثرة الأذى"⁴ الذي من شأنه إزعاجك ليوقعك في الاضطراب والانفعال. يُعد الاستفزاز⁵ من الأنفعال التي تستثير الغضب لدى المستفز، لما فيه من اعتداءٍ معنوي، وافتراءاتٍ أو ادعاءاتٍ باطلة تستهدف إثارة الانفعال وإضعاف الاتزان النفسي. وفي موقف نبي الله موسى ﷺ نموذج راقٍ للاتزان الفكري والانفعالي، والمناعة العقلية عندما واجه استفزاز قومه، في قوله ﴿جُحِظْ تُذَهُ ه ه ه ه ه ه ه ع ع ك ك گ﴾ [البقرة:67]، إذ جاء رده خالياً من الانفعال، ومعبراً عن الوعي الفكري وضبط النفس، إذ إنه "بالغ في التنزه بقوله أعوذ بالله أي منه لأن العياذ بالله أبلغ كلمات النفي فإن المرء لا يعوذ بالله إلا إذا أراد التغلب على أمر عظيم لا يغلبه إلا الله تعالى"⁶. فدلّ هذا على أنّ سلامة الفكر ورجاحة العقل تحوّلان دون الانجرار إلى الاستفزاز. فالثبات الانفعالي عند التعرض للإساءة يستند إلى قوة الصلوة بالله تعالى، واستحضار معيته، والاعتصام به عند الشدائد، مما يَكسب الإنسان قدرةً على كبْح الانفعال غير المنضبط، ومواجهة الاستفزاز بالحكمة والاتزان.

- تنمية الوعي العقلي والفكري: يُعدّ القرآن الكريم مصدراً أساسياً في بناء الوعي الفكري عند الإنسان، إذ يوجهه إلى كيفية توظيف قدراته النفسية والعقلية توظيفاً سليماً في مختلف مواقف حياته، وإدراك الأفكار والقضايا وتحليلها تحليلاً سليماً، **ط ذ ح ت ث د ذ ف ش و م ق ف ق ج ج** [إبراهيم:1]. وُصِفَ القرآن بأنه نور وأنه طريقٌ واحد، فذكر بصيغة المفرد، ووصفت الظلمات بصيغة الجمع، ما يظهر وحدة الحق

⁴البقاعي، نظم الدرر، (ج 11/ص:489)، مصدر سابق.

⁶ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج1/ص:548)، مصدر سابق.

192

- التدريب على مهارة تحليل المشكلات واتخاذ القرار:

[illegible]

ثالثاً: تنمية التفكير الحر المستند إلى الدليل، والقائم على التثبت والاستدلال، هو يُعد من المرتكزات المهمة في التربية على مهارات تحليل المشكلات واتخاذ القرار. يستهم ذلك في الحد من الانقياد للآراء والمواقف غير الناضجة والمؤثرة في الفرد، ويساعد على التعقل والتفكير وتقييم الأفكار الوافدة قبل إصدار أحكام أو اتخاذ أي قرار. وفي هذا السياق، يؤكد قول الله تعالى على لسان ابيليس أهمية استقلالية التفكير وعدم التسليم للآخرين دون حجة أو برهان، قال تعالى: **جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن لَّدُنِّي وَأَنَا مُصَدِّقٌ لِّمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** [البقرة: 122].

² الرازي، محمد، مفاتيح الغيب، (ج19/ص:109)، مصدر سابق.

194

الخاتمة

²الآلوسی، روح المعانی، (ج14/ص: 507)، المصدر نفسه. (بتصرف)

التوصيات

يوصي البحث بضرورة توجيه العملية التربوية إلى بناء شخصية متوازنة تجمع بين تهذيب الانفعالات وسلامة التفكير، وذلك من خلال تنمية جملة من الخصائص العقلية، على ضوء المنهج القرآني، لتعزيز قدرة المتعلم على ضبط استجابته الانفعالية واتخاذ مواقف أكثر وعياً واتزاناً.

يوصي البحث بتنمية العقل المتسائل من خلال تربيته على التفكير والبحث قبل الاستجابة الانفعالية المتسارعة.

يوصي البحث بتنمية العقل الناقد المراجع للمواقف والتمييز بينها، بضبط الانفعالات وتقويمها.

يوصي البحث بتنمية العقل البرهاني الذي يحتكم إلى الدليل والحجة والبرهان.

يوصي البحث بتنمية العقل المعتد ليتدرب الفرد على التأمل في الأحداث، واستخلاص العبر منها، وعدم التعامل معها بصورة انفعالية.

يوصي البحث بإدماج هذه الخصائص العقلية في البرامج والممارسات التربوية، بحيث لا تقتصر التربية على ضبط السلوك الظاهرة.

المصادر والمراجع

- 1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار هجر، ط1، 1422هـ - 2001م
- 2- القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر ابن كثير، دار ابن حزم، ط1، 1420هـ - 2000م
- 3- مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار الفكر، ط1، 1401هـ، 1981م
- 4- نظم الدرر: برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
- 5- فتح البيان: صديق بن حسن القنوجي، المكتبة العصرية، بيروت، 1412هـ - 1992م
- 6- التحرير والتنوير: محمد الطاهر، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر
- 7- في ظلال القرآن: إبراهيم حسين الشاربي، سيد قطب، دار الشروق، ط32، 1423هـ - 2003م
- 8- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط2، 1434هـ - 2013م
- 9- روح المعاني: محمود بن عبد الله الألوسي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1431هـ - 2010م
- 10- البحر المحيط: محمد بن يوسف، أبي حيان، دار الفكر، 1431هـ - 2010م
- 11- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م
- 12- صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج، دار طيبة، الرياض، ط1، 1427هـ - 2006م
- 13- مسند الشاميين: سليمان الطبري، مؤسسة الرسالة، ط1، 1409هـ - 1989م
- 14- فيض القدير: عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2، 1391هـ - 1972م
- 15- شرح صحيح البخاري ابن بطال: علي بن عبد الملك ابن بطال، مكتبة الرشد، السعودية - الرياض
- 16- صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني في كتابه المكتب الإسلامي، ط3، 1408هـ - 1988م
- 17- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين الجزري، (ابن الأثير)، الأعمال الكاملة

- 18- تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، طبعة الكويت
- 19- معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م
- 20- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- 21- معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م
- 22- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الهروي، (أبو منصور)، دار الكاتب العربي
- 23- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب لأصفهاني، دار القلم - دمشق، 1430هـ - 2009م
- 24- الكليات: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ - 1998م
- 25- التوقيف على مهمات التعاريف: عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط1
- 26- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل الجوهري، دار الحديث، القاهرة
- 27- تعليم التفكير: فتحي جروان، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1999م
- 28- إحياء علوم الدين: محمد الغزالي، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ - 2005م
- 29- مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام: محمد عمارة البقاعي، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط1، 1430هـ - 2009م
- 30- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: دار الوسيلة، جدة - المملكة العربية السعودية، ط8، 1433هـ - 2012م
- 31- نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين: فؤاد أبو حطب، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 2008م
- 32- الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط3، 1413هـ - 1992م
- 33- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: علي الحسيني الندوي، دار القلم، دمشق، ط7، 1442هـ - 2021م
- 34- الهوية العربية والأمن اللغوي: عبد السلام المسدي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2014م

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

الاعجاز العلمي في سورة النحل ضمن معطيات الذكاء الاصطناعي

م . م افراح علي حسين حافظ

مديرة تربية الرصافة الثالثة

afraahalihussain@gmail.com



الاعجاز العلمي في سورة النحل ضمن معطيات الذكاء الاصطناعي

م . م افراح علي حسين حافظ

مديرية تربية الرصافة الثالثة

afraahalihussain@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على فكرة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم ضمن معطيات الذكاء الاصطناعي وكانت **سورة النحل** عينة البحث وانطلق البحث من خلال أهداف محددة هي: التعرف على الآيات ذات الطابع العلمي في سورة النحل، ومن ثم تحليلها على وفق التفسير العلمي المعاصر، بالاعتماد على تقنيات الذكاء الاصطناعي، وبيان مدى توافقها مع الحقائق الحديثة. فسورة النحل تحمل إشارات علمية دقيقة تتوافق مع الاكتشافات الحديثة، وأن الجمع بين التفسير الشرعي والصرامة العلمية، مع الاستفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي، يعزز الإيمان ويدعم البحث العلمي ويقوي الحوار الحضاري بين الدين والعلم. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. وقد عرضت المادة العلمية ضمن ثلاثة مطالب تناولنا في المطلب الأول مفهوم الإعجاز العلمي وضوابطه وأهميته في تعزيز الإيمان وربط الدين بالعلم وخدمة الدعوة ودعم البحث العلمي. وركزنا في المطلب الثاني على مظاهر الإعجاز في سورة النحل، منها: (النحل والعسل والتنظيم الاجتماعي للنحل، وهندسة الخلايا السداسية، والخواص العلاجية للعسل) وكذلك (التوازن الأرضي مثل دور الجبال في تثبيت الأرض ومنع اضطرابها، وهو ما أكدته الدراسات الجيولوجية الحديثة). وكذلك (الماء والنبات والأنعام ومنها: إبراز دور الماء أساس الحياة، النباتات في إنتاج الغذاء والدواء، والأنعام في توفير المنافع المتعددة). أما المطلب الثالث فقد تناول تطبيقات الذكاء الاصطناعي مثل (تطبيق معالجة اللغة الطبيعية NLP) في تحليل النص القرآني، خاصة في استخراج الإشارات العلمية وربطها بالحقائق المعاصرة، مما يفتح آفاقاً جديدة للبحث الرقمي في مجال الإعجاز العلمي.

الكلمات المفتاحية: الاعجاز العلمي، الذكاء الاصطناعي، التوازن الأرضي، تقنيات معالجة اللغة الطبيعية NLP.

أهداف البحث:

1. التعرف على الآيات ذات الطابع العلمي في سورة النحل.
2. تحليل هذه الآيات وفق التفسير العلمي المعاصر.
3. تطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي على النص القرآني.
4. بيان مدى توافق الإعجاز العلمي مع الحقائق العلمية الحديثة.

Abstract:

This study aims to highlight the concept of scientific inimitability (Inimitability/Scientific Miracles) in the Holy Qur'an through the lens of artificial intelligence (AI) data, taking Surat Al-Nahl as a case study. The research proceeds from specific objectives, namely: identifying verses of a scientific nature in Surat Al-Nahl, analyzing them in accordance with contemporary scientific exegesis utilizing AI techniques, and demonstrating the extent of their alignment with modern facts. Surat Al-Nahl contains precise scientific allusions that correspond with modern discoveries, demonstrating that synthesizing religious exegesis with scientific rigor—while leveraging AI technologies—strengthens faith, advances scientific research, and fosters intercultural dialogue between religion and science.

The study adopts a descriptive-analytical approach, structuring the material into three main sections. The first section addresses the concept of scientific inimitability, its governing criteria, and its significance in reinforcing faith, bridging religion and science, serving Islamic outreach (Da'wah), and supporting scientific inquiry. The second section focuses on the manifestations of scientific inimitability in Surat Al-Nahl, including: bees, honey, the social organization of bees, hexagonal cell engineering, and the therapeutic properties of honey; terrestrial equilibrium, such as the role of mountains in stabilizing the Earth and preventing seismic disturbance—as affirmed by modern geological studies; and water, flora, and livestock, highlighting the fundamental role of water as the basis of life, plants in food and medicine production, and livestock in providing multifaceted benefits. Finally, the third section explores artificial intelligence applications, such as Natural Language Processing (NLP), in analyzing the Qur'anic text—specifically in extracting scientific allusions and correlating them with contemporary scientific facts, thereby opening new horizons for digital research in the field of scientific inimitability.

المقدمة:

تُعَدُّ سورة النحل من السور القرآنية الغنية بالإشارات الكونية والعلمية فهي تعزز اليقين بقدرة الله تعالى من خلال عرض دلائل كونية واضحة تدعو الإنسان للتأمل والتفكير وتخطب العقول بلغة الحقائق الكونية، مما يسهل وصول الرسالة الإسلامية إلى غير المسلمين، إذ تناولت موضوعات متعددة مثل النحل والعسل، الجبال والتوازن الأرضي، والماء والنبات والأنعام، مما يجعلها نموذجًا بارزًا للإعجاز العلمي في القرآن الكريم. هذه الإشارات لم تكن مجرد وصف بيئي أو طبيعي، بل جاءت لتؤكد سبق النص القرآني في الإشارة إلى حقائق لم تُكتشف إلا حديثًا. ومع تطور العلوم الحديثة، تكتشف حقائق دقيقة تؤكد ما ورد في هذه السورة، إذ أثبتت الدراسات أن الماء أساس الحياة، وأن النباتات تقوم بدور جوهري في إنتاج الغذاء والدواء وتنظيم المناخ، وأن الأنعام تمثل عنصرًا أساسيًا في التوازن البيئي والاقتصادي. كما أن الإشارات القرآنية حول النحل والعسل كشفت عن نظام اجتماعي معجز وخواص علاجية أثبتتها العلم التجريبي. هذه المعطيات تجعل من سورة النحل نموذجًا حيًا للتكامل بين النص الشرعي والحقائق العلمية، وتفتح المجال أمام توظيف التقنيات الحديثة، مثل الذكاء الاصطناعي، لتحليل النصوص القرآنية واستخراج الأنماط العلمية الدقيقة وربطها بالاكتشافات المعاصرة، بما يعزز الإيمان ويدعم البحث العلمي في إطار حضاري معاصر.

المطلب الأول: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

يُعَدُّ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية أحد أبرز مجالات الدراسات المعاصرة التي تسعى إلى إبراز التوافق بين النصوص الشرعية والحقائق الكونية المكتشفة حديثًا. وقد نشأ هذا الاتجاه في إطار محاولات الجمع بين الإيمان والعلم، وإثبات أن النصوص الإسلامية تحمل إشارات علمية سبقت الاكتشافات الحديثة بقرون طويلة¹. عندما نتأمل في النصوص الإسلامية التي تحمل إشارات كونية ندرك أنها ليست مجرد عبارات بل هي نوافذ مفتوحة على آفاق معرفية تتجاوز حدود الزمان والمكان². هذه الإشارات التي وردت في القرآن والسنة جاءت في زمن لم يكن فيه الإنسان يمتلك أدوات العلم الحديث ومع ذلك فقد لامست حقائق كبرى في الكون والخلق. وهذا ما يجعلها موضع إعجاب وتأمل، لكنه في الوقت نفسه يفرض علينا مسؤولية التعامل معها بمنهجية دقيقة.

مفهوم الإعجاز العلمي

الإعجاز العلمي ليس مجرد محاولة لإثبات أن النص سبق العلم، بل هو جهد متوازن يجمع بين التفسير الشرعي الذي يحفظ للنصوص قدسيته ومقاصدها وبين الصرامة العلمية التي تضمن أن ما يُقال يستند إلى حقائق راسخة لا إلى فرضيات متغيرة³. وهنا يظهر التحدي: كيف نستلهم من النصوص إشارات تلهم البحث العلمي، دون أن نسقط عليها ما لا تحتل أو نحملها تأويلات بعيدة عن معناها الأصلي.

¹ فؤاد محسن الراوي، 2009² عماد الدين خليل، 1992، ص 6³ حمادي ذويب، 2024

البحث في الإعجاز العلمي ضمن سور القرآن الكريم يقدم لنا مجموعة من الثمار فمن جهة يعزز الإيمان حين يرى المؤمن أن الوحي أشار إلى حقائق لم تُكتشف إلا بعد قرون ومن جهة أخرى يخدم البحث العلمي حين يدفع العلماء إلى استكشاف مجالات جديدة مستوحاة من تلك الإشارات¹. ومن أجل النجاح والوصول إلى نتائج مرضية يتطلب الأمر وعيًا نقديًا، يميز بين ما هو ثابت علميًا وما هو مجرد نظرية، ويضع حدودًا واضحة بين الإشارة القرآنية وبين الإثبات التجريبي. ولعل المستقبل يحمل فرصًا واسعة إذا ما تكاملت جهود العلماء الشرعيين مع الباحثين في العلوم الطبيعية، لتقديم قراءة رصينة للإعجاز العلمي، قراءة تحمي النصوص من التوظيف الخاطئ وتفتح أمام العلم آفاقًا جديدة. بهذا الشكل يصبح الإعجاز العلمي جسرًا معرفيًا يربط بين الإيمان والعقل وبين النص المقدس والبحث التجريبي في رحلة واحدة نحو الحقيقة العلمية هو إظهار سبق النصوص الشرعية في الإشارة إلى حقائق كونية أو علمية لم يكن للبشر علم بها وقت نزول الوحي ثم أثبتتها العلم التجريبي لاحقًا². ويختلف هذا المفهوم عن التفسير العلمي الذي يهدف إلى توظيف المعارف الحديثة لفهم النصوص، بينما الإعجاز يركز على إثبات سبق النصوص للعلم. إن مفهوم الإعجاز العلمي يمثل جسرًا بين الوحي والعقل، ويؤكد أن النصوص الإسلامية تحمل إشارات كونية تتجاوز حدود المعرفة البشرية في زمن نزولها. ومع ذلك، فإن التعامل مع هذا المجال يتطلب منهجية دقيقة تجمع بين التفسير الشرعي والصرامة العلمية، لضمان أن يبقى الإعجاز العلمي مجالًا مثمرًا يعزز الإيمان ويخدم البحث العلمي دون أن يقع في مزالق التأويل المفرط³.

ضوابط الإعجاز العلمي

- إن ضوابط الإعجاز العلمي تمثل الأساس الذي يحفظ هذا المجال من الانحرافات، ويضمن أن يبقى جسرًا متينًا بين النصوص الشرعية والحقائق الكونية⁴. فالتزام الباحث بهذه الضوابط يعزز مصداقية الدراسات، ويجعل الإعجاز العلمي مجالًا مثمرًا يخدم الإيمان والعلم معًا، وبصورة عامة هناك عدة ضوابط⁵:
- **الاعتماد على النصوص القطعية:** يجب أن يكون النص القرآني أو الحديث النبوي صحيحًا وثابتًا، بعيدًا عن الروايات الضعيفة أو غير الموثوقة.
 - **التمييز بين الحقيقة والنظرية:** لا يجوز ربط النصوص الشرعية بنظريات علمية قابلة للتغيير، بل ينبغي الاقتصار على الحقائق العلمية الثابتة.
 - **سلامة اللغة والتفسير:** يجب أن يكون التفسير اللغوي للنص موافقًا لقواعد اللغة العربية وأصول التفسير، دون تحميل النص ما لا يحتمل.
 - **المنهجية العلمية:** ضرورة الاستناد إلى مصادر علمية موثوقة، ومراجعة الأبحاث المنشورة في المجالات المحكمة، لتجنب الأخطاء العلمية.

¹- جمال منصور، 2020

²- إقبال، 2011

³ص425 احمد صاحب، 2025-6

⁴- يوسف الحاج احمد، 2003

⁵- عبد السلام حمود غالب ، 2023 ، ص155-170

اهمية الاعجاز العلمي في القرآن الكريم

يُعد القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع، غير أن إشارات الكونية والعلمية تمثل جانباً مهماً من جوانب إعجازه. وقد برز مفهوم الإعجاز العلمي كأداة لإظهار سبق النص القرآني للمعرفة البشرية، مما يعزز الإيمان ويؤكد شمولية الرسالة الإسلامية¹. دراسة أهمية هذا المجال تكشف عن دوره في ربط الدين بالعلم، وفي تعزيز الحوار الحضاري بين المسلمين والعالم. تظهر أهمية الإعجاز العلمي في مجالات متعددة منها (10)²:

أولاً: تعزيز الإيمان واليقين

- الإعجاز العلمي يرسخ قناعة المسلم بأن القرآن كلام الله، إذ يتضمن حقائق لم يكن للبشر علم بها وقت نزوله.
- يساهم في تقوية اليقين بصدق الرسالة، ويجعل المؤمن أكثر ارتباطاً بالوحي.
- يفتح آفاقاً للتأمل في خلق الله، مما يعزز الجانب الروحي والعبادي.

ثانياً: ربط الدين بالعلم

- يبرز أن الإسلام لا يتعارض مع العلم، بل يحفز على البحث والاكتشاف.
- يساهم في إزالة الفجوة بين الفكر الديني والفكر العلمي، ويؤكد أن النصوص الشرعية تحمل إشارات علمية دقيقة.
- يشجع على دراسة العلوم الطبيعية والكونية في ضوء النصوص القرآنية.

ثالثاً: خدمة الدعوة الإسلامية

- يُعد الإعجاز العلمي وسيلة فعالة في الدعوة، إذ يخاطب العقول بلغة العلم.
- يفتح المجال أمام غير المسلمين للتفكير في القرآن من زاوية علمية، مما يسهل وصول الرسالة الإسلامية إليهم.
- يعزز صورة الإسلام كدين علمي يتوافق مع العقل والعلم.

رابعاً: دعم البحث العلمي

- يشجع الباحثين المسلمين على استكشاف الظواهر الكونية والربط بينها وبين النصوص القرآنية.
- يساهم في إثراء الدراسات الأكاديمية، ويحفز على إنتاج أبحاث تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبية.
- يفتح مجالات جديدة للبحث في الطب، الفلك، الجيولوجيا، والعلوم البيئية.

خامساً: الحوار الحضاري

- يمثل الإعجاز العلمي جسراً للتواصل مع الثقافات الأخرى، إذ يُظهر أن القرآن الكريم يتضمن إشارات كونية تتوافق مع الاكتشافات الحديثة.

¹لطفى هاشم 2022، ص 17-35

²يحيى علي، 2024، ص 52-98

- يعزز مكانة المسلمين في الساحة العلمية والفكرية العالمية.
 - يساهم في بناء خطاب إسلامي معاصر يجمع بين الأصالة والمعاصرة.
- إن أهمية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تتجلى في كونه وسيلة لتعزيز الإيمان، وربط الدين بالعلم، وخدمة الدعوة الإسلامية، ودعم البحث العلمي، وفتح آفاق للحوار الحضاري. ومع ذلك، فإن التعامل مع هذا المجال يتطلب التزامًا بالضوابط العلمية والشرعية، لضمان أن يبقى الإعجاز العلمي مجالًا مثمرًا يخدم الدين والعلم معًا¹.

المطلب الثاني: الإعجاز العلمي في سورة النحل

يُعدّ النحل من الكائنات التي حظيت باهتمام خاص في القرآن الكريم، إذ أفرد الله تعالى سورة كاملة باسم "النحل"، وأشار إلى دوره في إنتاج العسل الذي وصفه بأنه فيه شفاء للناس. وقد شكّل هذا النص القرآني منطلقًا لدراسات علمية واسعة حول حياة النحل، تنظيمه الاجتماعي، وآليات إنتاج العسل، مما يكشف عن أوجه إعجاز علمي مذهش².

الإعجاز العلمي في خلق النحل وإنتاج العسل

إن الحديث عن النحل في القرآن الكريم يُعد مدخلًا واسعًا لفهم العلاقة بين النصوص الشرعية والحقائق العلمية. فالله تعالى لم يكتفِ بالإشارة إلى النحل في سياق عابر، بل أفرد له سورة كاملة تحمل اسمه، وأبرز دوره في إنتاج العسل الذي وصفه بأنه فيه شفاء للناس. هذه الإشارة القرآنية لم تكن مجرد توصيف بيئي أو غذائي، بل كانت بمثابة دعوة للتأمل في نظام هذا الكائن العجيب، الذي يعيش ضمن مجتمع منظم بدقة، تحكمه قوانين داخلية صارمة، ويؤدي أدوارًا متكاملة في سبيل بقاء الجماعة واستمرار إنتاجها³.

لقد شكّل هذا النص منطلقًا لدراسات علمية واسعة، إذ انكبّ الباحثون على دراسة حياة النحل، فوجدوا أن تنظيمه الاجتماعي يقوم على تقسيم العمل بين الملكة والعمال والذكور، وأن عملية إنتاج العسل تمر بمراحل معقدة تبدأ بجمع الرحيق ثم تحويله عبر تفاعلات كيميائية داخل جسم النحلة، وصولًا إلى تخزينه في خلايا الشمع. هذه التفاصيل الدقيقة تكشف عن أوجه إعجاز علمي مذهش، إذ إن النص القرآني أشار إلى حقيقة كبرى وهي أن في العسل شفاء للناس⁴، بينما جاء العلم الحديث ليبرهن على أن العسل يحتوي على مركبات مضادة للبكتيريا، ومواد مضادة للأكسدة، وعناصر غذائية تعزز المناعة وتساعد في علاج العديد من الأمراض⁵.

إن الجمع بين التفسير الشرعي والصرامة العلمية في هذا المجال يفتح آفاقًا جديدة؛ فالنص الشرعي يوجّه الإنسان إلى التأمل في خلق الله، بينما العلم يقدّم الأدوات لفهم الآليات الدقيقة التي تجعل من النحل كائنًا فريدًا في عظمته. وهكذا

¹ أحمد ماهر، 2018، ص 1131-1254

² عبدالله بن سالم، 2025، ص 79-106

³ دينا سامي، 2024، ص 565-638

⁴ أحمد أبو زيد، 2013، ص 1-90

⁵ حامد الغواي، 2024

يصبح الإعجاز العلمي في موضوع النحل نموذجًا حيًا على التوازن بين الإيمان والعقل، بين الوحي والبحث التجريبي، إذ يظل النص القرآني مصدر إلهام، ويظل العلم وسيلة لفهم عمق هذا الإلهام وتحليلاته في الواقع إذ يتضح ذلك من خلال¹ الإشارات التي وردت في سورة النحل في الآيات التي تتحدث عن النحل وخلقه وعملية إنتاج العسل منها قوله تعالى: **"وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون"** (اية: 68)². وقوله تعالى: **"يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس"** (اية: 69)³. فهذه الآيات تشير إلى الوحي الإلهي للنحل، وإلى إنتاج العسل كشراب متعدد الألوان له فوائد علاجية⁴. إذ تؤكد الآيات الكريمات على **الوحي والإلهام الفطري** فالنحل يسير على وفق نظام إلهي دقيق، وهو ما يفسره العلم الحديث بوجود غريزة مبرمجة وسلوك اجتماعي معقد. وذلك أكدت الآيات على **التنظيم الاجتماعي** فمجتمع النحل يتميز بتقسيم العمل بين الملكة، الشغالات، والذكور، وهو نموذج متكامل للتعاون والوظائف الحيوية. ومما نتلمسه من الآيات الكريمات أن النحل يتمتع بالمعرفة الغريزية **بالهندسة المعمارية** فبناء الخلايا السداسية الشكل يمثل قمة الإعجاز الهندسي، إذ يحقق أكبر استغلال للمساحة بأقل كمية من الشمع. وكذلك نستشعر من الآيات الكريمات **العملية البيولوجية** للنحل فالنحل يجمع الرحيق، ويخزنه في معدته الخاصة، إذ يتعرض لإنزيمات تحول السكريات المعقدة إلى سكريات بسيطة، ثم يُخزن في الخلايا ويُغطى بالشمع. وكذلك نستشعر وجود **التنوع اللوني والخواص** باختلاف ألوان العسل يعكس تنوع مصادر الرحيق، وهو ما يثبت دقة النص القرآني في قوله **"مختلف ألوانه"**. وأيضًا ذكرت الآيات **الخصائص العلاجية**؛ إذ أثبتت الدراسات الحديثة أن العسل يحتوي على مضادات بكتيرية، مضادات أكسدة، وإنزيمات تساعد في التئام الجروح وعلاج الالتهابات، مما يوافق قوله تعالى **"فيه شفاء للناس"**. وتكمن الأهمية العلمية والدعوية لهذه النصوص القرآنية في أنها تفتح مجالًا واسعًا للبحث في علوم الأحياء، الكيمياء الحيوية، والطب. وتظهر سبق القرآن الكريم في الإشارة إلى حقائق لم تُكتشف إلا حديثًا، مما يعزز الإيمان ويخاطب العقول بلغة العلم. وتبرز أن الإسلام دين يحفز على البحث والاكتشاف، ويؤكد أن النصوص الشرعية تحمل إشارات كونية دقيقة.

إن الإعجاز العلمي في خلق النحل والعسل يكشف عن نظام إلهي معجز في حياة هذه الكائنات الصغيرة، ويؤكد أن القرآن الكريم سبق العلم الحديث في الإشارة إلى حقائق بيولوجية وكيميائية دقيقة. ويظل هذا المجال شاهدًا على أن الوحي الإلهي يجمع بين الهداية والإعجاز العلمي⁵.

¹ نور نظام الدين 2017، ص165-178

² مصحف المدينة، سورة النحل، اية 68

³ نفس المصدر السابق

⁴ عبدالله بن سالم 2025، ص79-106

⁵ نور نظام الدين 2017، ص165-178

الاعجاز العلمي في التوازن الأرضي

يعدّ التوازن الأرضي أحد أبرز مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إذ أشار الله تعالى في سورة النحل إلى دور الجبال في تثبيت الأرض ومنعها من الاضطراب¹. وقد أثبتت الدراسات الجيولوجية الحديثة أن للجبال دورًا أساسيًا في استقرار القشرة الأرضية، مما يؤكد سبق القرآن الكريم في الإشارة إلى هذه الحقائق الكونية. فالجبال ليست مجرد تضاريس شاهقة أو معالم طبيعية، بل هي عناصر أساسية في البنية الجيولوجية للأرض، إذ تلعب دورًا في تنظيم حركة الصفائح التكتونية، وتساهم في الحفاظ على التوازن البيئي والمناخي. وقد أظهرت الدراسات أن وجود الجبال يحدّ من شدة الزلازل ويعمل على توزيع الضغوط الداخلية للأرض بشكل متوازن، مما يمنح الكوكب استقرارًا طويل الأمد. هذه الحقائق العلمية الحديثة تجعلنا ندرك أن النص القرآني حين وصف الجبال بأنها أوتاد، فقد عبّر بدقة عن وظيفتها الجوهرية في تثبيت الأرض.

إن هذه الحقيقة تكشف عن أهمية الجمع بين التفسير الشرعي والصرامة العلمية؛ فالنص الشرعي يوجّه الإنسان إلى التأمل في خلق الله، بينما العلم يقدم الأدوات لفهم الآليات الدقيقة التي تجعل من الجبال عنصرًا أساسيًا في استقرار الأرض. بهذا يصبح الإعجاز العلمي في موضوع التوازن الأرضي نموذجًا حيًا على التوازن بين الإيمان والعقل، إذ يظل القرآن الكريم مصدر إلهام، وبظل العلم وسيلة لفهم عمق هذا الإلهام وتجلياته في الواقع الكوني. ومن هنا تتضح قيمة الإعجاز العلمي كجسر معرّف يربط بين النص المقدس والاكتشافات الحديثة، ويعزز الثقة بأن ما جاء في القرآن يحمل من الدقة والسبق ما يتجاوز حدود المعرفة البشرية في زمن نزوله². وهذا يتضح من خلال النصوص القرآنية التي وردت في هذا الأمر في سورة النحل ومنها قوله تعالى: **“وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَكُمْ تَهْتَدُونَ”** (آية: 15)³. فهذه الآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى جعل الجبال رواسي تحفظ الأرض من الميّد (الاضطراب والاهتزاز)، وهو ما يمثل أساس التوازن الأرضي. والتوازن الأرضي في ضوء العلم الحديث⁴ يتمثل في:

- 1. التوازن الجيولوجي:** إذ تعمل الجبال كأوتاد تغوص في أعماق الأرض لتثبيت الصفائح التكتونية. وأثبتت الدراسات الحديثة أن الجبال تشكل مناطق ضغط تمنع الانزلاق المفرط للقشرة الأرضية.
- 2. التوازن البيئي:** تؤثر الجبال في توزيع المياه عبر الأنهار والينابيع، مما يحقق التوازن البيئي. وتلعب دورًا في تنظيم المناخ عبر تأثيرها على حركة الرياح والأمطار.
- 3. التوازن الكوني:** تخضع الأرض لتوازن دقيق بين قوى الجاذبية والدوران، والجبال جزء من هذا النظام الذي يحفظ الاستقرار.

ومن خلال ما تقدم فإننا نجد حالة ملحة إلى إبراز أوجه الإعجاز العلمي القرآني لدور الجبال⁵؛ إذ سبق القرآن الكريم في الإشارة إلى دور الجبال في تثبيت الأرض قبل أن يكتشف العلم الحديث هذه الحقائق. وجاء التعبير القرآني في قوله **“رواسي”** تعبيرًا دقيقًا إذ يعكس دقة علمية، إذ يشير إلى الجبال الراسية التي تعمل كأوتاد. وعملية الجمع بين التوازن

¹ محمد وآخرون، 2025، ص 196-220

² نفس المصدر السابق

³ مصحف المدينة، سورة النحل، آية 15

⁴ د. محمد أبو يحيى، 2026، ص 142-158

⁵ محمد بو رباب، 2025، ص 10

الجيولوجي والبيئي في نص واحد تبرز شمولية الإعجاز القرآني. وبذلك فتح القرآن الكريم المجال أمام الباحثين لدراسة العلاقة بين النصوص الشرعية والحقائق الجيولوجية. وظهر سبق القرآن الكريم للعلم الحديث، مما يعزز الإيمان ويخاطب العقول بلغة العلم. وبرز أن الإسلام دين يحفز على البحث والاكتشاف، ويؤكد أن النصوص الشرعية تحمل إشارات كونية دقيقة¹

إن الإعجاز العلمي في التوازن الأرضي ضمن سورة النحل يكشف عن نظام إلهي دقيق يحفظ الأرض مستقرة وصالحة للحياة، ويؤكد أن القرآن الكريم سبق العلم الحديث في الإشارة إلى هذه الحقائق. ويظل هذا المجال شاهداً على أن الوحي الإلهي يجمع بين الهداية والإعجاز العلمي، مما يعزز الإيمان ويدعم البحث العلمي المعاصر.

الاعجاز العلمي في الماء والنبات والأنعام

سورة النحل من السور التي أبرزت مظاهر قدرة الله تعالى في الكون، إذ تناولت الماء والنبات والأنعام باعتبارها عناصر أساسية في حياة الإنسان. وقد كشفت الدراسات العلمية الحديثة عن حقائق دقيقة تتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم، مما يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي.

ومع تطور العلوم الحديثة، تكتشف حقائق دقيقة تؤكد ما ورد في هذه السورة؛ فلما أثبت العلم أنه أساس كل خلية حية، وأنه عنصر لا غنى عنه في العمليات الحيوية كافة. أما النبات فقد كشف البحث العلمي عن دوره في إنتاج الأكسجين، وتنظيم المناخ، وتوفير مركبات علاجية تدخل في صناعة الأدوية. والأنعام بدورها أثبتت الدراسات أنها ليست مجرد مصدر غذاء، بل هي جزء من التوازن البيئي والاقتصادي الذي يحفظ استقرار المجتمعات. هذه الاكتشافات العلمية الحديثة تجعلنا ندرك أن القرآن الكريم سبق العلم في الإشارة إلى هذه الحقائق، وأنه قدّم رؤية متكاملة للحياة قبل أن يكتشفها الإنسان بأدواته التجريبية².

إن التوسع في دراسة سورة النحل يكشف عن وجه من أوجه الإعجاز العلمي، إذ يلتقي النص القرآني بالحقائق العلمية في انسجام بديع، ويؤكد أن القرآن ليس كتاب هداية روحية فحسب، بل هو أيضاً كتاب إشارات كونية تدعو الإنسان إلى البحث والتأمل. وهكذا يصبح الجمع بين التفسير الشرعي والصرامة العلمية ضرورة ملحة، لضمان أن يبقى الإعجاز العلمي مجالاً مثمراً يعزز الإيمان ويخدم البحث العلمي، ويظهر أن النص القرآني يحمل من العمق والدقة ما يتجاوز حدود المعرفة البشرية في زمن نزوله³. وقد تضمن سورة النحل مجموعة من الإشارات العلمية في هذا الجانب ومنها: قوله تعالى: **“هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون”** (آية: 10)⁴. وقوله تعالى: **“ينبت لكم به النزع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يفكرون”** (آية: 11)⁵. وقوله تعالى:

¹ بدر بن مرعي 2025، ص 411-438

² يوسف الحاج احمد 2003

³ نور نظام الدين 2017، ص 165-178

⁴ مصحف المدينة، سورة النحل، آية 10

⁵ -سورة النحل، آية 11

“والأنعام خلقتها لكم فيها دفء ومنافع تأكلون” (اية: 5)¹. فهذه الآيات توضح دور الماء في إنبات النبات، وأهمية النباتات في الغذاء والدواء، وكذلك منافع الأنعام في حياة الإنسان. ومن هنا يمكن بيان هذه الجوانب العلمية من خلال :

1. الإعجاز العلمي في الماء²:

يعد الماء أساس الحياة، وقد أثبت العلم أن جميع الكائنات الحية تعتمد عليه في تركيبها ووظائفها. ودورة الماء بين السماء والأرض (التبخر، التكاثف، الهطول) تمثل نظامًا دقيقًا يحفظ التوازن البيئي. أكدت الدراسات الحديثة أن الماء يشكل أكثر من 70% من جسم الإنسان، وهو ما يبرز أهميته الحيوية.

2. الإعجاز العلمي في النبات³:

تقوم النباتات بعملية التمثيل الضوئي التي تنتج الأكسجين الضروري للحياة، وهو ما يشير إلى دورها الحيوي. ويعكس التنوع النباتي المذكور في الآية (الزعر، الزيتون، النخيل، الأعناب) تنوع مصادر الغذاء والدواء. أثبت العلم الحديث أن هذه النباتات تحتوي على مركبات غذائية ودوائية مهمة، مثل مضادات الأكسدة والزيوت الصحية.

3. الإعجاز العلمي في الأنعام⁴:

تعد الأنعام مصدرا للغذاء (اللحوم، الألبان)، والكساء (الصوف، الجلد)، والطاقة (العمل في الحرث والنقل). وأثبتت الدراسات البيولوجية الحديثة أن منتجات الأنعام غنية بالبروتينات والدهون الأساسية لصحة الإنسان. فقله تعالى “فيها دفء ومنافع” يشير بدقة إلى تعدد المنافع الاقتصادية والغذائية والبيئية للأنعام. فهذه الآيات تبرز التوافق بين النصوص القرآنية والحقائق العلمية في مجالات المياه، النباتات، والأنعام. وتظهر سبق القرآن الكريم في الإشارة إلى هذه الحقائق، مما يعزز الإيمان ويخاطب العقول بلغة العلم. وتؤكد أن الإسلام دين شامل يهتم بالإنسان واحتياجاته الأساسية، ويحفز على البحث والاكتشاف⁵.

إن الإعجاز العلمي في الماء والنبات والأنعام ضمن سورة النحل يكشف عن نظام إلهي دقيق يحفظ الحياة ويضمن استقرارها. ويؤكد أن القرآن الكريم سبق العلم الحديث في الإشارة إلى هذه الحقائق، مما يعزز الإيمان ويدعم البحث العلمي المعاصر.

المطلب الثالث: تطبيقات الذكاء الاصطناعي في سورة النحل

يُعد القرآن الكريم من أعظم النصوص اللغوية في التاريخ، إذ يتميز بأسلوبه البلاغي الفريد وتراكيبه اللغوية المعقدة. ومع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، أصبح بالإمكان دراسة النصوص الدينية باستخدام أدوات تحليلية

¹ سورة النحل ، اية 5

² عيشة أبو القاسم 2025، ص 219-225

³ أبو شخيدم 2016

⁴ عثمان فوزي 2015

⁵ د. محمد أبو يحيى 2026، ص 142-158

حديثه , تأتي سورة النحل كنموذج غني للتحليل، لما تحتويه من موضوعات متعددة تشمل: (النعيم الإلهية , دلائل القدرة , التوحيد , البعث والجزاء)¹.

تحليل النص القرآني باستخدام NLP .

NLP (Natural Language Processing) هو فرع من الذكاء الصناعي يجمع بين اللغويات الحاسوبية والتعلم الآلي لفهم اللغة البشرية، تستخدم في: تحليل النصوص، الترجمة الآلية، روبوتات الدردشة، المساعدين الافتراضيين، تحليل المشاعر، واستخراج الكيانات.

ان التداخل بين النص المقدس والتقنيات الحديثة يفتح آفاقاً جديدة لفهم القرآن الكريم، ليس فقط من زاوية التفسير التقليدي، بل أيضاً من خلال التحليل البنيوي واللغوي والموضوعي الذي يقدمه الذكاء الاصطناعي².

وتأتي سورة النحل كنموذج غني للتحليل، إذ تحتوي على موضوعات متعددة تتوزع بين عرض النعم الإلهية التي لا تُحصى، وإبراز دلائل القدرة الإلهية في الكون، وتأكيد عقيدة التوحيد التي تمثل جوهر الرسالة الإسلامية، بالإضافة إلى الحديث عن البعث والجزاء الذي يرسخ مفهوم المسؤولية الأخلاقية والروحية للإنسان. هذا التنوع الموضوعي يجعل السورة مادة خصبة للدراسة، إذ يمكن للباحث أن يتتبع الروابط بين المعاني، وأن يكتشف كيف يوظف القرآن الصور البلاغية والأنماط اللغوية لترسيخ القيم العقيدية والكونية³.

كما ان دراسة هذه السورة باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي يتيح إمكانية بناء خرائط موضوعية تربط بين الآيات، وتحليل البنية الدلالية للنصوص، واستخراج الأنماط البلاغية التي تعكس إعجاز القرآن في صياغته. كما يمكن لهذه الأدوات أن تساعد في المقارنة بين النصوص القرآنية والحقائق العلمية الحديثة، لتوضيح أوجه الإعجاز العلمي الذي يظهر في الإشارات الكونية والبيئية والإنسانية الواردة في السورة. وهكذا يصبح القرآن الكريم، من خلال سورة النحل، مجالاً مفتوحاً للتأمل العلمي واللغوي، إذ يلتقي الإيمان بالبحث، والبلاغة بالتحليل، والوحي بالمعرفة الحديثة، في انسجام يبرز عظمة النص القرآني وخلوده عبر العصور⁴.

الأنماط العلمية في سورة النحل.

تُعد سورة النحل من السور القرآنية التي تزخر بالإشارات العلمية في مجالات متعددة مثل علم الحيوان، النبات، الغذاء، والطب. هدفنا هنا توظيف تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (NLP) لاستخراج الأنماط العلمية من نصوص السورة، بما يعزز فهم العلاقة بين النص القرآني والعلوم الحديثة، ومن النماذج التطبيقية في سورة النحل⁵:

1- آية النحل والعسل: "يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" إذ استخرجت الآية الكريمة الكيانات: (نحل، شراب، شفاء). ومن ثم صنفتها: (حيوان، مادة غذائية، طب). ثم ربطت بين علم الحيوان والطب.

¹ محمد إبراهيم الشربيني 2024، ص 56-63

² نفس المصدر السابق

³ أحمد محمد الشراوي 2025، ص 251-345

⁴ اسراء صديق 2023، ص 23

⁵ شيرين السيد مصطفى 2023، ص 645 - 675

2- آية اللب: "وإن لكم في الأنعام لعبرة نستقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً" (آية 66)¹ إذ استخرجت الآية الكريمة الكيانات: (أنعام، لبن، دم). ومن ثم صنفتها (حيوان، كيمياء غذائية). وبعد ذلك وصفت عملية بيولوجية لإنتاج اللبن.

3- آية المطر والنبات "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (آية: 10-11)² إذ تضمن الآية الكريمة المعالجة المسبقة: تحديد الكلمات المفتاحية. وكذلك استخراج الكيانات: ماء (عنصر طبيعي)، وثمرات (نبات/غذاء)، وورق (نتيجة/غذاء للإنسان). وصنفت المفاهيم: مجال البيئة ↔ مجال النبات ↔ مجال الغذاء.

ثم بينت الآية الكريمة العلاقة بين الماء كعنصر بيئي والنباتات ككائن حي منتج للغذاء، مما يعكس دورة بيئية متكاملة.

الخاتمة:

وفي ختام رحلتنا في هذه الصفحات التي تناولت الإعجاز العلمي في سورة النحل توصل الباحث الى مجموعة من النتائج، من أهمها:

تميزت اللغة القرآنية بالشراء الدلالي والرمزية، مما يجعل تطبيق أدوات NLP تحدياً خاصاً فعلى سبيل المثال، كلمة "شراب" في الآية قد تحمل معنى مادي (العسل) ومعنى وظيفي (الشفاء)، وهو ما يتطلب نماذج قادرة على فهم تعدد المعاني (Polysemy).

حوت سورة النحل على إشارات علمية في مجالات متعددة: منها : علم الحيوان: النحل، الأنعام. وعلم النبات والبيئة: المطر، الزرع، الثمار. وعلم الغذاء والكيمياء الحيوية: اللبن، العسل.

أظهر البحث أن النص القرآني لا يقتصر على الوصف، بل يقدم أنماطاً علمية مترابطة. مثل الربط بين النحل والعسل والشفاء وهذا يعكس تصوراً للعلاقة بين الطبيعة والطب.

إن هذا العمل يعزز التوازن بين الإيمان والعقل؛ إذ يُظهر أن النص القرآني يحمل إشارات دقيقة سبقت الاكتشافات العلمية، وفي الوقت نفسه يظل العلم وسيلة لفهم هذه الإشارات وتفسيرها في ضوء الحقائق التجريبية. وهكذا يصبح الذكاء الاصطناعي أداة مساعدة في الكشف عن أوجه الإعجاز العلمي، ويسهم في بناء جسر معرفي بين النص المقدس والاكتشافات الحديثة، بما يخدم الإيمان ويثري البحث العلمي. إن آيات سورة النحل بما تحمله من إشارات دقيقة حول النحل والعسل، الجبال والتوازن الأرضي، والماء والنبات والأنعام، تمثل نموذجاً حياً للإعجاز العلمي الذي سبق الاكتشافات الحديثة. ومع تطور أدوات التحليل الرقمي أصبح بالإمكان توظيف تقنيات معالجة اللغة الطبيعية وغيرها في

¹ مصحف المدينة ، سورة النحل ، آية 66

² مصحف المدينة ، سورة النحل ، آية (10-11)

تفسير النصوص القرآنية واستخراج الأنماط العلمية الكامنة فيها وهذا ما تم تبينه من خلال النتائج المتحققة. ان هذا التوظيف لا يقتصر على خدمة المسلمين فحسب، بل يفتح المجال أمام غير المسلمين للتعرف على القرآن من زاوية علمية ومعرفية، مما يعزز الحوار الحضاري ويؤكد أن النص القرآني يجمع بين الهداية والإعجاز العلمي. وهكذا يصبح الجمع بين الإيمان والعقل، وبين النص المقدس والتقنيات الحديثة، وسيلة مثمرة لدعم البحث العلمي، وتقوية اليقين، وبناء جسور تواصل عالمية قائمة على العلم والإيمان معًا.

المصادر والمراجع:

1. ابو شخيدم, and محمود" محمد ربيع". "الإعجاز العلمي في عالم النبات في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية." (2016).
2. أحمد أبو زيد. "بلاغة النظم القرآني في آيات الشفاء." حولية كلية اللغة العربية بمرج 17.1 (2013): 1-90.
3. أحمد ماهر سعيد. "علم المناسبات في القرآن الكريم." مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية 37.37 (2018): 1131-1254.
4. أحمد محمد الشرقاوي. "أسلوب المقابلة في سورة النحل" دراسة تفسيرية تدريبية." مجلة تدبر 9.18 (2025): 251-347.
5. إسرائ صديق عبده. "التقنيات الحديثة في خدمة النص القرآني: دراسة مقارنة لتطبيقات غريب القرآن الكريم." Journal of Information Studies and Technology 2023.1 (2023).
6. إقبال بن عبد الرحمن إيداح. الوحي القرآني بين المفسرين و المستشرقين: دراسة تحليلية مقارنة. 2011.
7. بدر بن مرعي آل مرعي, إبراهيم بن عاطف المنوفي. "تقرير علمي عن كتاب: طليعة الاستهداء بالقرآن.. دراسة تأصيلية تحليلية للمنهج والمنتج (مراجعة علمية)." مجلة تدبر 10.19 (2025): 411-438.
8. جمال منصر, سليم حميداني. "اشكالية البحث في العلوم الاجتماعية." (2020).
9. حامد الغواي. بين الطب والإسلام. 2024, ktab INC.
10. حمادي ذويب. أصول التشريع الإسلامي التكميلية-بين التقديس والدينوية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, 2024.
11. د. محمد أبو يحيى. "منهج الإسلام في رعاية البيئة: قراءة شرعية في المفهوم والبناء الوقائي." مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية 7.2 (2026): 142-158.
12. دينا سامي حسن. "من ملامح الإعجاز العلمي للحشرات في سور النحل، والنمل، والعنكبوت (دراسة استقرائية تطبيقية)." مجلة كلية البنات الإسلامية بأسسوط (2024): 556-638.

13. الشحات, and شيرين السيد مصطفى. "من آيات النعم في سورة النحل (دراسة تحليلية موضوعية)." مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية 42.42 (2023): 645-765.
14. عبد السلام حمود غالب. "ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم." مجلة العلوم وافاق المعارف (2023): 155-170.
15. عثمان فوزي علي العبيدي. الحيوان في القرآن الكريم: دراسة موضوعية تشريعية , 2015.
16. عماد الدين خليل. حول تشكيل العقل المسلم , 1992. ص6
17. عيشة ابوالقاسم خليفه الجعظ. "مفهوم" الشيء" في آية الماء: دراسة تفسيرية لدفع إشكالية خلق الجن والملائكة." المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي (2025): 219-225.
18. فؤاد محسن الراوي. الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي. 2009.
19. لطفي هشام, لطفي هشام. "النص القرآني: مقارنة إستيمية : 17-35 (2022)
20. م. م احمد صاحب مهدي عباس الجبوري. "منهج التفسير الاجتهادي العقلي: مُرتكزاته و تطوره." مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية (2025): 425-438.
21. Azimi, Rahmatullah, Shujauddin Rahmani, and Mohammed Abullais Al-Khairabadi. "الإعجاز العلمي في القرآن بين النصوص الشرعية والاكتشافات الحديثة: دراسة تحليلية: 196-220 (2025): STUDIES 9.2.
22. محمد إبراهيم الشربيني صقر. "الذكاء الاصطناعي وأهميته للداعي إلى الله عز وجل." Jurnal Al-Haady 5.1 (2024): 56-63.
23. محمد بو رباب , "تهيئة كوكب الأرض لاستقبال الإنسان مقارنة تأملية بين الآيات القرآنية وحقائق علوم الجيولوجيا." مجلة اعجاز لشمال المغرب الدولية للبحث والتأمل العلمي 10.10 (2025).
24. مصحف المدينة ,سورة النحل.
25. نور نظام الدين نجم الدين. "الاشارات العلمية في سورة النحل دراسة في التفسير العلمي." Al-Adab Journal 120 (2017): 165-178.
26. الهنائي, عبد الله بن سالم بن حمد. "إعجاز القرآن الكريم في آيتي النحل (68-69) من سورة النحل." مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور 10.4 (2025): 79-106.
27. يحيى علي آل سالمه. "تحليل محتوى كتاب العلوم للصف الثاني المتوسط في ضوء بعض مجالات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية." مجلة كلية التربية. جامعة طنطا (2024): 52-98.
28. يوسف الحاج أحمد. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهرة. Islamic Books, 2003.

